جهود عباس حسن النحوية / دراسة وتحليل

إعداد

إلهام عبد الرحيم عبد الله الجدوع

المشرف

د. محمود جفال الحديد

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية

وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون أول ، ٢٠٠٦م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشـــت هـــذه الرسالـــة (جهود عباس حسن النحوية – دراسة وتحليل) وأجيزت بتاريخ : ٧ / ١ / ٢٠٠٧ م

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور محمود جفال الحديد ، مشرفا أستاذ فقه اللغة في الجامعة الأردنية	.....
الأستاذ الدكتور نهاد الموسى أستاذ اللغة والنحو في الجامعة الأردنية	.....
الأستاذ الدكتور محمود حسني مغالسة أستاذ اللغة والنحو في الجامعة الأردنية	.....
الأستاذ الدكتور زهير المنصور أستاذ النقد والبلاغة في جامعة مؤتة	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى روح والدي الطاهرة ، مع الدعاء له بالرحمة والمغفرة وجنات الخلد . وإلى من حملتني وهنا على وهن ، أمي التي ربتني صغيرة ورعتني ، وبرضاها أنار الله تعالى السبل أمامي .

وإلى جميع أخواني وأخواتي أعزائي وأحبتي وكل من ساعدني على إتمام هذا العمل.

وإلى أستاذي الفاضل الدكتور محمود جفال الحديد الذي علمني الكثير ومنحني من وقته الثمين ، وعلمه الغزير ، ما أفادني وما نفعني وأعانني على إعداد هذه الرسالة وإخراجها إلى حيز الوجود .

وإلى أستاذي الفاضل الدكتور محمد الفزاع العواملة الذي رافقني طوال رحلتي الدراسية ولم يبخل عليّ بشيء من علمه جزاه الله عنّي خير الجزاء .

وإلى كل من علمني ولو حرفا واحدا من حروف الحياة .

وإلى وطني الغالي الأردن .

أهدي هذا الجهد المتواضع هذه الرسالة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكـــر وتقـــديـــر

أحمد الله تعالى حمد الشاكرين ، على أن أعانني ووفقني في إعداد هذه الرســـالة وإنجازهـــا ، رغم الصعوبات والعوائق التي تخطيتها بعون من الله تعالى وتوفيقه .

ويطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الخالص والعرفان الكبير من أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمود جفال الحديد الذي تفضل وأبدى موافقته الكريمة علـــى الإشـــراف علـــى رسالتي هذه ، فأشكره على ما قدمه لي من نصائح وإرشادات وتوجيهات ومتابعة مستمرة في كـــل مراحل هذه الرسالة ، وأعترف له بالفضل الكبير الذي لن أنساه مدى الحياة ، فهو الأستاذ الحـــاني على تلميذه ، وهو العالم الذي لم يدخر معي جهدا ، وهو الحليم الذي وسعني بحلمه الكبير ، ووهبني من علمه الواسع الغزير الكثير ، وخصني بالطويل من وقته الغالي الثمين ، وأنار أمـــامي ســـبيلا في العلم ما كنت أراه ، وجزاه الله تعالى عني خير الجزاء .

ويسعدني أن أخص بالشكر الجزيل والامتنان الخالص والعرفان بالفضل والخـــير أســـاتذتي الأجلاء الأفاضل أعضاء لجنة مناقشة هذه الرسالة على ما تجشموه من عنـــاء وتعـــب في قراءتهـــا وفحصها وتقديم ملاحظاتهم ونصائحهم وتوجيهاتهم الكريمة التي أفادتني وعلمتني الكثير في ســـبيل رفع مستوى هذه الرسالة ، وهم : الدكتور محمود جفال الحديـــد ، والـــدكتور نهـــاد الموســـى ، والدكتور محمود حسني مغالسة ، والدكتور زهير المنصور وجزاهم الله تعالى عني خير الجزاء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخيرا كل الشكر والتقدير لكل من قدم رأيا أو مشورة أو أمرا كان فيه عون لي على إنجاز هـــذا العمل الأكاديمي الذي أرجو أن يكون في المستوى المطلوب ، والحمد لله رب العالمين .

الباحثة :

إلهام عبد الرحيم الجدوع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ت
الإهداء	ث
الشكر والتقدير	ج
فهرس المحتويات	خ
الملخص باللغة العربية	د
المقدمة	١
الفصل الأول : حياته ومؤلفاته	٦
الفصل الثاني : آراؤه في اللغة العربية	٢٤
الفصل الثالث : آراؤه النحوية	٨٢
الفصل الرابع : آراؤه في القياس والسماع	١٢٠
الفصل الخامس : دعوته إلى تيسير النحو العربي وإصلاحه	١٤٠
الفصل السادس : منهجه في التأليف النحوي والبحث اللغوي	١٦٨
نتائج الدراسة	١٨٧
فهرس المراجع والمصادر	١٩١
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	١٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص الدراسة باللغة العربية

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن الجهود النحوية التي بذلها عباس حسن في مجال اللغة العربية والنحو العربي ، وذلك من خلال آرائه في اللغة وفي النحو وتحليلها ودراستها لمعرفة مدى انسجامها مع آراء اللغويين والنحويين القدامى، ومدى اختلافها مع آرائهم في المسائل النحوية والقضايا اللغوية التي درسها عباس حسن وألف فيها ، ولمعرفة مدى مناسبة المنهج الذي وظفه في معالجة موضوعات النحو العربي وتيسيره وتجديده نظريا وتطبيقيا .

وظفت الباحثة في دراستها المنهج التكاملي المعتمد على المنهج التحليلي والمنهج الوصفي ، فجاءت الدراسة في مقدمة وستة فصول وخاتمة ، بحث الفصل الأول منها في حياة عباس حسن العلمية والعملية ، وبحث الفصل الثاني في آرائه في اللغة العربية ، وتناول الفصل الثالث آراءه النحوية ، وأتبعته بالفصل الرابع الذي بحث في آرائه في القياس والسماع ، ويليه الفصل الخامس الذي بحث في دعوته إلى تيسير النحو العربي وتجديده وإصلاحه ، وكان آخر الفصول وسادسها يبحث في منهج عباس حسن في التأليف في اللغة والنحو العربي ، وضمنت خاتمة الدراسة ما توصلتُ إليه من نتائج .

وتوصلت الدراسة إلى أن عباس حسن كان شخصية علمية عملية تربوية تأثر بالبيئة الاجتماعية والتربوية والعلمية ، فكان له تفكيره اللغوي الذي انبثق منه تفكيره النحوي ، الذي قاده إلى بذل جهود كبيرة عادت على اللغة والنحو بالفائدة والنفع ، إذ استطاع التأليف في اللغة والنقد والنحو العربي .

كما توصلت الدراسة إلى استفادة عباس حسن من آراء وأحكام النحاة القدامى في الدراسة والتأليف ، مما جعله يقدم دعوته إلى تيسير النحو وإصلاحه وتبسيطه للمعلم وللمتعلم وللباحث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على حد سواء . وتبين أن لعباس حسن منهجه الذي جمع فيه بين النظرية والتطبيق بالاعتماد على الشواهد اللغوية والقواعد النحوية التي استنبطها النحاة ، فحللها ودرسها ، وأيد بعضها وعارض البعض الآخر ، ولكنه وقع فيما وقع فيه النحاة من قبله من الخلط والاضطراب رغم أنه كان يحذر من الوقوع في مثل هذا الأمر ، ورغم دقته في التحليل والبيان والتفصيل ، ورغم محاولاته في إعادة تجميع جزئيات القواعد النحوية والعمل على إعادة تبويب أبواب النحو وتحسين تجميع جزئياته ، فجاءت جهوده النحوية متنوعة الاتجاهات والمجالات والطرائق والأساليب .

وبينت الدراسة أيضا مدى اعتماد عباس حسن على القياسي والسماعي في اللغة العربية حيث اتخذ من ذلك أصولا وقواعد تسهم في إنماء اللغة العربية وتوسيع نطاق استعمالها وتداولها شفاها وكتابة وتيسير نحوها وصرفها ، ولعل جهوده لم تكتمل لما واجهه من عوائق وصعوبات ، وبخاصة دعوته إلى تيسير النحو وإصلاحه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجامعة الأردنية

أنا إلهام عبد الرحيم عبد الله الجدوع ، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي

للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها

التوقيع :

التاريخ :

The university of Jordan

Authorization form

I , Elham Abd Al – Raheem Abd Allah Al – Jdoua , authorize the university of Jordan to supply copies of my thesis to libraries or establishments or individuals on request .

Signature :

Date :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقـــــــدمة

شهدت الأمة العربية نهضة ثقافية فكرية حضارية منذ بداية القرن العشرين ، وذلك نتيجـــة عدد من العوامل والأسباب ، كان من أهمها الحاجة إلى اليقظة من جديد في جميع مجالات الحياة ، إذ كان من بين هذه المجالات مجال الدراسات والأبحاث والتأليف ، وظهر ذلـــك علـــى مـــستويين ؛ المستوى الأكاديمي والعلمي في المعاهد والكليات والجامعات ، والمستوى الفردي الإبداعي الـــذي كان من أساسيات منطلقاته البحث والدرس والتأليف المعتمد على رغبة شخصية لدى الفرد العربي بغض النظر عن التبعية الأكاديمية أو العلمية لأي معهد أو أية كلية أو جامعة .

وفي هذه الحقبة النهضوية ظهر نشاط ملحوظ في حركة التأليف عند العرب بعد ركـــود ألم بهذه الحركة فترة زمنية لا بأس بها ، شمل هذا الركود من بين ما شمل الدراسات اللغوية والأدبي ، إلا أن روح البحث والدرس والتأليف قد عادت إلى الأمة العربية في حركة نشطة يقظة تسهم في إعادة تكوين الثقافة العربية ، فانصبت الدراسات على اللغة وعلومها ليكون لها الدور الفاعل في النهـــضة الثقافية والحضارية .

ويمكن القول إن بعض علوم اللغة العربية لم تحظ بالاهتمام والعناية كما يجـــب ، وبعـــض علومها الأخرى حظيت بكامل العناية والاهتمام ، وبُذلت فيها جهود مؤسسية وجهـــود شخـــصية أدت إلى تفعيل وجودها وتنشيط حركتها وتداولها والبحث فيها ودراستها بطرائق وأساليب تواكب روح العصر وتلبي احتياجات العربي طالبا كان أم مختصا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ظهر مؤلفون وقفوا أنفسهم على تعليم اللغة العربية وتدريسها ، فساروا في دروب التعليم ودروب العلم ، فكان منهم العالم والعلامة ، ولكن هناك تقصيرا في دراسة جهودهم ومؤلفاتهم ، وذلك التقصير راجع إلى الاهتمام بالموضوع دون صاحبه .

وتجدر الإشارة إلى أن اهتمامي باللغة العربية وبالنحو العربي قد كان في وقت مبكر من حياتي التعليمية في المدرسة ، ومن ثم في الدراسة الجامعية ، بدافع ينبع من اللغة العربية نفسها ومن النحو العربي ذاته ، ومن قاموا عليهما خير قيام فأدوا الرسالة خير أداء وقدموا لنا ما نحن بصدد الاستفادة والانتفاع به ، وقد جاءت الفرصة لأتمكن من بذل جهود في دراسة أحد هؤلاء العلماء وجهودهم التي بذلوها في سبيل النحو العربي بحثا وتعليما وتيسيرا وإصلاحا بما عاد على العربية والعربي بالخير والفائدة ، وهذا العالم الذي أعنيه في هذه الدراسة هو الأستاذ عباس حسن أحد علماء اللغة العربية والنحو العربي ، لأقف على جهوده في دراساته ومؤلفاته في النحو العربي على اعتبار أنه علم من علوم العربية لا يمكن لمتعلم أو ناطق بالعربية الاستغناء عنه ، وقد وضعت لهذه الدراسة عنوانا هو (جهود عباس حسن النحوية – دراسة وتحليل) ، وهي دراسة أكاديمية في إطار دراستي الجامعية ، وهي تأتي استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

وقد هدفت هذه الدراسة إلى البحث في الجهود النحوية التي قدمها اللغوي والنحوي عباس حسن من خلال مؤلفاته ومقالاته وأبحاثه التي قدمها في مجال اللغة والنحو العربي ، كما هدفت إلى الوقوف على مميزات منهجه في التأليف النحوي وخصائصه ، ذلك المنهج الذي استخدمه عباس حسن في دراسة الموضوعات النحوية المختلفة وكيف تأتى له تطبيق منهجه في دراسة ومعالجة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسائل والقضايا النحوية التي وجدها تكوّن النحو العربي وقواعده وشواهده فأثارها وبحث فيها محللا ودارسا ومعلما ومؤلفا ، مع نظرة في مؤلفات من سبقه من النحاة واللغويين وما كان لهم من آراء وأحكام في مسائل النحو العربي وقضاياه . كما هدفت الدراسة إلى البحث في آرائه النحوية ، وتحليلها ودراستها ، للوقوف على مدى انسجامها مع آراء الآخرين من النحويين واللغويين العرب ومدى اختلافها مع آرائهم في المسائل والموضوعات التي أثبتها في مؤلفاته وأبحاثه ودراساته .

ولا شك في أن لهذه الدراسة أهميتها ، ولعلها تكمن في أنها تتناول موضوعا لغوياً ونحوياً ، لعالم عربي لغوي ونحوي ، وتتناول – بالأصل – جهود ذلك العالم العربي الذي قدم أعمالا كثيرة وإنجازات تستحق الوقوف عندها ودراستها الدراسة المعمقة التي تكشف عن الآراء ، والأفكار اللغوية والنحوية التي تميز بها بين لغويي العصر ونحاته ، كما تكشف عن قيمة التفكير اللغوي والتفكير النحوي والتفكير التربوي عنده ، إذ شكلت جميعها الأساسيات في مؤلفاته وأبحاثه ودراساته .

كما تجلت أهمية هذه الدراسة – بعد البحث في موضوعها ودراسته وبعد البحث في الجهود النحوية التي بذلها عباس حسن – في أنها كشفت عن منهج حديث كان مناسباً في معالجة موضوعات النحو العربي وتيسيره .

وقد تبين لي – بعد البحث– أنه لم يتقدم أحدٌ لدراسة هذا الموضوع الدراسة العلمية الأكاديمية المنهجية التي تنصب على الجهود والقضايا اللغوية والنحوية التي قدمها عباس حسن في أبحاثه ومؤلفاته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا أنني استحسن في هذا المقام أن أشير إلى بعض المؤلفات والدراسات والأبحاث التي رجع أصحابها فيها إلى مؤلفات وأبحاث عباس حسن في دراسة بعض المسائل النحوية والآراء والأحكام والقواعد والشواهد والخلافات والتوافقات النحوية بينهم من جهة ، وبينه وبين النحاة من جهة أخرى ، إذ وضعت يدي على بعض الدراسات التي أخذت بعض المسائل والآراء المتفرقة التي صدرت عن عباس حسن للاستشهاد بها عند دعم رأي أو البحث في مسألة لغوية نحوية أو عند الحاجة إلى التمثيل والاحتجاج في موضوع نحوي أو لغوي يراد البحث فيه أو تعليمه .

فمن المؤلفات اللغوية والنحوية كتاب جميل علوش الموسوم (التعجب ؛ صيغة وأبنيته) الصادر في طبعته الأولى سنة ٢٠٠٠ م عن دار أزمنة للنشر والتوزيع بعمان – الأردن .

ومن الدراسات والأبحاث البحث الذي قدمه الدكتور شوقي المعري بعنوان (التنازع ، أو الإعمال في النحو العربي) ، والبحث الذي قدمه رشيد بالحبيب بعنوان (قضية الإعراب ومشاريع تجديد النحو العربي) . أما المقالات اللغوية والنحوية ، فأشير إلى المقالة التي كتبها الباحث جواد بن محمد بن دخيل بعنوان (ضروب لا وشرح دلالاتها) ، والمقالة التي كتبها الباحث محمد عبد اللطيف بعنوان (دعوات التجديد والتيسير في اللغة العربية) .

وحسبي في هذا الصدد أن ذكرت ما وجدته من مؤلفات وأبحاث ومقالات اعتمدت جميعها على مؤلفات عباس حسن في اللغة والنحو ، وبخاصة كتابه(النحو الوافي) ، وكتابه (اللغة والنحو بين القديم والحديث) .

إن الدراسات النحوية واللغوية تستدعي أن يكون منهج البحث مناسبا لموضوعها ، وقد اقتضت طبيعة موضوع هذه الدراسة اختيار المنهج التكاملي في دراسة الجهود النحوية عند عباس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسن ، دون إغفال الاعتماد على المنهج التحليلي الوصفي للوصول إلى تحقيق أهداف الدراسة ونتائجها ، وقد توسلت بهذا المنهج التكاملي ، ولعلني لا أخفي ما وجدته من صعوبات وعوائق اعترضت سبيلي وسبيل هذه الدراسة ، ولكن فرصة التغلب عليها كانت تتاح بين الفينة والأخرى .

وجاءت هذه الدراسة في مقدمة وستة فصول وخاتمة ، أما الفصول فكان أولها يبحث في حياة عباس حسن العلمية والعملية وفي مؤلفاته ، وكان ثانيها يدرس آراءه في اللغة العربية ، أما ثالثها فقد درست فيه آراءه النحوية ، وفي الرابع درست آراءه في القياس والسماع ، وفي الفصل الخامس منها درست دعوته إلى تيسير النحو العربي وإصلاحه ، وآخرها بحثت في منهجه في التأليف في النحو واللغة .

واعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع التي لها علاقة بموضوع الدراسة ، للاستفادة منها في مراحل الدراسة المختلفة بدءا من البحث وانتهاء بإعداد الدراسة وتأليفها ، وهذه المصادر والمراجع كانت إما في اللغة والتأليف اللغوي وإما في النحو والتأليف النحوي ، كما كانت تتكون من جميع مؤلفات عباس حسن ، ومن مؤلفات لغيره من النحويين واللغويين القدامى والمحدثين ، مما ساعدني على إعداد هذه الدراسة وإخراجها إلى حيز الوجود .

والله أسأل أن أكون قد بذلت ما في الوسع والطاقة ، وأن يكون ما بذلته موفقا نافعا ، وأرجو الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه تعالى ، ولعلني ألتمس العذر على التقصير إن كنت قد قصرت في الأداء والعطاء ، وعلى النقص في العمل نفسه ، إذ لا كمال إلا لله تعالى ، وما توفيقي إلا بالله تعالى ، هو نعم المولى ونعم النصير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

عباس حسن : حياته ومؤلفاته

إن الأخبار التي توافرت عن حياة عباس حسن قليلة ، وقد تمكنت من الحصول على بعض الدراسات التي أشار فيها أصحابها إلى بعض من جوانب حياته ، ومن هذه الإشارات أنه وُلد في مدينة منوف بمحافظة المنوفية بمصر في سنة ألف وتسعمائة ميلادية . [١] ومن هنا بدأ طفولته المبكرة في كنف والده الذي كان " يمارس أعمال التجارة فيها ، ثم بدا له أن يرحل إلى القاهرة ويتخذ منها مجالا لنشاطه التجاري ." [٢] ولعل رحيل والده إلى القاهرة وهو في سنيه الأولى قد غير في حياة الأسرة ، حيث طال هذا التغير عباس حسن ، إذ " حمل إلى قرية سروهيت من أعمال مركز منوف ، وهي منشأ أسرته ومقرها الأول . فكفله خاله، ونشأه في كنفه وعلى عينه . " [٣]

ولا شك في أن هذه البيئة الجديدة قد كان لها تأثيرها على تكوين شخصيته ، ولعله قد تأثر أيضا برعاية الخؤولة لا رعاية الأبوة في هذه المرحلة ، " ولما أن قوي عوده وبدت مخايله ، بعث به خاله إلى كتاب القرية ، يتعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة ، ويحفظ القرآن الكريم حتى إذا بلغ من

---

[١] علام ، محمد مهدي ، المجمعيون في خمسين عاما ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مصر ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٦ ، ص ١٣٥ .

[٢] مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مصر ، ج٤٥ ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، كلمة للأستاذ علي النجدي ناصف ، ص ١٧٩ .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك أربه ذهب بـــه خاله إلـــى الأزهر ، فدرس فيـــه مقررات من علوم الدين واللغة ." [١]وهذه محطة من محطات حياته المهمة التي يمكن أن تحمل في طياتها الأسس الأولى التي أســـهمت في توجيـــه عباس حسن والتقدم بنجاح نحو المراحل والمحطات الأخرى في حياته .

والمحطة التالية لها خصوصيات مشتركة مع المحطة السابقة عليها ، وخصوصيات تتفرد بهـــا عنها ، فقد ابتدأت هذه المحطة بقبوله طالبا في دار العلوم إذ " كانت دار العلوم قـــد اســـتحدثت لتكون لإصلاح العربية مهدا ، وإذا بفتانا الأزهري عباس حسن تتملكه نزعة الهجرة من القديم إلى الجديد ، فيتحول من الأزهر إلى دار العلـــوم ، وإذا به يحرز قصب الـــسبق في اللغـــة العربيـــة ، ويستأثر بالجائزة المرصودة لها على مـــدى أعـــوام دراستـــه في دار العلـــوم مـــــا أخلفتـــه ولا فاتتـــه عاما ." [٢]

وبذلك يكون عباس حسن قد حقق ما كان يتمناه كغـــيره مـــن الطلبـــة المتميـــزين ذوي الطموحات الكبيرة ، إذ " لحق بدار العلوم وكان في رحلة الدراسة فيها من طلابها المتفوقين فجعل ينتقل في صفوفها تباعا، صفا بعد صف. وحبب إليه أن يتضلع من متن اللغة ، فأقبل علـــى مختـــار الصحاح ، يعني نفسه بحفظه ."[٣]

إن لهذه البيئة التربوية والعلمية آثارها التي لا يمكن تجاهلها وإغفالها عند اســـتعراض حيـــاة عباس حسن والعوامل المؤثرة فيها والمؤسسة لها ، ولا جرم أنْ " كانت دار العلوم في ذلك العـــصر

---

[١] مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مصر ، ج٤٥ ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، كلمة للأستاذ علي النجدي ناصف ، ص ١٧٩ .

[٢] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٢٢ ، مطبعة الكيلاني الصغير ١٩٦٧م ، كلمة الدكتور أحمد عمار في جلسة استقبال الأعضاء الجدد ، ص ١٦٩ .

[٣] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٤٥ ، مرجع سابق ، كلمة الأستاذ علي النجدي ناصف ، ص ١٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منية جمهور الطلاب في الأزهر ، يستبقون إليها في امتحان يؤهـــل النجاح فيه القبول بها ، بعـــد أن تختار المدرسة حاجتها من جموع الناجحين ، فطمـــح عباس حسن إليها مع الطامحين ، ولعلـــه كان يقتدي في ذلك أيضا بابن خاله ... أحمد علي عباس ، من قدامى خريجي دار العلوم ، ومـــن كبـــار مفتشي وزارة المعارف . " [١]

وفي هذا الصـــدد ، يمكن الإشارة إلى علاقة عباس حسن بأفراد أسرته الجديـــدة – أســـرة خاله _ ولا سيما ابن خاله الذي كان متوقعا أن يكون بينهما تعالق وتـــرابط اجتمـــاعي وتربـــوي وتعليمي تعلمي بينهما ، ولكن ذلك الترابط والتعالق لم يحدثا على الوجه الذي كان مطلوبا ، فلـــم يتأثر عباس حسن بهذه الشخصية التربوية ، وفي هذا الأمر ما أثار اهتمام من ذكروا عباس حـــسن في بعض أوراقهم ، ومن هؤلاء علي النجدي ناصف الذي قال : " وأعتقد أنه لم يرجع في هـــذا إلى ابن خاله، ولا أنه كان يصدر فيه عن نصح منه. وما أحسب إلا أنه لو علم لدلـــه علـــى الأدب في لبابه المأثور من المنثور والمنظوم ينهل منه ما يشاء حتى يتضلع ريا . فما كان لمثله أن يغيب عنـــه أن اللغة في الأدب حية عاملة، وهي في المعاجم ذخر مدخر، يرجع إليه كلما عرضت حاجة إلى التثبت أو الاهتداء إلى الوجه السديد." [٢]

إن هذه العوامل والمؤثرات لم تكن وليدة المصادفة ، بل هي وليـــدة التطـــورات الثقافيـــة والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية التي طرأت على المجتمع المصري في تلك

---

[١] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٤٥ ، مرجع سابق ، كلمة الأستاذ علي النجدي ناصف ، ص ١٧٩

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحقبة ، ومنها ما كان له أثاره الإيجابية على شخصية عباس حسن وجميع مكوناتـــها وروافدها التي أغنتـــها وأثرتـــها ، بحيث استثمـــرها أطيـــب استثمـــار وأغنـــاه ، وبذلـــك فقـــد " تهيـــأت لعباس حسن [١] إبان نشأته ، بيئـــة علمية متخصصة ، يندر أن يتهيأ مثلها لناشـــئ في الريـــف إذ ذاك . ولمثل هذه البيئة ما لها من الأثر الحميد في تنمية الذهن، وتوجيه النظر إلى الأمور، وإلى طريقة التمييز بينها وصحة الحكم عليها."[٢]

وفي سنة ألف وتسعمائة وخمس وعشرين [٣] " يتم دراسته في دار العلوم فيرشح مع لفيف من زملائه لبعثة دراسية إلى إنجلترا ، وإذا بهذه البعثة يشترط لها التفوق في امتحان يعقـــد في اللغـــة الإنجليزية ، وإذا بفتانا يعثر به الحظ فيخفق في الامتحان ، وتنفلت من بين يديه الفرصـــة المأمولـــة والبغية المشتهاة ." [٤]

ومن المستحسن في هذا السياق أن نقف عند بعض العبارات التي وردت على لسان عباس حسن يبين فيها بعضا مما قاله عن نفسه ، قال : " تخرجت بعد انقضاء سنوات الدراسة بدار العلـــوم واقتحمت معترك الحيـــاة مدرسا ناشئـــا ألقت به المقادير في إحدى المدارس الابتدائية – بمـــدلولها القديم ، لا مفهومها الشائع اليوم – ورأيتني وسط بحر لجي ، السابحون فيه قدامى سبقوني إليه عشر

---

[١] العبارة بين العارضتين من إضافة الباحثة لتوضيح المقصود من كلام الكاتب .

[٢] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٤٥ ، مرجع سابق ، كلمة للأستاذ علي النجدي ، ص ١٧٩ .

[٣] علام ، محمد مهدي ، المجمعيون في خمسين عاما ، مرع سابق ، ص ١٣٥ .

[٤] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٢٢ ، ص١٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سنوات أو يزيد ، ولهم من طول الممارسة وواسع الدربة ما يكفل لهم الأمن والنجاة .." [١]ويصف عباس حسن حاله في بدايات عمله الأول قائلا : " قضيت الشهر الأول في تفهم العمل وأساليبه ورجاله ، وخضت غمراته برباطة جأش ، وثبات قلب ، واسترشاد بما أرى أو أسمع ، أو أقرأ . "[٢]

ولعله من ذلك يريد القول بأنه قد اكتفى من البحث عن دور العلم ومعاهده ، وبأنه في حاجة إلى العمل أكثر من أية حاجة أخرى ، فراح في سلك المهنة ، وبخاصة مهنة التعليم ، فقد " عمل مدرسا بمدرسة الناصرية الابتدائية ثم تنقل في بعض المدارس الثانوية في القاهرة " [٣]وبقي هكذا يعلم طلبة تلك المدارس التي تنقل فيها ، إلى أن " عرضت لدار العلوم حاجة إلى مدرسيْن اثنيْن ، فكان عباس حسن أحدهما للنحو وكان الآخر هو المرحوم الأستاذ علي الجندي للبلاغة ." [٤]وبقي يعمل فيها بصفة مدرس إلى أن تحولت " الدار إلى كلية جامعية . فيرتقي في سلم مناصبها حتى يبلغ ذروتها أستاذا للنحو والصرف . " [٥]

إن محطة العمل ومنذ بدايتها في حياة عباس حسن كانت ذات مجالات وحقول واسعة صال وجال فيها ، ومنها بدأت " تتهيأ له بذلك فرصة التوفر على التبحر والإنتاج . ويشمر عن ساعديه متذرعا بذلك المنهاج العلمي الذي اختبر في شبابه كنه مزاياه . وإذا به يفتح بمؤلفاته في علوم اللغة فتوحا جديدة ويرتاد بها آفاقاً بعيدة ، تبوئه في مجال إصلاح تلك العلوم مقعد ريادة

---

[١] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٣٠،كلمة الأستاذ عباس حسن في حفل استقبال الأعضاء الجدد ، ص٢٣٤

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٣٤ .

[٣] علام ، محمد مهدي ، المجمعيون في خمسين عاما ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

[٤] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٤٥ ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

[٥] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٢٢ ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقيادة ، بل زعامة وإمامة . "[١] وظل يقرن العلم والتأليف بالعمل الدؤوب ، " إلى أن أحيل على المعاش " [٢]

وشأن عباس حسن كشأن الباحثين الآخرين من أبناء جيله وأمته ، فهو الباحث عن فرص تتاح له للتقدم وللمشاركة في ثقافة أمته وحضارتها ، فتلمس الدرب وسار فيه باحثا إلى أن سنحت الفرصة الأولى له ، ولما " استوى معلما مربيا إذا به يطالع في الصحف إعلانا عن مسابقة في موضوع علمي بحت هو (البترول) ، ... ، فيدبج الموضوع ، ويزجيه إلى وجهته ، ... ، فيفوز بالجائزة .... وتشيد لجنة الفحص بأن الموضوع مستكمل المادة ، متقن التنسيق ، محكم الأسلوب ، متبع فيه المنهاج العلمي الصحيح .... " [٣]

وما كان من نتيجة ذلك إلا أن راح " يتسابق المؤلفون في دار العلوم إلى إشراك (صاحبنا) [٤] – عباس حسن – [٥] فيما يؤلفون وإذا به يصبح صك الزمان لفوز تلك المؤلفات بتقريرها للتدريس ." [٦]

لقد نشأ عباس حسن محبا للغة العربية مكبا على البحث فيها وفي علومها ، معبرا في ذلك عن علاقته بها بقوله الذي أورده في كتابه (اللغة والنحو بين القديم والحديث) ، إذ قال : " فقد

---

[١] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٢٢ ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ . ، ص ١٧٠ .

[٢] علام ، محمد مهدي ، المجمعيون في خمسين عاما ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

[٣] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٢٢ ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

[٤] هكذا هو النص كما ورد في كلمة الدكتور أحمد عمار في المرجع السابق

[٥] العبارة بين العارضتين من إضافة الباحثة لتوضيح المقصود من كلام الكاتب

[٦] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٢٢ ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصلت الأيام بيني وبين اللغة العربية بأوثق الصلات ، وجرى القدر أن أكون من العاكفين عليها تعلما وتعليما ، وأن أقضي السنين الطوال في دراسة علومها ، وقراءة ما جادت به قرائح الأفذاذ من أبنائها ، والأعلام المشتغلين بها ، فوجدتني أمام مورد لا ينضب ، بل بحر فسيح الجنبات بعيد الأعماق ." [١]

وكما أن تعليم اللغة العربية وتعلمها كانا من مظاهر قوة الصلة بها ، فقد برز مظهر آخر له قيمته في حياته وفي نتاجاته اللغوية ، إذ تجلى ذلك في قول الشعر لمّا " راودته نفسه أن يقرض الشعر ، فراح يعالج نظمه ، ... ومبلغ ظني أن ملكة الشعر عنده لم تكن أصيلة ولا راسخة ، ولأمر ما لم تلازمه ، ولا مالت به إلى الأدب . "[٢]

ويحسن بنا في هذا المقام أن نذكر بعض ما ذكره من يعرفون عباس حسن من أخلاقه وصفاته . إذ ذكر أنه " كان وفيا لعمله ، يعرف حق الصديق ، على سواء ، ...، وكان أسلس ما يكون قيادا ، وألين ما يكون جانبا لمن يحاسنه ، ويبادله ودا بود ، وإذا آنس من صاحب جفوة ، أو رأى منه إعراضا لم يتردد أن يجزيه بفعله ويكيل له بكيله ، مهما كان مكانه بين أصحاب الشأن والمترلة ،... وكان من أعف الناس لسانا ، وأبعدهم عن قول الزور ،...، وكان أكثر ما يذكر به من يؤثره من أصحابه أنّه يصون لسانه عن الغيبة ، والوقوع في

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ط٢ ، ١٩٧١ م ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص ٥ .

[٢] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٤٥ ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعراض الناس ." [١]ويروى أنه كان " رجل صدق يركن إليه ، ويوثق به ، كان لا يضن على الصديق بعون ، ولا يقتصد فيما له عليه من حق ما وجد إلى ذلك سبيلا ، ..." [٢]

لقد كان عباس حسن في مرتبة العلماء من أبناء العربية ، وجعلته أعماله وأخلاقه يحظى بتقدير العلماء والأدباء في الوطن العربي بأجمعه ، مما دعا مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى اتخاذ قرار يفيد باختياره عضوا عاملا ، وكان ذلك في سنة ألف وتسعمائة وسبع وستين ميلادية . [٣] ، حيث راح يغتنم تلك الفرصة التي انفسحت له ليقدم المزيد من الجهود والأعمال في خدمة العربية وأبنائها من خلال موقعه في المجمع ، وفعلا ، أشار الكثيرون إلى أنه ومنذ انضمامه إلى المجمع كان وبهمة عالية " يتابع أعمال المجمع ، ويشارك فيها مشاركة جادة .... مما يشهد بمدى الجهد الذي كان يبذله في خدمة اللغة والمجتمع . " [٤] ومما يدل على انهماكه الشديد بالمجمع وأعماله أنه كان " وفيا كل الوفاء لمجمعه ، لم يتخلف عن جلسة من جلساته ، ولا عن لجنة هو عضو فيها ، إلا لضرورة قاهرة ." [٥]

وتجدر الإشارة إلى أنه كان على علم بجميع أعمال المجمع ونشاطاته واختصاصاته ، إذ إنه " قد شارك في نشاط لجان عدة بالمجمع منها لجنة تنظيم المعجم

---

[١] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٤٥ ، كلمة للأستاذ علي النجدي ناصف ، ص ١٨٢ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٨٢ .

[٣] علام ، محمد مهدي ، المجمعيون في خمسين عاما ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

[٤] المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٥ .

[٥] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج ٤٥ ، مرجع سابق ، كلمة للدكتور إبراهيم مدكور في تأبين الأستاذ عباس حسن ، ص ١٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكبير ، ولجنة الأصول وبعض لجان المجمع العلمية ، وفي جلسات مجلسه ، ومؤتمره . "[١]

وقد ثبت من نتاجاته وما يروى عنه ممن عاصروه أنه " كان فيه شغف بالبحث ، ونزوع إلى التحدي والحوار فيه .... فما من مصطلح يعرض في المجلس إلا تلقاه بالنقد والتمحيص لفظا وأسلوبا ، فإن كان صالحا سكت عنه ، ولم يعترض سبيله ، وإن بدا له فيه مأخذ أمسك به ، وجهر برأيه فيه ، فإما موافقة عليه وإقرار له كما يراه ، وإما حوار ومحاجة تطول أو تقصر حتى ينجلي الرأي ، لا حجاب دونه ولا خلاف عليه ولا وجه لتمادي الحوار فيه . " [٢]

وقد قاده البحث المتواصل في اللغة العربية وعلومها إلى الانحياز إلى النحو العربي ، " فقد كان ولوعا بالنحو متعمقا في دراساته ، نافرا من كل من ينحرف عن قواعده مع قدرة على الإقناع والإبانة في غير تكلف ولا التواء ، ولم تتهيأ له مكانته في النحو والأدب عفوا ، وإنما سعت إليه بعد جهود مضنية ، تشهد بها آثاره العلمية ، وبحوثه الشيقة ، وقد أفاد منها الباحثون ونهل من معينها طلابه أجيالا طوالا . " [٣]

هذا ما أمكن التوصل إليه من حياة ونشأة عباس حسن الذي عده كثيرون من علماء العربية ونحاتها في القرن العشرين ، وآخر أخباره أن وفاته كانت عام ألف وتسعمائة وثمانية وسبعين ميلادية . وأن مجمع اللغة العربية بالقاهرة كان قد أقام حفلا تأبينيا للمرحوم الأستاذ العالم العربي

---

[١] . علام ، محمد مهدي ، المجمعيون في خمسين عاما ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ – ١٣٦ .

[٢] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٤٥ ، مرجع سابق ، ص ١٨١.

[٣] مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مصر ، ج ٤٩ ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عباس حسن ، التقى فيه المجمعيون والمسؤولون والشعراء والأدباء ، فمنهم من ألقى كلمة تأبينية ، ومنهم من رثاه نثرا ، ومنهم من رثاه شعرا ، وقد وجدت من المناسب في هذا المقام أن أورد بعضا من أبيات القصيدة التي قالها الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش في رثاء المرحوم عباس حسن ، وهذه الأبيات هي :-

رأيت الناس تسرف في المقال ... ويندر أن تزيد من الفعال

ولولا ثلة الأخيار فينا ... لكان مصيرنا سوء المآل

فليت العرب تجمع ذات يوم ... على نحو الأوائل في المقال

لينشأ بيننا جيل جديد ... توحد باللسان وبالجدال

فقيد النحو كان بلا مراء ... فقيد العرب في نحو الخوالي

تمسك بالقديم بألف بيت ... وقاد الفكر في هذا المجال

سألت النحو هل" عباس" وفى ... قواعده ؟ فقال : بلا جدال

قضى أيامه درسا وبحثا ... يصوب كل أخطاء المقال

تصدى للكثير من القضايا ... وأفتى بالجواب على السؤال [١]

---

[١] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٤٥ ، ١٩٨٠ م ، قصيدة في رثاء عباس حسن للدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش ، ص ١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مؤلفاته:-

لقد ترك عباس حسن عددا من المؤلفات والأبحاث ، كان منها ما هو في مجـــالات النحـــو العربي ، ومنها ما هو في اللغة ، ومنها ما هو في الأدب والنقد الأدبي . " ولئن كان الأستاذ عبـــاس حسن قد نحا في كتبه النحوية منحى علميا بارز السمات ، فقد آنس في ميدان نقد الـــشعر مجـــالا أعمل فيه منهاجه العلمي إعمالا أوفى به على غاية الإمكان . " [١]

وفي ما يلي أسماء مؤلفاته وأبحاثه : -

١- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة ، والحياة اللغوية المتجددة . وقد ألفه خـــلال الفترة الواقعة فيما بين ١٩٥٨ – ١٩٦١ م .وطبع عدة طبعات كانت الطبعـــة الأولى منه سنة ١٩٦١ م صادرة عن دار المعارف بمصر.

وتلتها طبعات أخرى عن دار المعارف نفسها وكانت على التوالي:-

- **الطبعة الثانية ١٩٦١م وأعيدت دون تعـــديلات أو تـــصحيح أو تنقـــيح في الـــسنوات ١٩٦١م، ١٩٦٢م، ١٩٦٣م، ١٩٦٤م، ١٩٦٨م.**
- **الطبعة الثالثة ١٩٦٦م، وأعيدت هذه الطبعة في السنوات ١٩٦٨م ، ١٩٦٩م .**

[١] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٢٢ ، مرجع سابق ، كلمة الدكتور أحمد عمار ، ص ١٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوالت الطبعات إلى أن بلغت الطبعة الثالثة عشرة وصدرت عن الدار نفسها سنة ١٩٩٦م.ويشار إلى أن الطبعة الحادية عشرة والطبعة الثانية عشرة والطبعة الثالثة عشرة كانت قد صدرت جميعها في سنة واحدة وهي سنة ١٩٩٦م.

أما الطبعة التي اعتمدتها في هذه الدراسة ، فقد كانت الطبعة الأولى الصادرة عن دار آوند دانش في طهران / إيران سنة ٢٠٠٤م / ١٤٢٥هـ والتي طبعت في مطابع دار إحياء التراث العربي في بيروت – لبنان .

وقد وقع هذا الكتاب في أربعة أجزاء ، عدد صفحات الجزء الأول فيه ٦٤٥ صفحة وهو من القطع المتوسط . وقد بدأ كتابه بمقدمة أشار فيها إلى منهجه في التأليف الذي اعتمده في هذا الكتاب ، والهدف من تأليفه ، وأشار إلى المراجع والمصادر التي استقى منها مادة بحثه ، إذ قال : " لكنا – على الرغم من ذلك – لم نر من تصدى للشوائب كلها أو أكثرها ؛ ينتزعها من مكانها ، ويجهز عليها ما وسعته القدرة ومكنته الوسيلة ؛ فيريح المعلمين والمتعلمين من أوزارها . وهذا ما حاولته جاهدا مخلصا قدر استطاعتي ، فقد مددت يدي لهذه المهمة الجليلة ، وتقدمت لها رابط الجأش وجمعت لها أشهر مراجعها الأصيلة ، ومظانها الوافية الوثيقة ، وضممت إليها ما ظهر في عصرنا من كتب وبحوث ." [١]

---

[١] حسن ، عباس ، كتاب النحو الوافي ، ج١ ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، مطابع دار أحياء التراث العربي ، آوند دانش ، ص٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وضمنه تسعا وخمسين مسألة بحثها في موضوعات تتعلق بالكلام وما يتألف منه ، وأقسام الكلمة ، والحركات ، والأفعال ، والإعراب والبناء ، والأسماء ، والجموع ، والضمائر ، وأسماء الإشارة ، والمبتدأ والخبر، والنواسخ . وقد عالج هذه الموضوعات وما يتبعها من موضوعات في النحو والصرف في الأجزاء التالية ، حيث جاء الجزء الثاني في ٥١٢ صفحة من القطع المتوسط وضمنه اثنتين وثلاثين مسألة دارت حول بقية النواسخ التي لم يشتمل عليها الجزء الأول ، وبالأفعال القلبية وأحكامها والمفاعيل وأحكامها ، والفاعل وأحكامه ، ونائب الفاعل وأحكامه ، والتنازع في العمل ، والمصادر ، والاستثناء وأحكامه ، والحال وأحكامه ، والتمييز وأحكامه ، وحروف الجر . وتعرض أيضا إلى بحث مستقل يعالج (مذ) و(منذ) من الوجهتين اللفظية والمعنوية ، وما يلحق ذلك من تنبيهات وإيضاحات . وختم هذا الجزء بالتعرض لبحث نفيس لابن جني عنوانه (باب في اللغة المأخوذة قياسا) ناقش فيه بعض القضايا النحوية المتعلقة بالقياس واللغة. وأتبعه بجزء ثالث جاء في (٥٤٤) صفحة من القطع المتوسط ، وضمنه ثلاثا وثلاثين مسألة من المسائل النحوية المتعلقة بالإضافة ، وأبنية المصادر وإعمالها ، وأسماء الزمان والمكان ، وأسماء الآلة ، والتعجب وأحكامه ، وألفاظ المدح والذم ، وعمل أفعل التفضيل ، والتوابع وما يتعلق بها من أحكام . وأتبعه بجزء رابع جاء في ٦٨٥ صفحة من القطع المتوسط ، وضمنه ستا وخمسين مسألة من المسائل النحوية والصرفية المتعلقة بالنداء وأقسامه وأحكام كل قسم ، أسماء الأفعال ، أسماء الأصوات ، نوني التوكيد وأحكامهما ، ما لا ينصرف ، إعراب الفعل المضارع ، نواصبه وجوازمه ، الأحكام الخاصة لجملة الشرط ، والعدد وأحكامه ، التأنيث ، جمع التكسير وأحكامه ، التصغير والنسب وأحكام كل منهما ، الإعلال والإبدال وضوابطهما .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واكتفى عباس حسن بفهرسة مادة كتابه في نهاية كل جزء من أجزائه الأربعة . وتراه في كل جزء منه قد جمع " بين النحو والصرف ، وجعل الدراسة فيه نوعين : أحدهما موجز أعده لطلاب التخصص في العربية ، وجعل مكانه في أعالي صفحات الكتاب . والنوع الآخر مسهب ، أعده لمن يريد المزيد ، واختص به بقايا الصفحات ويكثر أن يتطلب المقام تعليقات على هذا النوع ، فتذهب مواطنها بذيول من الصفحات ." [١]

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب النحو الوافي " يعد مرجعا قيما يمكن أن يعول عليه ، ويستغنى به عن الكتب القديمة الموسعة في النحو "[٢]

٢- اللغة والنحو بين القديم والحديث :-

يعتبر هذا الكتاب " من الكتب المهمة التي تناولت قضية اللغة والنحو بين القديم والحديث وهو العنوان الذي اختاره لهذا الكتاب ".[٣]

وهو كتاب ألفه قبل الكتاب السابق ذكره ، إذ كان تأليفه له على هيئة رسالة نشرها بعنوان (رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية) قبل سنة ١٩٥٧م ، أتمها بمقالات عشر نشرها تباعا في مجلة (رسالة الإسلام) خلال سنتي ١٩٥٧ م و ١٩٥٨م .وجاوزت صفحاتها المائة . وهذا يعني أن جمعها في كتاب واحد كان ضرورة لا بد منها في ذلك الحين ، إلا أنه أرجأ نشرها إلى

---

[١] مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مصر ، ج٤٥ ، مرجع سابق ، ص ١٨٢ .
[٢] علام ، محمد مهدي ، المجمعيون في خمسين عاما ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .
[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقت ظهور الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م بسبب طباعة ونشر كتابين صدرا عن دور النشر في مصر وهما في موضوع واحد هو (أصول النحو وأشهر مذاهبه ومدارسه) .

ولعل كتاب سعيد الأفغاني (في أصول النحو) الذي نشره في طبعته الأولى سنة ١٩٦٣م أحد هذين الكتابين .

ويقع الكتاب في ٣٠٤ صفحات من القطع المتوسط ، وقد جاء هذا الكتاب في مجلد واحد ، يدور القول فيه على نوعين من الدرس والبحث . أما الأول فعن بعض أصول النحو وقضاياه ، كالقياس والعلة ، والعامل . وهي موضوعات سبق إليها القدماء ، فقالوا فيها وعرضوها ، كل على طريقته . ولا يزال القول يتردد فيها إلى الآن في بعض الرسائل الجامعية . أما النوع الثاني : فيدور القول فيه على قضايا لغوية وأدبية شغلت الناس وقتا ما ولا تزال ثمة بقية من الاشتغال بها الآن ، منها الدعوة إلى العامية ، والدعوة إلى الحروف اللاتينية ، والدعوة إلى الشعر الحر.

وقد صدرت منه عدة طبعات كانت الطبعة الثانية منها قد صدرت سنة ١٩٧١م عن دار المعارف بمصر ويعد هذا الكتاب من المراجع المهمة في اللغة والنحو في العصر الحاضر ، ويدرس في كثير من الجامعات لطلبة الدراسات العليا فيها ويعد هذا الكتاب مرجعا مهما في تدريس النحو العربي ويدرس في كثير من الجامعات العربية والأجنبية .

٣_ المتنبي وشوقي : دراسة ونقد وموازنة : وهو كتاب يقع في ٤٣٤ صفحة من القطع المتوسط ،صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥١م عن شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، وفيه إهداء وبيان وفصول تتعلق بالشاعر ورسالته وما نصيب المتنبي وشوقي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منها ، وبالألفاظ وما يتصل بها وحظ الشاعرين منها وبالمعاني وما يتصل بها وحظ الشاعرين منها ، وبالموضوعات والأغراض التي عالجها الشاعران ، وبالحكمة التي أشتهر بها الشاعران واختتم كتابه بالحكم الأخير على الشاعرين واضعاً بعد ذلك فهرسا بين فيه مضمون الكتاب ومحتواه . وقد احتوى هذا الكتاب على " ترجمة موجزة لكل من الشاعرين ، ودراسة لنماذج من شعره في فنونه المختلفة وفي ألفاظه ومعانيه ، ثم دراسة لأخلاقه ومنازع نفسه كما تتمثل في شعره ." [١]

هذا بالإضافة إلى أن هذا الكتاب النقدي الهام يقيم ميزانا للنقد بين الأديبين . " ففضلا عن أنه يعد دراسة تحليلية وافية لكل منهما على حدة . فإنه في موازنته بينهما قد أقام ميزانا للنقد الأدبي بلغ حد الكمال في احتذاء أساليب البحث العلمي الدقيق والعدل القضائي الوثيق ، والنصفة التي تعصب عينيها حتى لا تحيد عن رشد ، ولا تجور عن قصد ." [٢]

ولما لهذين الشاعرين من مكانة مرموقة كان هذا المؤلف فيهما ذا قيمة " وإذ يجمع (عباس حسن) بين هذين الشاعرين في كتابه ذاك فإنما يجمع بين ندين عظيمين ، تجمع بينهما مشابه شتى ، فكل يعد بحق من معالم الشعر العربي في تاريخه الطويل ، " [٣]

وهذا الكتاب القيم أضاف الكثير الذي يمكن إضافته في النقد حيث يعد هذا الكتاب من المراجع المهمة في النقد الأدبي بشكل خاص ، وفي دراسة الأدب والأدباء بشكل عام .

---

[١] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٤٥ ، مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

[٢] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٢٢ ، مرجع سابق ، كلمة الدكتور أحمد عمار ، ص ١٧١

[٣] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٤٥ ، مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- المطالعة الوافية :

وقد ألفه مع مؤلفين آخرين ، ويقع في جزأين وهو مخصص ومقرر في حينه لتدريسه لطلبة التعليم الثانوي في مصر ، ولم أعثر على أية نسخة من نسخ هذا الكتاب .

٥- الأبحاث المنشورة في مجلات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهي :

١- (استعمال صيغتي رئيس ورئيسي) ، وقد ألقاه في المؤتمر الذي عقده مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثامنة والثلاثين المنعقدة في سنة ألف وتسعمائة واثنتان وسبعون ، والمنشور في مجلة المجمع ، ص ١٥٥ – ص ١٥٩ .

٢- (كلمة كيمياء المحدودة والنسب إليها كيماوي) وقد ألقاه في المؤتمر الذي عقده مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخامسة والثلاثين ، ونشره في مجلة المجمع ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .

٣- (بعض الشوائب في النحو) وقد القاه في المؤتمر الذي عقده مجمع اللغة العربية في دورته الخامسة والثلاثين ، ونشر في مجلة المجمع ج٩ ، ص٥٣٠ .

٤- (تحويل الفعل وإلحاقه بالغرائز) وقد ألقاه في المؤتمر الذي عقده المجمع في دورته الرابعة والثلاثين ، ونشر في مجلة المجمع ج ٨ ، ص ٣٥٥ .

٥- (فعول ولحوق التاء بها للتأنيث) وقد ألقاه في المؤتمر الذي عقده مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الرابعة والثلاثين ، ونشر في مجلة المجمع ، ج ٨ ، ص ٣٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- (حول تعبير اشتر أي كتاب) وقد ألقاه في المؤتمر الذي عقده مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخامسة والثلاثين ، ونشر في مجلة المجمع ج ٩، ص ٢٤١ .

٧- (رأي لغوي في استعمال فراغان) وقد ألقاه في المؤتمر الذي عقده مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته السادسة والثلاثين ، ونشر في مجلة المجمع ، ج ٨ ، ص ١٣٠ .

٨- (تعبير رغماً عن كذا ، عن بمعنى من). وقد ألقاه في المؤتمر الذي عقده مجمع اللغة العربية في دورته الخامسة والثلاثين ، ونشر في مجلة المجمع ، ج ٩ ، ص ٢٥٨-ص٣٢٧ .

٩- (الرأي في مثل : ويساوي بالمقادير الحديثة خمسة عشر كيلو متراً ، ويساوي بالمقادير الحديثة بضعة كيلو مترات) وقد ألقاه في المؤتمر الذي عقده مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته السادسة والثلاثين ، ونشر في مجلة المجمع ج ٨ ، ص ١٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

آراؤه في اللغة العربية

وقف عباس حسن من اللغة العربية موقف الدارس المتعمق ، وموقف المحب الـــوفي لهـــا ، وموقف الحامي المدافع عنها وعن علومها ومسائلها التي تعرض لها المغرضون من أعـــداء العـــرب والعربية فحاولوا تشويهها والابتعاد بها عن الانتشار والذيوع والاستمرار ، وحاربوها وأهلها بشتى الوسائل والسبل .فكانت مواقفه الجريئة الكبيرة معلنة عن أستاذ في العربية ونحوها وعلومها ، وعن عالم متمرس استطاع حماية لغته العربية والدعوة إلى تيسيرها للطلبـــة والمـــتعلمين علـــى اخـــتلاف مستوياتهم التعليمية . " وما ذاك إلا لأنه كان وفيا للغته الوفاء كله ، نصب نفسه حارسا لها وحاميا من حماتها ، وما أشقى الحراس ، وما أقسى مهمة الحماة ؛ يعارضـــون ويعترضـــون ، يناقـــضون ، ويصححون ." [١]

كان عباس حسن يرى في اللغة العربية وعلومها سلاحا من أسلحة العلم والثقافة والحضارة العربيـــة ، وإلا لما كان قد " اضطلع بواجب حماية اللغة في حزم وعزم ، بـــل في عنـــف أحيانـــا ،

---

[١] مجلة مجمع اللغـــة العربية ، القاهرة ، ج٤٥ ، مرجع سابق ، كلمة الدكتور إبراهيم مدكور في تأبين عباس حسن ، ص ١٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتسلـــح لذلك بكل ما توفر له من علم ومعرفة . فوقف بالمرصاد لكل شاردة وواردة ، يصحح ما يصحح ، ويرفض ما يرفض ، ويطالب بالأصل والسند ، وكانت أسانيده حاضرة دائما ، ومراجعه مرقمة غالبا ، يعنى بالمبدأ والقاعدة ولا يبيح الخروج عليهما ." [١]

لقد بنى عباس حسن آراءه في اللغة على أسس وأسانيد من معارفه وخبراته وعلمه ، متناولا القضايا والمسائل والظواهر اللغوية التي تحتاج إلى المزيد من البحث والتدقيق والتمحيص والـــدرس المعمق ، فأبدى الآراء وصوب الخطأ وناقش الآخرين وأثبت الصواب ، واستدل بالأدلة واستشهد بالشواهد واحتج بما يمكن أن يحتج به من اللغة وفي اللغة ، مبتدئا في مساره هذا من الظواهر اللغوية التي أساء النظر فيها بعض الدارسين والباحثين من قصار الباع والنظر في اللغة العربيـــة وعلومهـــا وقيمتها القومية والثقافية والحضارية ، وكان ابتداؤه ذاك منصبا على ما كان من غريب الظـــواهر ، والسند في هذه الدراسة على هذا الأمر ما ورد في قوله : " وقد بدا لي فيما تناولته ظاهرتان غريبتان ؛ لهما أكبر الأثر في هذه اللغة وفروعها ، بالرغم مما بينهما من تعارض واخـــتلاف . فأمـــا الأولى : فتلك العنايـــة المعجزة التي بذلـــها الأولون في جمع أصولها ولم شتاتها ، واستنباط أحكامها العامـــة والفرعية وحياطتها بسياج متين من اليقظة الواعية والحيطة الوافية ، والتضحية الغالية ؛ في عـــصور غلبت فيها الجهالة وشاعت الأمية ..... فضربوا بهذا أحسن الأمثال وأبقاها على الدهر.... . وأما الثانيـــة : فأدران وشوائب خالطت آراء تلك الصفوة الممتازة من علمائنا الـــسالفين ، ومازجـــت

---

[١] مجلة مجمع اللغـــة العربية ، القاهرة ، ج٤٥ ، مرجع سابق ، كلمة الدكتور إبراهيم مدكور في تأبين عباس حسن ، ص ١٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراجعهم ، وكتبهم النفيسة ؛ فشوهت جمالها ، وأساءت إليها وإلى مؤلفيها ، وعوقت خطا الإصلاح طويلا ." [١]

رأيه في نشأة اللغة

بحث عباس حسن في نشأة اللغة العربية منطلقا من التساؤل فيما إذا كان الأصل في نشأة اللغات أتوقيفية أم وضعية ؟ فقال : " أطال القدماء الجدل في نشأة اللغات المختلفة ؛ أتوقيفية هي أم وضعية ، أم خليط من هذا وذاك ؟ "[٢]

ويدعونا هذا إلى الوقوف على بعض آراء اللغويين الذين بحثوا في حد اللغة وأصلها ونشأتها ، ويمكن أن نذكر من هؤلاء من كان لهم الرأي الأوضح في هاتين المسألتين ، وما يهمنا في هذا الموضع توقيفية اللغة أو المواضعة عليها ، فابن عباس كان من الذين قالوا بتوقيفية اللغة ، إذ أورد ابن فارس في باب القول على لغة العرب في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة العربية ...) رأيا لابن عباس الذي قال : " علمه الأسماء كلها وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وأشباه ذلك من الأمم وغيرها " وذلك عند الوقوف على الدليل الذي جاء في معنى الآية القرآنية الكريمة في سورة البقرة (وعلم آدم

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ط٢ ، ١٩٧١ م ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص ٥ ــ ١٠

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأسماء كلها)[١] ، إذ يدل رأي ابن عباس على توقيفية اللغة لا على المواضعة عليها .[٢] وابن فارس وبعد وقوفه على آراء من سبقوه والبحث فيما رأوه وقالوه يؤكد ــ في رأيه ــ توقيفية اللغة العربية ، إذ قال : " إن لغة العرب توقيف " [٣] واستدل على ذلك بنص الآية المذكورة آنفا .

وقد اعتمد ابن فارس في رأيه على دليل يثبت به صحة رأيه ، وهذا الدليل وارد في قوله : " إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه ، ثم احتجاجهم بأشعارهم ، ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحا ، لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج لو اصطلحنا على لغة اليوم ولا فرق . " [٤]

ونذكر من أولئك الذين ، أداموا التنقير والبحث في أصل اللغة ونشأتها ، ابن جني الذي قال في باب القول على أصل اللغة في كتابه (الخصائص) بتوقيفية اللغة وإلهاميتها ولم يقل بالمواضعة عليها والاصطلاح ، وقوله جاء في شقين ؛ الأول مبني على كون اللغة توقيفا من الله ، وأنها لغة شريفة كريمة فيها دقة وحكمة ، ومفاد قوله : " إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة ، والإرهاف ، والرقة ، ما يملك عليّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر . فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله ، ومنه ما حذوته على أمثلتهم ، فعرفت بتتابعه وانقياده ، وبعد مراميه وآماده ، صحة ما وفقوا لتقديمه منه . ولطف ما

---

[١] القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية ٣١ .

[٢] بن فارس ، أبي الحسين أحمد ، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، ط١ ، ١٩٩٧ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ١٣ .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ١٣ .

[٤] المرجع السابق نفسه ، ص ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسعدوا به ، وفرق لهم عنه . وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله جل وعـــز ؛ فقـــوي في نفســـي اعتقـــاد كونهـــا توقيفا من الله سبحانه ، وأنها وحي ."[١]

و أما الشق الثاني الذي قال به ابن جني في خصائصه فهو مبني على عدم الجزم بالاصطلاح ولا بالتوقيف ، وهذا مذهب يذهبه ابن جني ويتبع فيه بعضا من اللغويين الذين قالوا قبله باصطلاح اللغة والمواضعة عليها ، ولا شك في أن ذلك دليل على حيرة ابن جني وتردده في الجزم والقطـــع في هذا الموضوع في مرحلة طغت فيها بعض الدواعي والخوالج على تفكيره اللغوي فأثارت فيه النزوع إلى الاحتراز من إبداء رأيه الأول الذي يؤكد فيه توقيفية اللغة ، فاضطر إلى القول بضد ما قالـــه في مذهبه الأول ، ودليلنا على ذلك ما جاء من قوله في خصائصه ، ونص القول هـــو : " ثم أقـــول في ضد هذا : كما وقع لأصحابنا ولنا ، وتنبهوا وتنبهنا ، على تأمل هذه الحكمة الرائعـــة البـــاهرة ، كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا ـــ وإن بعد مداه عنا ـــ من كان ألطـــف منـــا أذهانا ، وأسرع خواطر وأجرأ جنانا . فأقف بين تين الخلتين حسيرا ، وأكاثرهما فأنكفئ مكثـــورا . وإن خطر خاطر فيما بعد ، يعلق الكف بإحدى الجهتين ، ويكفها عن صاحبتها ، قلنا بـــه ، وبـــالله التوفيق ." [٢]

أما السيوطي الذي بحث في آراء جميع السابقين عليه وأوردها في مزهره ليخلص منـــها إلى رأيه في موضوع توقيفية اللغة أو اصطلاحها والمواضعة عليها ، فرجح بعض الآراء ، وعـــرض آراء

---

[١] ابن جني ، أبي الفتح عثمان ، الخصائص ، مج ١ ، ط١ ، ٢٠٠١م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ص ٩٩ .
[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض اللغويين لمجرد العرض ، وحاول أن يثبت من صيغة الآية التي احتج بها ابن فارس ــ وهي قول الله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها)[١] وما تلاها من لغة فيها خطاب عن الغائب الجمع المؤنث أو الغائب المفرد المؤنث ــ أن تلك اللغة تدل على أن الخطاب يجمع بين المذكر والمؤنث في الدلالة والمعنى ولكنه لا يجمع بين العاقل وغير العاقل ، وأن الغلبة لما يعقل على ما لا يعقل ، وهذا سنة من سنن العرب . [٢]

و لذلك فإنه يرى أن اللغة توقيف ، ووقف عند من يقول بأنها جاءت جملة واحدة ، وفي زمان واحد ، في رأي بعض اللغويين ، ولكنها ليس كذلك ، " بل وقف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه ، مما احتاج إلى علمه في زمانه ، وانتشر من ذلك ما شاء الله ، ثم علم بعد آدم من الأنبياء ــ صلوات الله عليهم ــ نبياً نبياً ما شاء الله أن يعلمه ، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فآتاه الله من ذلك ما لم يؤته أحدا قبله ، تماما على ما أحسنه من اللغة المتقدمة ، ثم قر الأمر قراره ، فلا نعلم لغة من بعده حدثت "[٣]

ويقول عباس رأيه في هذا الأمر وبعد بحث معمق مستفيض ، ومنه قوله :" ولست أرى رأي التوقيفيين في قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها)[٤] وأن المراد من الآية أن آدم حين ظهر في الوجود شاهد وأحس من حوله الأشياء التي يموج بها الكون ،.... فعلمه الله (بالقوة أو بالفعل)

---

[١] القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية ٣١ .

[٢] السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، مرجع سابق ، ص ٩، بتصرف .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ٩ .

[٤] القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسماء جميع المسميات لا فرق في ذلك بين ما يحيط به عن قرب ، أو بعد ، ولا بين ما هـو قـائم في عصره ، وما سيوجد في العصور المستقبلة . فإذا وافق العقل (وليس ما يمنع من موافقتـه) أن الله علمـه بالقوة أو بالفعل أسماء ما يحيط به ، فهل يوافق على أنه علمه ما ليس محيطا به ، ولا قريبـا منه ؟ إذ ما فائدة هذا التعليم ؟ وما الغاية منه ؟ وهل يستطيع أن يدرك هذه الأسماء كلها ويحـتفظ بها ؟ وهبه استطاع أن يحتفظ بأسماء ما في عصره فهل يستطيع أن يحتفظ بأسماء مـا في العـصـور المستقبلـة كلها بعده ، ويعي اللغات المنتظرة ؛ من هندية ، وفارسـية ، ويونانيـة ، وفرعونيـة ، وعربية ، وفرنسية ، وألمانية ، و . ، . و... و ... ؟ " [1]

ويستمر في طرح الأسئلة والافتراضات ليصل من خلالها إلى إجابة قد تكون مقنعة ، ومـن هذه الأسئلة أيضا ، نورد ما يعـبر بـه عبـاس حسـن عـمّا يراوده وما يجول في ذهنـه مـن أفكار ومعتقدات وتصورات ، يمكن أن يكون بعضها دالا على أسلوبه في التفكير اللغـوي الـذي يؤدي به إلى إبداء آرائه اللغوية مشفوعة بمسوغاتها ومبرراتها وأدلتها وحججها ، ودليل ذلك أنـه يقول : " وهبه استطاع هذا المستحيل العقلي ، فهـل علمـه أبنـاءه في عصـره ، وقدروا عليه كأبيهم ؟ وما فائدته لهم ؟ وما الغرض مـن تعليمهم لغات الأرض جميعا ؛ حاضـرها ، وقابلـها ؟ وهل نقلوها على هذا الوجه إلى البنين والحفدة ؟ وماذا صنع هؤلاء ، ولا سيما بعد حادث الطوفان

---

[1] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المشهور الذي لم ينج منه إلا نـــوح ، ومـــن كان معـــه في سفينته ؟ فهل حمل النـــاجون – ومـــا أقلهم – اللغات كلها قديمها الموروث وحاضرها القائم – بالنسبة لهم – ومستقبلها المنتظر ؟ "[١]

وبعد هذه الأسئلة يبدي عباس حسن رأيه في جانب من جوانب هذه القضايا التي لا بد من توظيف العقل في التفكير فيها وتدقيقها والوقوف على الغث والسمين فيها ، فيرفض العقل ما يخالف طبيعته ويقبل ما يوافقها ، وفي هذا الصدد يقول : " إن العقل لا يتردد في رفض هذه السلسلة مـــن المستحيلات ، ولا يتوانى أن يقرر وضعية اللغات إن لم يكن من أول نشأة الإنـــسان ، أو مـــن أول ظهوره على الأرض بعد الطوفان ."[٢] وهذا يعني أن التفكير اللغوي عنده يقوده إلى وضع أصـــول ومبادئ تستند إلى العقل والمنطق ، ليتمكن اللغوي من التوصل إلى النتائج .

مراحل تطور اللغة

ويرى عباس حسن أن اللغة العربية كغيرها من اللغات الأخرى ، لها بداياتها الأولى ولهـــا مراحل تطـــور ونماء ، ومراحل ازدهار وتألـــق واتســـاع ونضوج وإنتاج ، فهو يقـــول في هـــذا الشأن : " بدأت حياتها ضعيفة الإبانة ، عاجزة الأداء ، معدودة الكلمات ؛ شأن اللغـــات جميعـــا . اتخذها أهلها الأولون في فجـــر الـــتاريخ وسيلـــة للتفـــاهم المحدود ، والترجمـــة عن أغراضـــهم

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٣ – ١٤ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البدائية القليلة ،مستعينين على النطق بما وهب الله لهم من سليقة تمكنهم من خلق الألفاظ ، وابتكار الكلمات تارة ، و تارة محاكاة الطبيعة ...."[١]

ومرت اللغة العربية – في رأيه الذي لا يخالف فيه آراء اللغويين – بمراحل التطور اللازمة التي هيأت لها نموها وتطورها وارتقاءها التدريجي الذي لا شك في أنه كان على منهج وسنة لا تخرج عن سنن التطور التي أرادها الله تعالى لهذه اللغة ، إذ يقول في ذلك : " سارت اللغة على هذا النهج طويلا ؛ حتى قطعت مرحلة طفولتها ، كما قطع أهلها مرحلتهم البدائية الأولى ، فلما دخلوا في المرحلة الثانية ..... دخلت معهم اللغة في طور الصبا ...." [٢]

ويستمر واصفا تطور اللغة العربية في المرحلة الثانية من مراحل تطورها ، مبينا أثر محاكاة أصوات الإنسان لأصوات الطبيعة والموجودات من حوله ، حتى صار للغة أوضاع وضوابط وقواعد تسمها بالسمات اللغوية ، وتعطيها إطار الكينونة اللغوية التي لها قضاياها وظواهرها وعلومها التي يمكن أن تدرس وتعلم لمن أراد أن يتعلمها في كل مهاراتها ومستوياتها المختلفة ، وهذا تأييد من عباس حسن لآراء الوضعيين ، حيث يقول : " ولكن المحاكاة في هذه المرحلة الثانية قد امتدت إلى ناحية لم تمتد لها من قبل ؛ فلم تقتصر على محاكاة الطبيعة ، بل تناولت الأصوات التي ابتكرتها القبائل ، والجماعات المتفرقة في المواطن المختلفة ..... في الطورين السالفين لم يكن لهذه الألفاظ والأصوات (التي نسميها : اللغة) أوضاع ثابتة ، ولا ضوابط مطردة ، ولا قواعد محدودة ؛ بل

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٤.

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان الأمر متروكـــا للناطقين ؛ يلفظـــون كما يشـــاءون ؛ لا يعصمهم عاصـــم ؛ ولا يكـــبحهم ضابط ... ."[١]

وينتقل إلى الطور الثالث من أطوار تطور اللغة العربية فيبين بأنه طور يميز اللغـــة بـــشبابها وفتوتها ، وأنه طور لابد منه للوصول إلى الطور الذي يليه ، وهو الطور الذي تكون فيه اللغة قادرة على اجتياز نموها وشيوعها وذيوعها واتساع نطاق توظيفها واستعمالها وبما يدل على نضجها وقوتها واستقرارها وقدرتها على البقاء والاستمرار ، فقال : " حتى إذا دخلت طور الشباب الفتي ... وهو الطور الثالث الذي تنتهي به المرحلـــة الأخيرة من جاهليتها ـــ تغيرت حالها، واجتازت طريقها إلى النضج ، والقوة ، والاستقرار ."[٢]

ويرى عباس حسن أن الطور الأخير كان طور الاستقرار والثبات النسبي الذي آلت إليـــه اللغة العربية ، فقال : " ذلك ما انتهت إليه اللغة العربية في آخر جاهليتها ؛ فلم تكد تبلغ نهاية هذه المرحلة بعد عصور وأحقاب طويلة المدى حتى كانت أوضاعها العرفية قد اســـتقرت في النفـــوس ، على وجه يجعلها ملكة أو ما يشبه الملكة ، وضوابطها المتوارثة قـــد وضـــحت مـــع رســـوخها في الأذهـــان ، كأنهـــا إحـــدى السجايـــا الفطريـــة ، وجـــرى أهلها علـــى ســـنن ثابـــت ـــ أو

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص١٥ ــ١٦

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالثابت ــ في صوغ الكلمة، وضبط حروفها ، وبناء الجمل والأساليب ، وما يصحب هذا أو يتبعه من تقديم ، وتأخير، وحذف ، وزيادة ، وإثبات ، وتغيير ....."[١]

قضية جمع اللغة وتدوينها

أ ــ لغات القبائل التي احتج بها

بحث عباس حسن في قضية جمع اللغة وتدوينها ، وعمّن أخذت هذه اللغة التي يحتج بها ، فأخذ بما أخذ به الذين سبقوه في هذا الأمر ، وهو تحديد القبائل العربية الست التي أخذت عنها اللغة العربية الفصحى الخالية من الدخيل ، فوضح ما يراه بقوله : " وكل ما نعلمه أن علماء اللغة عندما أرادوا أن يدونوها عمدوا إلى أخذ أكثرها من القبائل الست الضاربة في وسط شبه الجزيرة العربية (تميم ، قيس عيلان ، هذيل ، طيء ، أسد ، وكنانة ....) وأخذوا قليلا من لغات القبائل الفصيحة القريبة من تلك..."[٢]

ولا بد في هذا الموضع توضيح جانب مهم من جوانب هذه المسألة ، وهو المتعلق بلغات القبائل العربية التي احتج بها ، إذ ذكر السيوطي أن لغة قريش كانت أفصح لغات العرب وأجودها . وذكر سندا يستند إليه في هذا الأمر ، وهذا السند ما قاله أبو نصر الفارابي[٣] في كتابه المسمى بـ (الألفاظ والحروف) ، إذ قال : " كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص٦٣ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٦٣ .

[٣] ليس الفارابي الفيلسوف وإنما الفارابي اللغوي النحوي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الألفـــاظ ، وأسهلهـــا على اللسان عنـــد النطق ، وأحسنها مسموعا ، وأبينها إبانـــــة عمـــا في النفس ؛ والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي ، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائـــــل العرب هم : قيس ، وتميم ، وأسد ؛ فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخذ ومعظمـــه ، وعلـــيهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ؛ ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخـــذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . " [١]

ووجد السيوطي أن أخذ اللغة للاحتجاج بها لم يكن عن حضري قط ولم يكن عن ســـكان البراري ممن سكنوا أطراف البلاد العربية ، وذكر أنه لم يؤخذ من قبيلة لخم ولا من قبيلـــة جـــذام لمجاورتهم أهل مصر ، كما لم يؤخذ من قضاعة ولا غسان ولا إياد لمجاورتهم نـــصارى الـــشام ، ولم يؤخذ من قبيلة تغلب ولا من قبائل اليمن لمجاورتهم اليونان ، ولم يؤخذ أيضا من قبيلة بكر لمجـــاورتهم للقبط والفرس . على اعتبار أن هؤلاء وغيرهم قد نقلوا لغة ربما أفسدت ألسنتهم بسبب المخالطـــة والمصادفة .

وقد نتج عن ذلك خلاف في الزمن الذي يمكن وضعه معيارا ضابطا للغـــة الـــتي أخـــذت للاحتجاج بها ، فحدده البعض الأغلب في ما بعد نصف القرن الثاني للهجرة بقليل ، ومن ثم فقـــد كان لقضية الزمن وتحديد اللغة وتحديد القبائل والاختلاف فيها أثر كبير على النحو مـــن خـــلال القصور والاضطراب الذي أصاب قواعده وأصوله ، وفي هذا الصدد قال عبـــاس حسن : " وكان

---

[١] السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، مج١ ، مرجع سابق ، ص ٢١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهذا الاختلاف أثره الواضح بعد ذلك في النحو وقواعده ... فجاءت قواعد قاصرة ، مضطربة لانتزاعها من تلك اللغات المختلفة ، ومن بعض القبائل دون بعض ... " [١]

لقد اتخذ عباس حسن من اللغة وظواهرها وقضاياها ومستوياتها قواعد ينطلق منها عند البحث في النحو وقضاياه ومسائله بحثا يكون فيه إما عارضا وواصفا أو يكون فيه محللا ، أو يكون فيه مفسرا ومعللا ، أو يكون فيه مناقشا يبحث عن تخريج للمسألة النحوية يتطابق مع طبيعة اللغة ووظيفتها ودلالاتها ، وبعد ذلك تسعفه اللغة في التوصل إلى أن يكون إما معارضا للنحاة أو يكون مؤيدا لهم أو يكون محايدا يستحسن فعل من سبقوه أو يفضله أو لا يقف من المسألة إلا موقف الشارح المفصل والمعرب المبين لزواياها وجوانبها اللغوية والنحوية والصرفية والتركيبية والدلالية ، ولذلك غالبا ما كان يعود إلى الطريقة التي استخدمها اللغويون في جمع اللغة وتصنيفها وتبويبها وتدوينها ، وفي هذا الصدد يؤكد عباس حسن أن هذه الطريقة أو الطرائق كانت شاقة على النحاة وتحتاج إلى وقت كاف يمكن من الوصول إلى تحقيق الأهداف المنشودة من جمع اللغة وحصر ألفاظها ومفرداتها وتراكيبها وأنساقها التعبيرية ومقاصدها التي دفعت اللغويين إلى أن يكتشفوا ما يجب اكتشافه من علوم اللغة العربية التي ترعرعت في كنف أصول الفقه وفي كنف علم التفسير وفي كنف الفلسفة وفي كنف النحو ومدارسه أخيرا ، أما طريقتهم الأولى والمهمة في جمع اللغة فقد كانت " وقفا على السماع من أفواه العرب الخلص ؛ يذهبون إليهم في البوادي العربية ، ويحتملون

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقسى المتاعب في ذلك ، كي يلتقطوا من أفواههم كـــلمة ، أو يسمعوا منهـــم بيانـــا وشرحا ، أو يلتقطوا منهـــم طرائـــق الصياغة والنطق ،وإلقاء الكلام ...." [١]ولا شك في أنهم قد تحملوا كثيرا من الأعباء والمتاعب والمشاق في سبيل إنجاز هذه المهمة التي لولاها لبقيت اللغة العربية متأخرة زمنا آخر يصعب التكهن بمداه.

وتجدر الإشارة هـــهنا إلى أن عباس حسن قد اهتم ببعض الجوانب المتعلقة باقتـــصار جمـــع اللغة علـــى القبائل العربية الست التي ذكرها في موضع في كتابه (اللغـــة والنحـــو بـــين القـــديم والحديث) مبينا رأيه في أن ذلك الاقتصار كان في مستوى ليس هو المستوى الذي يقف عند حـــد يعالج جميع مشكلات جمع اللغة وتدوينها واستخراج قواعدها ونحوها ومسائلها المهمة عندما تـــؤدي اللغة وظيفتها عند الاستعمال والتداول ، فكان ذلك الاقتصار على القبائل الست في أخذ اللغة قد ولد ــ بالإضافة إلى مشكلة القياسي والسماعي ــ مشكلات أخرى جعلت اللغويين يفكرون بعمق أكثر منطلقين من فكر لغوي يؤطره فكر نحوي لازم يخدم اللغة ويحل المشكلات اللغوية الحادثـــة ، وموقف عباس حسن من هذا كلـــه يعزوه إلى اقتصارهـــم علـــى لغـــات القبائـــل العربيـــة الست المذكورة ، حيث يقول : " وبسبب الاقتصار بالأخذ عن القبائل الست صح القـــول بـــأن خطـــة النحاة في هذا الاقتصار قد ولدت المشكلة السالفة ، ومشكلات أخرى ؛ نعـــرض الـــساعة

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاثنتين منها : أولاهما : أن يـــنطق عربي من تلك القبائل الست منها بلغة معينة ، معروفة النسب ، ولكنها لقبيلة غير قبيلته .

ثـــانيتهمـــا : أن ينطـــق عربـــي منهـــا بلغة لقبيلة غير معينة وغير معروفة الاسم والكنه المميز لها من سواها . " [١]

ولقد استند عباس حسن في رأيه على آراء بعض اللغويين ، إذ استقى منها موقفه من لغات العرب وما يحتج به منها ، سواء أكان ذلك قياسيا أم سماعيا أم شاذا أم نادرا ، أم كان مؤديـــا إلى وجود الخلاف في اللهجات ، لأن اختلافات النحويين كانت مبنية على اختلافات اللغـــويين فيمـــا يحتج به وفيما ليس بحجة ، حتى وإن كان مسموعا عن عربي ، واتفق بعضهم على أن ما ينطق بـــه الأعرابي لا بد أن يكون حجة ولم يسند إلى عربي ينطق العربية الفصيحة خطأ يفسد اللغة أو يـــسيء إليها حتى وإن لم يكن ما نطق به حجة أو متداولا . وهذا ما جعل عبـــاس حـــسن يـــركن إلى آراء اللغويين الموضوعية والمنطقية في هذا الموضوع ، ولذلك فقد وجدناه يركن إلى قول أحدهم وهو ابن جني الذي قال في خصائصه : " فإذا كان الأمر في اللغة المعول عليها هكذا وعلى هذا فيجـــب أن يقل استعمالها ، وأن يتخير ما هو أقوى (وأشيع) منها ؛ إلا أن إنسانا لو استعملها لم يكن مخطئـــا لكلام العرب ، لكنه كان يكون مخطئا لأجود اللغتين . فأما إن احتاج إلى ذلك في شعر أو ســـجع فإنه مقبول منه ، غير منعي عليه . وكذلك إن قال : يقول على قياس من لغته كذا وكذا ، ويقـــول

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٨٢– ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على مذهب من قال كذا كذا . وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من (لغات العرب) مصيب غير مخطئ ، وإن كان غير ما جاء به خيرا منه . "[١]

ولكن صادف النحاة ما يخالف ما جمعه اللغويون مما أدى إلى رفضه والحكم عليه بالشذوذ والندرة أو الضعف أو الخطأ. " فإذا نطق أحدهما بما يخالف ما جمعه اللغويون وما استنبطه النحاة من هذه اللغة المجمعة كان كلامه مرفوضا عند الجامعين ، محكوما عليه عند النحاة بالحكم المسلط على نظائره ؛ وهو : الشذوذ ، أو الندرة ، أو التأويل ، أو الضعف ، أو الخطأ (مع أن الأعرابي لا يخطئ على الصحيح .)" [٢]

وعند الأخذ بالحكم السابق الذي اعتمده عباس حسن ، نجد أن فيه من الفوضى والاضطراب اللغوي الكثير مما يمكن التعمق في التفكير فيه وحل مشكلاته دون إخلال بأي جانب من جوانب التمييز بين مفردات اللغة وألفاظها وأنساقها التي تندرج تحت اللهجات اللغوية العربية التي لا داعي لإثارة الخلافات بين النحويين حولها ، وبخاصة أن النحو ينطلق من اللغة ولا تنطلق اللغة من النحو ، وهذا الأمر قاد عباس حسن إلى أن يرى رأيه الذي لا يقف مع الخلاف بقدر ما يقف مع وجوب الاتفاق بين النحاة ، فقال : " وبديه أن الأخذ بهذا الحكم معناه القضاء على نوع من الكلام السليم الصحيح بغير مسوغ مقبول ، فوق ما فيه من فوضى لغوية تبعث

---

[١] ابن جني ، أبي الفتح عثمان ، الخصائص ، مج ١ ، مرجع سابق ، ص ٤٠٠

[٢] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآراء المتناقضة ، وتثير أنواعا قبيحة من الخلاف المذهبي بين المجتهدين والباحثين ... " [١]

لذلك ، فإن عباس حسن في موقفه من آراء النحاة كان واضحا غير متردد إذ يعلن رأيه وهو على علم بأن أي شيء في اللغة ــ قديما أو حديثا ــ قد تعرض للبحث والدرس والتقعيد بمثل ما تعرض للنقد والتوجيه والتصحيح ، وهو في هذا الزمن المتأخر على اللغويين والنحويين القدامى لا يخشى ولا يتردد في الجهر برأيه في الحكم الذي يتناسب مع طبيعة اللغة وطبيعة النحو وطبيعة الباحثين وأساليبهم ومناهجهم في البحث والدرس ، وفي ذلك يقول : " ولست أتردد في الجهر بأن هذا الحكم خاطئ هنا وظواهر الخطأ بينها الثقات الأعلام ." [٢]

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٨٣.

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكي يؤيد رأيه هذا بالأدلة والبراهين ، فإنه يحتج بأمثلة " وما أكثر الأمثلة التي توضح هذا النوع من الفساد والاضطراب ، وما جلب على طلاب النحو والمشتغلين به من متاعب علمية وعملية . " [١]

ولم يقف عباس حسن عند أمثلة قليلة في هذا الباب النحوي ، وإنما وجد أمثلة كثيرة لا مجال لذكرها ، ويمكن من قليلها أن نكشف عن آرائه اللغوية في مثل هذه المسائل اللغوية ، وقد أشار إلى كثرة الأمثلة في هذا السياق ، واقتصر على سرد بعض النظائر منها ، وأكد ذلك بقوله : "

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ص ٨٣ – ٨٤ .وفيها ورد :ومن هذه الأدلة والبراهين التي احتج بها نورد المثال التالي ، حيث يقول : " قال صاحب التصريح في شروط إعمال (ما) ، عمل ليس ... ما نصه : (ومن شروطها : ألا يتقدم الخبر على الاسم ، وأما قول الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر

فقال سيبويه : شاذ ؛ ولا يكاد يعرف . وقيل : غلط . وأن الفرزدق تميمي لم يعرف شرطها عند الحجازيين ؛ فغلط فيها . وفيه نظر . فإن العربي لا يطاوعه لسانه أن ينطق بغير لغته كما قال سيبويه .) ، ثم قال المقرر (ياسين) على الهامش ما نصه : (الذي قاله سيبويه هو أن العربي لا ينطق بالخطأ . ويجوز أن ينطق بغير لغته، كما بيناه في حاشية الألفية ، في باب ما لا ينصرف .) " ويستغرب عباس حسن الرأي المنسوب لسيبويه ، وبادر إلى باب ما لا ينصرف في كتاب : (التصريح) ووقف على التناقض والتضارب في الآراء ، ووقف على ما قيل في (فعال) علما للمؤنث : (إن أكثر بني تميم يبني ما آخره راء على الكسر ، والأقل يعربها ، وإن اللغتين اجتمعتا في قول الأعشى ميمون :

ومر دهر على وبارٍ فهلكتْ جهرةً وبارُ

وبين ما قاله المقرر ياسين على الهامش ، إذ قال : (" وقد اجتمعت اللغتان " قال الدنوشري : إن هذا الشاعر لا يخلو من أن يكون من غير بني تميم ، أو منهم . وعلى تقدير كونه منهم لا يخلو من أن يكون من الكثير منهم ، أو من القليل الذين يعربون ما آخره راء ، ولا يبنون كالأكثر فإن كان الأول أشكل الحال ، وعلى الأول من الثاني يشكل بأن الكثير لا يعربون وعلى الثاني منه يشكل بأن القليل لا يبنون) .... " واستطرد عباس حسن في ذكر آراء اللغويين والنحويين وما احتجوا به من الشواهد الشعرية ، وفي وجود لغتين أو أكثر عند العرب في الأسماء وفيما ينصرف وما لا ينصرف وفي القياس وفي السماع وفي البناء وفي الإعراب ، .... ، وعارض من يخطئ متكلما بإحدى اللغتين على اعتبار أنه يتكلم بلغة قبيلته وبلغة قبيلة أخرى من القبائل العربية ، ولا يكون مخطئا إذا فعل ذلك ، وهذا هو الصواب .

ويؤكد أن اختلاف العرب في لهجاتهم لا يعني الخطأ عند الكلام بها مجتمعة في آن واحد معا ، إذ ربما يكون المتكلم لا يقصد الخلط بين اللهجات ولا يقصد الخطأ فيها ، وإنما يريد التعبير بما يناسب ذلك من ألفاظ وتراكيب ورد بعضها في لهجة من لهجات العرب ولم يرد في بعضها الآخر في اللهجة العربية نفسها ، و لا يكون في ذلك خطأ . وفي هذا الشأن يقول عباس حسن : " جاء في شرح التوضيح ، باب الممنوع من الصرف ، (ج٢ ص ٢١٣) ما نصه : [لا يقال(سكرانة).] وأما ما نقل عن بني أسد من أنهم يقولون : (سكرانة) ، ويصرفون كلمة : سكران ، فقال الزبيدي : ذكر يعقوب أن ذلك ضعيف رديء . وقال أبو حاتم : لبني أسد مناكير لا يؤخذ بها ... وجاء صاحب التقرير على الهامش فقال : (قوله : وقال أبو حاتم ..) وجه كونها مناكير أنها مخالفة للغات الفصيحة . وقد يقال : كيف ينكر عليهم ما هو لغتهم التي طبعهم الله عليها ؟ "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذا المثال يقال ما سبق في غيره وفي مئات من نظائـــره التي لم أسردها . وحين أقول (مئات) فإنما أقصد الحقيقـــة العدديـــة المعروفة اليوم من غيـــر مبالغة في التقدير ولا إسراف ."[١]

وقد أراد عباس حسن أن يبين أثر اللغة واستعمالاتها المؤدية إلى توظيف النحو في ذلك على ما أصاب النحو العربي من الخطأ والخلط والشوائب ، لعله يستطيع بيان ذلـــك ومعالجـــة جوانبـــه لتكون تلك المسائل النحويـــة في متنـــاول الباحـــث والطالـــب علـــى حـــد سواء ، إذ قـــال في هذا الشأن : " من ذلك كله يتبين ما في النحو من شوائب الخلط والاضطراب ؛ وعدم الاستقرار . ولها من سيء الآثار ما وصفنا وما لم نصف .وازدادت المشكلة تعقيدا بازدياد هجرة العرب (سواء أكانوا من القبائل الست أم من غيرها) . إلى الأمصار الجديدة ؛ كالبصرة ، والكوفة ، وبغـــداد ، ودمشق وحواضر المغرب ، والأندلس وغيرها ؛ فضربت القبائل النازحة هناك بخيامها ، واســـتقرت كل قبيلة بمصر ، وتكلموا فيه بلسانها الأول ، وبلغتها ولهجتها التي كانت تصطنعها قبل هجرتهـــا ؛ فتباينت اللغات واللهجات في المواطن الجديـــدة ، تباينها في المواطن القديمة ، بل زادت ، وصـــار لكل مصر لغة ـــ بل لغات ـــ تختلف قليلا أو كثيرا عن لغة غيره من الأمصار ، بقـــدر الاخـــتلاف القديم بين لغتيهما قبل الهجرة من موطنهما الأصيل في شبه الجزيرة العربية ، بل أكثر . " [٢]

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص٩٠ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٩٠ – ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عصور الاحتجاج والتوثيق

ومن هنا تأثر التفكير اللغوي عند عباس حسن تأثرا شديدا باللغة التي احتج بها وباستعمالاتها ، كما تأثر بما أصاب النحو من الشوائب والخلط والاضطراب ، وبما نتج عن هجرة بعض القبائل العربية إلى الأقطار والأمصار من حيث اختلاط لهجتها الأصيلة بلهجة أهل ذلك القطر أو المصر الذي استوطنته ، إذ ظهر بعض التباين والاختلاف في اللغات واللهجات في المواطن الجديدة مما أدى إلى تعدد اللهجات واللغات القبلية بصورة لا يمكن تجاهلها أو إغفالها ، وكل ذلك قاد تفكيره اللغوي إلى التركيز بالدرجة الأولى على العودة إلى اللغة العربية الأولى ولهجاتها المتعددة وانطلق في بحثه فيها من عصور الاحتجاج والتوثيق واللغة التي تم جمعها وتصنيفها وتبويبها وتدوينها في تلك العصور ، إذ تبينت له مشكلات تتعلق بهذه اللغة ، وما دور اللغويين الأفراد ومجامع اللغة العربية في الوطن العربي في حل بعض تلك المشكلات ، وتناول الموضوع على اعتبار أنه مشكلة نابعة من مشكلات عصور التوثيق والاحتجاج ، وقد كان للمجمع اللغوي القاهري دور هام ورأي صريح فيها ، اعتمده عباس حسن لإثبات رأيه إذ قال : " وقد تجرد المجمع اللغوي القاهري لهذه المشكلة ، وراقبها من مختلف مناحيها وانتهى فيها إلى رأي صريح قاطع هو : (أن العرب الذين يوثق بعربيتهم ، ويستشهد بكلامهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع) . " [١]

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ص ١٣٨ – ١٣٩ ، نقلا عن مجلة المجمع ج١ ص ٢٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى عباس حسن ضرورة الأخذ برأي المجمع وأن الأخذ به أولى وأنسب ومن ثم كان الواجب تأييده قولا وعملا . [١]

ويشير عباس حسن إلى المثقفين الذين لم يرضوا برأي وقرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ولعله يستغرب منهم ذلك ، فقال : " لم يرض عن هذا القرار المجمعي كثير من المثقفين ، فقد عجبوا أن يرفض المجمع الاستشهاد بزعماء البيان في العصور المختلفة التي جاءت بعد التحديد ، كأبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، ....وأشباههم من الشعراء. وكالجاحظ ،وابن خلدون ، والمويلحي ، ومحمد عبده ، وأمثالهم من كبار الناثرين . وغير هؤلاء وأولئك من رجالات اللغة والعلم والأدب ." [٢]

لقد احتج عباس حسن في ذلك بالحجة نفسها التي احتج بها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في إثبات من يحتج بلغتهم من العرب وما اللغة التي يحتج بها وما أزمنة الاحتجاج المناسبة ، والرأي المتطابق مع الحجة مفاده قرار المجمع الذي نصه : " إن العرب الذين يوثق بعربيتهم ، ويستشهد بكلامهم ــ هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني ، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع ." [٣]

وكان لهذا القرار المجمعي أثر كبير في آراء كثير من المثقفين العرب ، ولكن الزعامة الأدبية ليس لها ضوابط ولا علامات وإشارات خاصة تجعل المثقفين يسيرون عليها في الحكم على شخص

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ص ١٣٩ ، بتصرف .
[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٥ .
[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دون آخر بالزعامة والأفضلية ، مما أدى إلى ظهور حل لهذه المشكلة تجلى في الجزم بـأن الموضـوع بعيد عن الشخصنة والعينية ، ولا يكون شخص مفرد أو أشخاص قلة يتم اتخاذهم مقياسـا للغـة يتحدث بها قوم أو قبائل أو قوميات ممتدة ولذلك لا بد من تأييده وتأييـد المجمـع في مـا ذهبـوا إليه ، والمسوغ في ذلك جزء منه مبين في قوله : " وشيء آخر كان حقيقا بالتدبر والاعتبار ؛ هـو أن مؤهلات الزعامة الأدبية والتوثيق اللغوي لا ضابط لها ، ولا تقويم . وليس لهـا مـن العلائـم الموضحة ، والأوصـاف المخصصة ـــ ما يجعل جمهور المثقفين يعرفها ويحكم بها على شـخص دون آخر ، من غير أن يثير حكمه جدلا وخلفا وحيفا." [١]

ويحترز عباس حسن من عدم التقييد والتحديد ، حيث إن ذلك يثير مشكلات أخرى غير المشكلات السابقة ، مما يشكل عسرا على اللغة وتطورها واستيعابها للحضارة وعلى مـتعلم اللغـة الذي يقبل على الميسر منها أكثر مما يقبل على المتعسر منها . ولذلك ، فهو يقول : " ولو فتحنا هذا الباب ـــ باب التوثيق بحجة : (الزعامة الأدبية) ، أو اللغوية أو أشباهها ـــ من غـير تقييـد ولا تحديد ؛ لدخل منـه كـل طامع في التوثيـق بحق وغـير حق ، وتعـسر الإنـصاف ، وعمـت الفوضى .ولنا من عصرنا الحاضر ما يوضح خطأ هذا الرأي ، ويؤيد فساده . " [٢]

ويفترض عباس حسن افتراضات لعلها في محلها إذا ما وجدت أسئلته التي تحمل في طياتهـا كثيرا من الافتراضات ، إجابات عليها مدعمة بحجج وأدلة من متون اللغـة وقواعـدها ، وهـذه

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأسئلة التي أدرجها تبحث في المعايير والموازين والروائز التي بها يوزن ويراز رجال العلـــم والأدب والثقافة ومن هم في مراتبهم من أهل الحكمة والرأي ، أمثال عباس حسن ، الذين يؤخذ بـــآرائهم ويقتدى بأحكامهم ، ولو كنت في موقفه هذا لتساءلت كما تساءل ولافترضت الافتراضات كمـــا افترض ، ولذهبت في الرؤية والرأي والحكم إلى ما ذهب إليه ، ولا سيما مذهبه الذي يتجلـــى في قوله : " فهبنا رضينا الأخذ به ، وقبلنا توثيق رجالات الأدب واللغة ـــ فمن رجالات اللغة والأدب اليوم ؟ وبأي الدلائل نستدل عليهم ، وننتقيهم ؟ وكيف نتزلهم منازلهم ، ونرفع بعضهم فوق بعض درجات ؟ ومن هؤلاء المحكَّمون الأطهار المتزهون الذين ندع لهم مهمة الاختيار والحكم ؟ وعلى أي أساس بريء من الشوائب يتم اختيارهم لهذه المهمة الجليلة ، التي تقتضي علمـــا واســـعا باللغـــة ، وبصرا بالفنون والآداب وحسا مرهفا ، وذوقا ناضجا . فوق ما تتطلبه مـــن شـــجاعة في الحـــق ، وصراحة في الرأي ، وسمو عن الهوى ؟ من لنا بهؤلاء ؟ ولو صادفناهم أفـــنتزل عنـــد حكمهـــم ، ونرضى ما يرتضون ؟ إن الحياة الواقعة ، والحوادث المحيطة بنا ـــ تجيب في غير تردد لا ." [١]

ولما اتّهم هذا التحديد المجمعي بالتضييق والإعنات للمشتغلين بالأدب واللغـــة ،فقـــد رأى عباس حسن أن الأمر أبسط مما تصوره البعض ، فقال : " ولست أرى في هذا التحديـــد المجمعـــي تضييقا ولا إعناتا للمشتغلين في الأدب واللغة كما يدعي المدعون ، فعندهم من وســـائل التوســـعة والتيسير ما يفتح الطريق أمامهم ، ويبيح لهم التحرر في غير إباحية ولا جمود . " [٢]

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٦ – ٢٧ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولو نظر هؤلاء نظرهم إلى القبائل العربية ولغاتها بصورة جزئية ، وإلى اللغة العربية بصورة كلية ، لتبين لهم أن الأمر خال من التخطئة لمتكلم يتكلم لغة قبيلته أو لغة قبيلة أخرى غير قبيلته أو يتكلم اللغتين معا ، ولتبين لهم أيضا أن الأصول اللغوية في العربية واحدة رغم وجود تنوع في لهجاتهم ، ولو تساءلوا كما تساءل عباس حسن لوجدوا أن صحة اللغة العربية تأتي من قياس ، ومن سماع ، ومن تعريب ، ومن ترجمة ومن نقل ، ومن نحت واشتقاق ، ولا سيما أن النحت والاشتقاق يأتيان من مشكاة واحدة زيتها الصوت العربي البين ، وفتيلها المعنى والفكر والوجدان العربي الذي جعل القبائل تترجم أحوالها وشؤونها بلغة تستدعي أوضاعها وطبيعتها أن لا يكون هناك تساو بين لهجات القبائل مطلقا ، وإنما تكون هناك سعة على مستوى اللهجة الواحدة صوتا وتركيبا ونحوا وصرفا ودلالة . ولكن التساؤلات لاتتوقف عند عباس حسن ، وهذا منهج قلما يتقنه الباحثون ، لأن جميع تساؤلاته لا تكفيها إجابات سطحية مبتورة غير واضحة ، وإنما تكفيها الإجابات المتسعة المتنوعة المعمقة والواضحة ، وقد قادته بعض الظواهر اللغوية إلى البحث في صحة القول الذي يعتمد ويقتدى به ويقاس عليه أو يؤخذ على الحال التي هو عليها دون النظر إليه على أنه من النادر أو الشاذ أو غير المستعمل ، ولعل تساؤلاته التالية تخبرنا بذلك كما في قوله : " والآن نسأل : أتتساوى القبائل العربية كلها في هذا ، بحيث يجوز الاقتداء بواحدة ما ، فيكون الاقتداء بها صحيحا قويا ... أم أنها تتفاوت وتتفاضل ؛ بحيث يجب على المتحرز المتحفظ الاقتداء بواحدة معينة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دون أخرى ؟ وإذا وقع التفاوت والتفاضل بين القبائل المختلفة ، أو بين أفراد القبيلة الواحدة فبأيها نقتدي ؟ وبمن نتشبه ؟ ولماذا ؟ ... " [١]

إن انحدار لهجات القبائل من أصول لغوية واحدة يعضد رأيه الذي ذهب إليه من حيث صحة القول التي تستند إلى كثير من الدعائم التي ليست عند قبيلة واحدة احتج بلغتها ، وإنما عند جميع القبائل ، وهذا أمر طبيعي .

ولذلك وجدنا عباس حسن يسير في هذا الطريق على جادة الصواب ، وأن رأيه واضح جلي في قوله : " فأما تساوي القبائل العربية في صحة القول ، وسلامة اللغة ، فنتيجة طبيعية للتدرج التاريخي ... وليس أمام العقل مسوغ مقبول يفضل به لهجة على أختها التي انحدرت معها من أصل واحد ... فهما متساويتان لا محالة ؛ وبأيهما اقتدينا اهتدينا .نعم قد تكون إحداهما أفشى من الأخرى ، أو أجمل في البيان مظهرا ، أو أخف وقعا على اللسان أو الآذان ... ولكن هذا ونحوه لا يقدح في أنها عربية أصيلة ..." [٢]

ولتأكيد صحة رأيه يقدم عباس حسن الأدلة اللغوية والنحوية التي تبين ما كانت عليه أحوال اللغة العربية التي خضعت للجمع والتدوين والدرس ، وقد كان معتمدا في أدلته على ما ورد عند النحاة الأوائل . [٣]

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٣٢ .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ٣٣ ، بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا هو الأمر في القبائل إذا اختلفت لهجاتها ولكن كيف يكون أمر اللغة إذا اختلفت داخل القبيلة الواحدة ؟ إن هذه القضية اللغوية قد أخذت بعين الاعتبار من لدن الكثيرين من اللغويين والنحويين في القديم وفي الحاضر ، ومن الذين أجالوا الفكر فيها وأبدوا الرأي وبحثوا عن المبرر وأصدروا الحكم ، من المعاصرين ، نجد عباس حسن الذي علق الأمر في حلقتين اشتملت كل واحدة منهما في عمقها على مبرر مستساغ معقول ومقبول ، ولذلك ، وجدناه يقول : " أما إذا اختلفت اللغة في القبيلة الواحدة ، فنطق فريق بما ليس شائعا في قبيلته فمرجع ذلك أحد أمرين : أولهما : أن يتخير بعض أفرادها ما يريد من لغة قبيلة أخرى ، ويستعمله دون لغته أو معها . ولا حرج عليه في هذا ولا ضير ؛ فكلا الاستعمالين صحيح والقياس عليه جائز ... ثانيهما : أن ينفرد واحد بشيء لا تعرفه قبيلته ولا غيرها ؛ فنقبله منه ، ونضمه إلى الصحيح الفصيح . إن لم يكن المتفرد متهما في عقله أو عدالته ــ ذلك أن العربي الأصيل قد يبتكر ، بل من حقه أن يبتكر..." [١]

لقد تبين أن اللغة العربية من أكثر اللغات اتساعا واستيعابا للحضارة ومفاهيمها وفكرها ،فقد أفسحت المجال أمام بعض العرب للابتكار والارتجال المقصود وغير المقصود في اشتقاق الألفاظ والمفردات والتراكيب التي لا تخرج عن الوضوح والفصاحة والبيان ، وقد استدل عباس حسن على هذا الفكر اللغوي بما قاله ابن جني في خصائصه : " إن الأعرابي إذا قويت فصاحته ،

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص٣٦ – ٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به؛ فقد حُكي عن رؤبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظا لم يسمعاها، ولا سُبقا إليها " [١]

واعتمد عباس حسن على آراء ابن جني التي جاء بها في باب الفصيح الذي يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا في كتابه الخصائص [٢]، تلك الآراء التي نقلها السيوطي في المزهر [٣]عن ابن جني ، مفسرا ما ذهب إليه ابن جني ومستنتجا بعض الحقائق المتعلقة باللغة التي يقاس عليها في صحة القول ، وهي مما احتج به اللغويون من لغات القبائل التي أجازوا الاحتجاج بلغتها ، والحقائق المشار إليها تثبت صحة وفصاحة لغات القبائل العربية ، وصحة الأخذ بهذه اللغات والقياس عليها ، كما تثبت عدم الاقتصار على اللغة الأكثر شيوعا والأوسع نفوذا والأجمل وقعا في الاستشهاد بها والاحتجاج ، إذ يمكن الاستشهاد بغيرها والاحتجاج به ، كما يمكن للعربي أن يستخدم لهجة غير لهجة قبيلته أو ألفاظا غير ألفاظها دون أن يعد ذلك منه استغناء عن لغته ما دام يتكلم باللغتين معا ، ولا سيما إذا انفرد بالابتكار والتجديد في حال رجوعه إلى لغة عربية قديمة وصلت إليه ولم تصل إلى الناس . ولما توقف عباس حسن عند هذه الآراء وأعمل فيها البحث والدرس ، لخصها بإيجاز في أربع نقاط هي:

---

[١] ابن جني ، الخصائص ، ج١ ، مرجع سابق ، ص٤١١ .

[٢] ابن جني ،الخصائص ج١ ، مرجع سابق ، ص ٢٦٨

[٣] السيوطي ، المزهر ، ج١ ، مرجع سابق ، ص٢٥٥-٢٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا: أن لغات القبائل العربية على اختلافها صحيحة فصيحة ، وكل واحدة منها يصح الأخذ بهـا والقياس عليها .

ثانيا : أن بعضها قد يكون أكثر شيوعا وأوسع نفوذا ، فلا يجب أن نقتصر عليه وحده ، ولا نحـتج بغيره .

ثالثا : أن العربي قد يستخدم لهجة غير لهجة قبيلته ، أو ألفاظا غير ألفاظها ، ويستغني بها عن لغته .

رابعا : أنه قد ينفرد بالابتكار والتجديد ، ويكون ما تفرد به راجعا إلى لغة عربية قديمة وصلته قبـل الناس .

من خلال ما سبق يتبين أن هناك خلافا في أمر التوثيق الذي تأثرت به مادة اللغة ونحوهـا ، ولكنه كان خلافا في بعض جوانبه مفتعلا ومقصودا وبعض غاياته كانت تنصب على قضايا لغويـة سياقية غير لفظية ، وعلى قضايا ومسائل نحوية غير جوهرية ، جعلت اللغويين والنحويين يصدرون أحكامهم وآراءهم كل حسب ما يفهم ويدرك ويعلم من جوانب تلك القضية أو المسألة ، فقد ورد التناقض والخطأ في بعض الأحكام بسبب الآراء والأفهام القاصرة السطحية والمستندة إلى ما كـان من شوارد ونوادر في الألفاظ والمفردات أوفي التراكيب والتعبيرات الاصطلاحية والـسياقية الـتي كانت متداولة عند القبائل العربية على اتفاق لهجاتها أو اختلافها ، و" مما تقدم يتضح بجلاء مبلـغ اختلاف الأئمة في أمر التوثيق وفي زمنه ، ورجاله ومكانه ، وأن الخلاف ليس لفظيا مناطـه مجـرد التنميق وشهوة الجدل المنطقي ، بل له آثاره في مادة اللغة أو نحوها أو سائر شـؤونها ... فتـصدر الأحكام متناقضة متضاربة وقد يخطئ بعضهم بعضا ويخطئون الكلام العربي الذي يستشهد به لتأييد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحكام ... ويضطرب الشعراء والكتاب في سائـــر العصور المتتاليـــة تبعا لذلك ، فلا يدرون مـــا يأخذون وما يدعون ." [١]

وبناء عليه ، أعتقد بأن ذلك الخلاف اللغوي والنحوي ، والتناقض في الأحكـــام ، قـــد أفادا اللغة العربية وعلومها ، بمقدار ما أفادا اللغويين والنحويين الذين جاءوا بعد من كانوا علـــى خلاف وتناقض ، ورأي عباس حسن الذي يجزم بوجود الخلاف والتناقض في الأحكام والآراء دليل على ما ذهبنا إليه ، وحجة على التطور والنمو الذي وصلت إليه اللغة وعلومها منذ أن كانت محط جمع وتدوين ودراسة وبحث ، حيث كانت الحاجة ماسة وشديدة إلى اللغة وعلومها ولا سيما علـــم النحو وعلم الصرف وعلم الصوت وعلم التركيب المنضوي تحت علم فقه اللغة وعلم الدلالـــة ، وهي التي تتجلى كلها فيما أطلق عليه بعد اسم علوم البلاغة العربية والتي تتفرع إلى ثلاثة أفـــرع هي : علم البيان ، علم المعاني ، وعلم البديع . إن ذلك كله لا ينفك عن أعمـــال واختـــصاصات علماء الفقه والتفسير ممن اتخذوا من القرآن الكريم مصدرا أساسا لعلومهم ، ولا ينفك عن علـــوم اللغة وآدابها ذات الفنون الأدبية المتنوعة ، إذ كان محط النظر عند الكثير مـــن هـــؤلاء العلمـــاء والأدباء الوصول إلى درجات ومستويات من التفسير والفقه والتشريع تصل إلى مستوى التأويل ، إن هذه القضية قد تعرضت للنقاش والبحث والدرس إلى العصر الحاضر ، لما بينـــها وبـــين اللغـــة العربية من قوة الارتباط ومتين العلاقة ، ولعل عباس حسن كان من الرواد الـــذين أثـــاروا هـــذه

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القضية اللغوية بالدرجة الأولى والفقهية الشرعية بالدرجة الثانية إذ كلاهما يتعلق بالآخر ويؤثر فيه ، وفي هذا الصدد كان قد تجلى رأي عباس حسن بوضوح ، وبخاصة عندما قال : " واليقين عندي أن القرآن فوق مستوى التأويلات ، وأن فيصل الرأي فيه : صحة الاستشهاد النحوي والبلاغي بظاهره ؛ من غير نظر إلى قلة أو كثرة ؛ كما يقول الإمام ابن مالك . وإذا كان الكوفيون يعولون على الشاهد الواحد أو الشاهدين مما سمع عن العرب فتعويلهم على ما ورد في القرآن أحق وأولى ؛ وليس مقبولا منهم – ولا من غيرهم – أن يلجأوا فيه إلى التأويل ، وإن كانوا في هذا أخف من إخوانهم البصريين ." [1] ، ويدلنا هذا الموقف على أن عباس حسن يربط علوم اللغة بعلوم الشريعة والفقه ربطا فيه أصل وفيه فرع ، والأصل عنده هو علوم الشريعة والفقه المنبثقة من القرآن الكريم لفظا ومعنى ودلالة ، والفرع هو اللغة العربية وعلومها .ومن هذه العلوم علم النحو الذي كان فيه النحاة قد أخذوا من لغة غير لغة القرآن شواهد وأدلة وبنوا عليها قواعدهم التي وضعوها للغة العربية ،دون النظر إلى لغة القرآن الكريم التي كان عليهم أن يستشهدوا بها ويحتجوا عندما وضعوا تلك القواعد ، إذ لو كان منهم ذلك ، لكان أفضل لهم وللنحو وللغة العربية بشكل عام ، ولما نشأ خلاف بينهم ولما تعددت آراؤهم وتناقضت في بعض الأحيان ،وما أجل من القرآن الكريم لفظا ونصا ومعنى ودلالة ؟! وقد أشار عباس حسن إلى سبب الخلاف الناتج عن الخلل والاضطراب في تحديد مادة الاستشهاد اللغوية ، وفي كثرة الآراء النحوية التي كان

---

[1] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١١٢ – ١١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في بعضها إقحام لبعض الشواهد والأدلة دون مسوغ منطقي معقول يتناسب مع المسألة اللغوية أو المسألة النحوية ، ولذلك ، فإن عباس حسن يرى في اللغة العربية رأيا مبنيا على النحو ومؤسسا عليه ، أكثر مما هو مبني على اللغة العربية نفسها ، إذ قال : " والحق أن كثرة النحاة الأوائل ممن كانوا في الطليعة ... أساءوا إلى النحو بهذه البلبلة والآراء المضطربة المتعارضة ...فقد كان الاستعداد التام الحكيم يقتضيها قبل التدوين والتسجيل أن يسألوا أنفسهم : من أي المصادر الوثيقة نستنبط قواعدنا ؟ ومن أي أنواع الكلام الأصيل ننتزع الأحكام النحوية ؟ وقد سألوها فعلا قبل الشروع فأجابتهم : (إنه الكلام العربي الصحيح ، وأن علماء اللغة – أثابهم الله – قد سبقوكم إلى مهمة جليلة كريمة كمهمتكم هي جمع ذلك الكلام وتدوينه وتسجيله ؛ حفاظا عليه ، وصيانة له .... فعليكم أن ترجعوا إليه ؛ لتنتفعوا به ما شئتم ...) ." [١]

ويستدرك عباس حسن الأمر ، فيفضل إبداء رأيه الذي يوافق فيه آراء كثير من اللغويين والنحويين في هذا الباب ، معلنا أن النحويين رغم ما كان لديهم من التناقض والاضطراب كانوا قد "رجعوا إلى أولئك الأنداد ... فرأوهم ... أخذوا أكثر اللغة من بعض القبائل الكبيرة الضاربة في وسط شبه الجزيرة العربية البعيدة عن أطرافها المجاورة للأعاجم ، سعيا وراء اللغة التي لم يتسرب إليها شيء من العجمة ، مقتصرين في الأخذ على نحو ست من تلك القبائل تاركين ما

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عداها من باقي القبائل التي تجاوز الثلاثين ... واقتصروا – أو كـادوا – عليها كما فعل أندادهم جامعو اللغة . "[١]

إلا أن المشكلة التي أثارها بعض اللغويين والباحثين كانت تتركز على عدم القدرة علـى الإلمام بكل اللغة وبكل لهجاتها التي تتكلم بها القبائل العربية الكثيرة ، وعلى عدم القدرة على فهـم ألفاظ تلك اللغة ومفرداتها واستيعابها ، لورودها في لهجات متعددة من لهجات القبائـل العربيـة ، بسبب ما أطلق عليه بعضهم اسم الشاذ أو النادر ، وبسبب الرواية والرواة الذين كان لهـم دور كبير في جمع اللغة وتدوينها وفي اتباع أسلوب النحل والانتحال في رواية الشعر ونقله والاستشهاد به ، وقد أكد عباس حسن على ذلك بقوله : " إنهم لم يستطيعوا استيعاب اللغـات واللـهجات الخاصة بتلك القبائل الست ... فهم مختلفـون .... في المـروي عـن تلك القبائل على قلتـها ، ولخلافهـم أثـره العملـي في استنبـاط قواعـدهـم ، وتـدوين أحكامهـا ، وتطبيقهـا علـى ألسنـة المتكلمين فكيـف الشـأن وقـد أغفلـوا أكثر القبائـل ، وأهملـوا الأخـذ عنها ." [٢]

ومن جهة ثانية ، فقد أكد عباس حسن أنه من البديه " أن لغات القبائل الست ولهجاتها لا تحوي جميع اللغات واللهجات التي في باقي القبائل الكثيرة ؛ فذلك ينافي طبيعة اللغة ، ويعـارض القانون الواقعـي الـذي تسـير عليه في نشأتها وتدرجها ، وتفرعها ... ومن هنا ندّت كلمـات

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٧٤– ٧٥ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٧٥– ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصيلة ، وأساليب كثيرة صحيحة عما جمعه اللغويون وفاتهم ذخر لغوي وافر ؛ بسبب اقتصارهم في جمع اللغة على بعض القبائل دون بعض ، بل على القليل دون الكثير؛ ومن ثم فات الرعيل الأول من النحاة كثير من منابع الأخذ ، ومراجع الاستنباط كشفت عنه الأيام بعد ذلك ، فأثبتت تقصير اللغويين ، وقصور النحو المؤسس على ما جمعوه ... " [١]

ويرى عباس حسن رأيه الذي فيه مأخذ على اللغويين مثل مأخذه على النحويين في موضوع الاقتصار على لغات القبائل الست ، وقد تمثل هذا المأخذ في ترك أو إهمال لغات القبائل الأخرى التي لا تختلف كثيرا عن القبائل الست ، إذ " لا يشفع للغويين أن يقال في الدفاع عنهم إنهم اقتصروا على القبائل الست لأنها – في زعمهم – التي صحت ألسنتها من هجنة العجمة ، واحتفظت بنفسها ولغتها عن الأجنبي والدخيل . " [٢]

وأكد عباس حسن أن أخذ اللغة لم يكن عن الحضر ولا عن سكان البراري ، معتمدا في ذلك على آراء من سبقه من النحاة واللغويين ، كابن جني في الخصائص[٣]والسيوطي في المزهر [٤] الذي نقل عن أبي نصر الفارابي النحوي رأيه الذي جاء به في كتابه (الألفاظ والحروف) ، وجاء تأكيده منصبا على ما وقع فيه بعض اللغويين من اضطراب في آرائهم وأحكامهم التي صدرت عنهم في أخذ اللغة أو تركها ، ولذلك كان رأي عباس

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٧٦ – ٧٧ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٧٩ .

[٣] ابن جني ، الخصائص ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ٣٩٣ – ٣٩٧ .

[٤] السيوطي ، المزهر ، ج١ ، مرجع سابق ، ص٢١١ – ٢١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حســـن يخالف في وجه منه بعض أولئك اللغويين ، ويوافق في وجه آخر منه بعضا آخر منـــهم ، إذ قال : " نعم لا يشفع للغويين أن يقال هذا في الدفاع عنهم : لأنه دفاع واهن ، غاب عن أصـــحابه ما غاب عن جامعي اللغة أضعاف ما تملكه القلة المحصورة في الستة ، وأنـــه لا يعيبـــها أن تـــسكن الحضـــر ، وأطـــراف البـــلاد ، وتقـــارب الأعاجـــم والنصارى هنـــاك ؛ لأنهـــا بحكم أصالتها العربية ... تملـــك كغيرها أن تنشئ الكلمـــات إنشـــاء وتخترعهـــا ابتداء.... ولهـــا أن تأخـــذ كغيـــرها من لغـــات العجم ما تشـــاء فتنقله إلـــى لغتهـــا باسم : (المعرّب) أو غـــيره مـــــن الأسماء ، ـــ وقـــد أخـــذت ـــ وإلا جمدت اللغة ، وتحجرت وانطوى أهلـــها علـــى أنفـــسهم منعزلين.... " [١]

وحجة عباس حسن يمكن اعتبارها حجة قوية ، وبخاصة عندما نسلم معه بأنه " لـــيس مـــن الصحيح القـــول إن هذه القبائل الست هي التي سلم لسانها من الشوائب بسبب عدم اختلاطهـــا بسواها . فهل كانت تعيش في مناطـــق مغلقـــة حديدية لا يسمح للقادمين بالخروج منـــها ، ولا لغير أهلها باقتحامها ؟ "[٢]

ويضيف قائلا : " لكل ما سبق لا يكون من النصفة أن نفرق بين القبائل العربية في الحكم اللغوي ، ونجعلها درجات بعضها فوق بعض ، في الوقت الذي يسجل فيه أعلام اللغة أن العـــرب

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص٧٩

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلص سواسية من حيث صحة كلامهم ، والاستشهاد بلغتهم ، لا فضل لأحدهم على الآخر من هذه الناحية . " [١]

وما من لغة إلا ونشأت لها علوم تدرسها وتبحث فيها وتقعد لها ، وتكون تلك اللغة هي مصدر تلك العلوم ومادتها الأصيلة ، واللغة العربية شأنها شأن تلك اللغات الأخرى ، فقد كانت ذات علوم مهمة متنوعة ، وتنهل من اللغة العربية نفسها ، و " إن علوم اللغة العربية – على اختلاف فروعها وتعدد أنواعها – مستقاة من الكلام العربي الأصيل ، ومردها جميعا إلى ما نطق به الفصحاء من أهل الضاد الذين يستشهد بكلامهم ويحتج بلسانهم " [٢]

قضية اللفظ والمعنى

ويقول عباس حسن في موضوع تعدد الآراء وتنوعها في قضية اللفظ وقضية المعنى : أيهما تأتي بعد الأخرى ؟ وأيهما أهم من الأخرى ؟ وأيهما تفضل الأخرى ؟ وما طبيعة كل رأي من تلك الآراء التي أبداها باحث منفردا أو باحثون متفقين مجتمعين في هاتين القضيتين المتلازمتين ؟ ولا شك في أن هذه التساؤلات في هذا الموضوع وغيرها من التساؤلات التي لم نعرض لها إيجازا واختصارا ، تقتضي البحث عن إجابات منطقية معقولة مقبولة ، وكل ذلك جعل عباس حسن يرى رأيه في هذا الموضوع الذي يتحدث فيه عن أفضلية اللفظ على المعنى أو العكس ، بقوله : " ذهب الأدباء مذهبين وأطالوا الجدل ... فقدم

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص٨٢ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعضهم المعنى على اللفظ .... وقدم فريق آخر اللفظ على المعنى . وهذا الفريق أكثر عددا ، وأعز شيعة ... "[١]

ولعلنا لا نبتعد من الصواب إذا أيدناه في رأيه هذا ، لقوته ولتوافقه مع آراء بعض القدامى من العرب العلماء والأدباء والنقاد والفلاسفة والفقهاء ، الذين رأوا أن المعاني من الجميع وإلى الجميع وهي شائعة منتشرة عند الجميع ، وما حاجتها لظهورها وتجليها في صورها المنطقية المعقولة الواضحة إلا إلى لغة واسعة تستطيع أن تكون الوسيلة والأداة المناسبة لهذه الغاية ، ويتجلى رأي عباس حسن بوضوح في قوله : " وإني أميل إلى الرأي الثاني ، وأومن به عن يقين واقتناع ؛ ذلك لأن المعاني شائعة لا يستأثر أحد بها ، ولأنها مستقرة في نفس صاحبها محتجبة في أعماق سريرته ولا سبيل إلى إظهارها وإبرازها من مكامنها إلا بوسيلة من وسائل الإبانة والكشف . ومن هذه الوسائل الكلام المنطوق .... فليس التعبير إلا أداة لنقل الصور المعنوية من نفس صاحبها إلى نفس السامع أو القارئ ، وعلى قدر صلاح الأداة وقوتها يكون نجاحها في أداء مهمتها . وما مهمتها – كما أشرنا – إلا نقل المعاني كاملة من نفس إلى نفس ... " [٢]

ومن يدقق في هذا الأمر بكل موضوعية وتجرد ومنهجية لا يجد خلافا يعد خلافا بالمعنى الصحيح الواسع للخلاف ، وإنما يجد خلافا ظاهريا ليس بجوهري في حد ذاته ، " وفي الحق أن الخلاف بين الرأيين هين ، بل هو لفظي – كما يعبر القدماء – يتلخص في أن فريقا يقول إن المعاني

---

[١] حسن ، عباس ، المتنبي وشوقي ؛ دراسة ونقد وموازنة ،ط١ ، ١٩٥١م ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، مصر ، ص ٥٧ – ٥٨ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسبق وجودا في النفـــس ، واستقرارا ، وترتيبا ، وارتباطا فيها . وإن الألفاظ جاءت بعدها لتعـــبر عنها ، وتحاكي ذلك الترتيب والارتباط السابقين ... وفريقا آخر يقـــول : إن المعـــاني بنفـــسها ، وبترتيبها ، وبروابطها وبكل ما يتصـــل بها ، خفية . والألفاظ هـــــي الـــتي تظهرهـــا ، وتظهـــر خصائصها ، فالفضل للألفاظ وإن كانت متأخرة والأثر للمسبوق . " [١]

وفي هذا السياق أستطيع القول : إن المعاني في العقل والنفس والقلب والوجـــدان تتولـــد وتتشكل وتحفظ على هيئات مختلفة ، وتنتظر الخروج من مكامنها وأمـــاكن حفظهـــا ، والألفـــاظ كذلك مخزنة في الدماغ على هيئة شيفرات أو رموز تتحول إلى لغة ذات صوت ونحـــو وصـــرف وتركيب ودلالة ومعنى وصور ذهنية ووجدانية وانفعالية ، أي أن طرفي الموضـــوع موجـــودان في الإنسان متلازمان لا ينفصلان ، ويخرجان متلازمين عند توفر العامل أو المؤثر أو الدافع أو الحـــافز لخروجهما ، فلا نستطيع التكهن بأيهما كان متولدا في النفس قبل الآخر ولا بأيهما كان خروجـــه قبل الآخر . ويميل عباس حسن إلى التأكيد على وجود قيمة المعنى قبل وجود قيمة اللفظ . [٢]

ولعله يثبت صحة ما ذهب إليه بقوله : " وهذا صحيح ، أزيد عليه – ما سبقت الإشـــارة إليه – من أن المعـــنى الذي يصفونه بالروعة تزول عنه روعته إذا فقد حسن الـــصياغة ، وجميـــل التعبير . فلو كانـــت الروعة ذاتية فيه ، مستمدة منه نفسه – لم يفقدها بسبب تغـــير الـــصياغة أو غيرها ، بل تظل ملازمة له في جميع الصور والتراكيب . فما يسمونه معنى جيدا ، أو رائعـــا أو ....

---

[١] حسن ، عباس ، المتنبي وشوقي ؛ دراسة ونقد وموازنة ، مرجع سابق ، ص ٦٤-٦٧ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٦٤ ، بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس إلا معنى مألوفا ؛ تناوله الخيال المبتكـــر بحسن التصرف البارع ، وألبسه صاحبه ثوبـــا مـــن الصياغة الجميلة ، حسب السبك ؛ فبدا جديدا ، وما هو بجديد . "[١]

ويعلل عباس حسن رأيه ، ويضع له المبررات التي تسوغه وتجعله قابلا للنقاش والمحـــاورة ، وتجعله موضع اهتمام المختصين والمهتمين والباحثين ، مؤكدا رأيه بقوله : " ذلك رأيـــي في تلـــك الحقيقة التي يدور حولها الجدل قديما وحديثا . وقد يكون الباحث على الجـــدل وإنكـــار أفـــضلية الألفاظ أحد الأمرين أو هما معا :

أولهما : سوء فهم المراد من التأليف اللفظي ، والعناية بالتركيب ؛ فقد يزعم المجادل المنكـــر أن المراد منه هو تلك الزخارف والحلي التي تثقله ، بل ترهقه .....

ثانيهما : أن بعض الدخلاء في الأدب ، الواغلين على أهله – عاجزون عن إجادة التعبير ، وحلاوة البيان ، ورشاقة التأليف ؛ فهم يدافعون عن المعنى ، ويجأرون بأن الفضل كله له ، وليس للألفـــاظ منه نصيب . وما يدافعون إلا عن أنفسهم ، وعجزهم البياني . " [٢]

قضية التعريب

ومن القضايا اللغوية التي اهتم بها عباس حسن أيضا قضية التعريب وما نتج عنها من بحوث ودراسات ومناقشات وآراء في جواز التعريب وفي منعه ، والقضية قديمة جديدة قدم اللغة العربية ، ولكنها في العصر الحاضر تعد من أهم القضايا اللغوية التي تحتاج إلى إعادة نظر وإلى وضع المعـــايير

---

[١] حسن ، عباس ، المتنبي وشوقي ؛ دراسة ونقد وموازنة ، مرجع سابق ، ص ٦٤.

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمقاييس والأسس اللازمة ، ليكون التعريب في أحسن أحواله وصوره وفي أكثر فوائده ، ويمكن الاعتماد على ما قاله السيوطي في المزهر لمزيد من إلقاء الضوء على هذه القضية المهمة ، وقول السيوطي وارد في النص التالي : " سئل بعض العلماء عما عربته العرب من اللغات ، واستعملته في كلامها : هل يعطى حكم كلامها فيشق ويشتق منه ؟

فأجاب بما نصه : ما عربته العرب من اللغات من فارسي ورومي وحبشي وغيره وأدخلته في كلامها على ضربين :

أحدهما – أسماء الأجناس ؛ كالفِرند ، والابريسم ، واللجام ، والموزج (الخف) ، والمهرق ، والرزدق ، والآجر ، والباذق ، والفيروز ، والقسطاس ، والإستبرق .

والثاني : ما كان في تلك اللغات علما فأجروه على علميته كما كان ، لكنهم غيروا لفظه وقربوه من ألفاظهم ، وربما ألحقوه بأمثلتهم ، وربما لم يلحقوه ، ويشاركه الضرب الأول في هذا الحكم لا في العلمية .... . " [1]

ونميل إلى ما يراه عباس حسن في موضوع حاجة العربية والعربي إلى التعريب ، والترجمة ، والنقل ، وحسب مقتضات الحاجة والتطور المنشود للغة بما في ذلك المهارات اللغوية والفكرية والإبداعية ، ورأي عباس حسن يتجلى في قوله : " فإذا نادينا – عند مسيس الحاجة – بالتعريب فما ندعو إليه الحاجة القوية هو المراد ، وينحصر في ألفاظ أعجمية لا تتجاوز الأعلام ،

---

[1] السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، مرجع سابق ، ص ٢٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعض المصطلحات ، وأسماء الأجناس ، وأشباهها ، فإذا ما اقتصرنا عليها ... أدركنا غايتنا ونجونا من خط (التعريب المطلق) ، واستطعنا أن نوفق بين المحافظة على لغتنا والمزاحمة في ركب الحضارة المتجددة ، ومواكب المدنية ؛ وإلا تخلفنا ، أو اجتاحنا الركب غير شاعر بنا ." [١]

وحال التعريب شبيه بحال الترجمة أو حال النقل ، وبخاصة عند نقل أسماء الأعلام إلى اللغة العربية ، وفي هذا الصدد يرى عباس حسن " أن نقل الأعلام الأجنبية لم يختلف فيه القدامى ولا المحدثون ؛ .... إنما الخلاف في أسماء الأجناس والمصطلحات وما يتصل بها ؛ أتنقل إلى العربية ، ولو كان لها نظائر فيها ، أم يقتصر النقل على ما ليس له نظائر ؟ فكثير من الباحثين يفضلون الرأي الثاني ، ويرون فيه وفاء بالغرض ... فوق ما فيه من صيانة اللغة ... وأصحاب الرأي الأول يبسطون ما قالوا ... ويدافعون به ، وإنه لدفاع طويل ... " [٢]

ويعرض عباس حسن لرأي من قالوا ونادوا بالتعريب المطلق ، فقال للرد عليهم : " وهل غاب عن هؤلاء الأنصار أن إطلاق اسم عربي على كلمة أجنبية واختياره لها هو نقل الاسم من معناه (الوضعي) الأصيل إلى مسمى جديد لا تعرفه العرب . فأي فرق بين هذا وبين نقل الكلمة الأجنبية ذاتها إلى اللغة العربية .... وأمر آخر ؛ هو أننا نسيء إلى اللغة العربية بالإسراف في نقل أسمائها إلى المسميات الأجنبية ، لما يترتب على هذا من إشاعة الألفاظ المشتركة (

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص٢٣٨ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي ألفاظ يشوبها الغموض من بعض نواحيها بسبب الاشتراك ، وإن قيل إنها متساوية الدلالة) "[١]

ويؤكد ما ذهب إليه قائلا : " هذا ، وخطر الإهمال المطلق لا يقل عن خطر الإباحة بغير تقييد ، فالبلاء في التطرف والإفراط ... إذا فلا بد من مشورة المجمع اللغوي حتما ، ومن عقد صلة بينه وبين المتخصصين بالطرقة السالفة . " [٢]

وعلى الرغم مما قدمه المحدثون من الآراء والدراسات والأبحاث في قضايا اللغة العربية ومسائلها ، وعلى الرغم أيضا مما درسوه ومحصوه ، إلا أن آراء عباس حسن تدعونا إلى إعادة الدرس والبحث وإلى الوقوف وقفات وتجليات مع الحقيقة ، كما تدعونا إلى البحث عن الشواهد والأدلة الجديدة للاحتجاج بها والاستدلال ، ولعل البحث في العربية وعلومها لا يتوقف ، وسيأتي يوم تحظى فيه كل قضية أو مسألة من قضايا اللغة العربية ومسائلها أو من علومها بالعناية والاهتمام وبالبحث والتمحيص والدرس ، بما يتناسب مع الحاضر ومع المستقبل وفي ضوء التطورات العلمية والفكرية والتكنولوجية المتسارعة ، إذ حفظ اللغة العربية " وبقاؤها مرهون بحفظ وبقاء القرآن الكريم ، حيث قال تعالى في كتابه العزيز : " (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) " .[٣]

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٤٩ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٥١ .

[٣] القرآن الكريم ، سورة الحجر ، آية ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قضية الاشتقاق

وبحث عباس حسن في قضية مهمة من قضايا اللغة العربية ، وهي قضية قديمة حديثة ، وتتعلق بحاجة اللغة العربية في هذا الوقت إلى العودة للاشتقاق ، وهي حاجة لغوية فكرية وحضارية تستمر ولا تتوقف عند قوم أو زمن أو عند لغة أو لهجة ، وقد تمثل رأيه هذا في قوله : " فأما الاشتقاق فالحاجة إليه شديدة في مختلف العصور ، وبين سائر الطبقات – ولا سيما المشتغلة بالفنون العملية ، والصناعات ، والاختراعات – لأنه يسعفها بوابل من الكلمات المختصرة ، الرشيقة ، السهلة التناول ، يضرب كل نوع منها في ناحية جليلة . ولهذا تشتد الحاجة إليه في فورة المدنية ، وزهو الحضارة ، ويكون التيسير فيه مطلوبا . "[١]

ويوضح المجالات التي يمكن أن تكون الحاجة فيها إلى الاشتقاق أشد مساسا وأكثر استدعاء ، إذ قال : " ويعنينا من المشتقات تلك السبعة المشهورة وهي : (اسم الفاعل ، اسم المفعول ، الصفة المشبهة ، أفعل التفضيل ، اسم الزمان ، اسم المكان ، اسم الآلة .) وقد وفاها النحويون القدماء حقها من البحث ... ولكني – بالرغم من تلك الدراسة – أرى المجال لا يزال يتسع للزيادة – وبخاصة أفعل التفضيل ، والصفة المشبهة ... وقد تخيرت للكلام اليوم مسألتين هامتين : الأولى : تتصل بصيغة اسم (الزمان والمكان) ؛ فقد ظل الدارسون عصورا طويلة

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقتصرون في صياغتها من الثلاثي على وزن: (مفعل) – بغير تاء – قياسا مطردا به كل الحالات . ولا يلجئون إلى (مفعلة) ، برغم النصوص العلمية القديمة التي تبيح لهم ذلك أحيانا ." [١]

وبين بعد ذلك ما قام به المجمع ، فقال : " وجاء المجمع اللغوي أخيرا فعرض لتلك النصوص الكثيرة ، وانتهى إلى قرار نصه : (تصاغ (مفعلة) قياسا من أسماء (الأعيان) الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه هذه الأعيان ؛ سواء أكانت من الحيوان ، أم من النبات ، أم من الجماد). ففتح بذلك بابا من التيسير أمام المتعلمين والمترجمين ، والمشتغلين بالعلوم الحضرية . ولكنه لم يفتحه على مصراعيه ... وذلك أنه اشترط أن يكون الاشتقاق في الصيغة المكانية مأخوذا من (أسماء الأعيان) ، وحدها ، دون (أسماء المعاني) مع أن الحاجة ماسة أحيانا إلى الثاني ، ونصوص الأئمة السابقين تساعد على الاشتقاق منهما ." [٢]

ثم يعرض عباس حسن مثالا لسيبويه يؤيد قول الأئمة ويرى أنه " من الخير أن ننتفع بهذا الإطلاق ، ونبيح (مفعلة) بغير تقييدها بأسماء الأعيان ، ولا سيما إذا اشتدت إليها الحاجة . " [٣]

وذكر عباس حسن أن " الثانية : فعلى ، مؤنث : أفعل . – والحاجة إليها شديدة في التفضيل ." [٤]

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص٢٥٢– ٢٥٣ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٥٣ .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٥٤ .

[٤] المرجع السابق نفسه ، ٢٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقـــول عباس حسن مبينا أيضا جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة في هـــذا الموضـــوع ، فقال : " ودار حوار مجمعي حول إباحة هذا الوزن ومنعه ، فالمانعون يلوحـــون بحجتـــهم المكـــررة المرددة ؛ وهي أن الكلمة (الدُّقَّى) لم ترد عن العرب ، وأن ما ورد من صيغة : (فعلى) مؤنـــث (أفعل) – قليل لا يقاس عليه "[١]

قضية النحت

ولما ظهرت مشكلة النحت في الألفاظ والمصطلحات في اللغة العربية ، قديمها وحـــديثها ، فقد رأى عباس حسن أن يدفع الظلم الذي أوقعه البعض على اللغة العربية في هذا المجال ، وأن يرد على حجج المانعين في النحت بحجج أقوى تدحضها وتدفعها وتزيل آثارها ، ومـــن ردوده علـــيهم وعلى حججهم نذكر قوله الذي يعلن فيه عما في نفسه ، إذ يقول : " فأمـــا مـــن جهـــة القلـــة المسموعة فينفيها ما رواه ياقوت (ت ٦٢٦ هـــ) في كتابه (معجم الأدبـــاء) . "[٢]، وروايـــة ياقوت التي تنفي هذه القلة المسموعة هي : " إن (عثمان) بن عيسى النحوي سأل الظهير الفارسي عما وقـــع في ألفـــاظ العرب علـــى مثال (شقحطب) . فقـــال : هـــذا يـــسمى في كـــــلام العرب : (المنحوت) . ومعناه : أن الكلمة منحوتة من كلمتين ؛ كما ينحت النجـــار خـــشبتين ، ويجعلهما واحدة . فشقحطب : منحوت من (شق حطب) . فسأله عيسى أن يثبت له ما وقع من هذا المثـــال إليـــه ؛ ليعـــول فـــي المعرفـــة عليـــه . فأملاهـــا عليـــه في نحو عشرين ورقة مـــن

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص٢٥٥.

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص٢٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حفظه ، وسماها : (كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب . "[١] فالكلام المنحوت الذي احتج به الظهير الفارسي وقال إنه وارد في كلام العرب ويسمى عندهم (المنحوت) ، وما هو بالقليل المسموع ، واستدل على ذلك بأن أملى الفارسي على عثمان بن عيسى ألفاظا منحوتة استغرقت مساحة ورقية في نحو عشرين ورقة من حفظه ، كما قال .

وأشار عباس حسن إلى قياسية المنحوت المسموع في العربية ، وأكد ذلك بقوله : " بل إن مذهب بعض اللغويين ، كابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه : (فقه اللغة) ، أنه قياسي ." [٢]، كما أكد عباس حسن أن العرب قد نحتت بعض المفردات والكلمات في لغتها من الجذور اللغوية لتلك المفردات والكلمات على نحو ذكره ابن فارس في كتابه فقه اللغة بقوله : " وأن أكثر الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف منحوتة ؛ كقول العرب للرجل الشديد : (ضبطر) من (ضبط وضبر) و (صلدم) من (الصلد والصدم) ." [٣]

ويرى عباس حسن رأيا واضحا في النحت إذ يقول : " وكل ما قالوه : إن العرب قد تلجأ إلى الاختصار فتصنع الكلمة الواحدة من الكلمتين أو الكلمات ؛ تأخذ من هذه ومن تلك بعض حروفها ، وتدع بعضا آخر ، وتصوغ مما أخذته كلمة تستغني بها عن تينك الكلمتين أو

---

[١] الحموي ، ياقوت ، معجم الأدباء ، ١٩٣٦م ، ج٨ ، طبعة مصر ، ص ١٠٢.

[٢] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٦٠ .

[٣] ابن فارس ، فقه اللغة ، مرجع سابق ، ص ٢١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلمات . من ذلك قولهم (بسمل الرجل) أي : قال (بسم الله) وحولق أو حوقل ، قال : (لا حول ولا قوة إلا بالله) . "[١]

ويؤكد رأيه بقوله :" وقد تجدد البحث الآن حول إباحته أو منعه ، فرأى رجال الطب ، والصيدلة ، والعلوم الكيماوية ... وغيرها أن إباحته وسيلة من خير الوسائل التي تساعدهم عند ترجمة المصطلحات الأجنبية إلى اللغة العربية ... وحجة المانعين محفوظة مرددة ؛ هي أن الوارد منه محدود ضئيل لا يسمح بالقياس . ويزيدون على ذلك أن المنحوت لا يظهر معناه إلا لطائفة قليلة أو دون القليل ، ودخوله في اللغة يؤدي بعد زمن طويل أو قصير إلى حشوها بكلمات غير واضحة المعنى .... "[٢]

ويفضل عباس حسن عدم اللجوء إلى النحت ، إلا عندما تشتد الحاجة إليه ، إذ " الحكمة والحفاظ على الكيان اللغوي الأصيل يقضيان ألا نلجأ إلى النحت ما وجدنا عنه مندوحة ، فإن اشتدت الحاجة إليه استخدمناه – مضطرين – استخدام الدواء .... النحت سائغ مباح ، حينما تدعو إليه الحاجة الحافزة التي تقدرها الجامعات الرشيدة المتخصصة – لا الأفراد – وإن الوقوف في طريقه تشديد لا يجد له سندا من عقل ، أو نقل ، أو واقع . " [٣]

ويضيف قائلا : " وقد اتخذ المجمع اللغوي القاهري في (النحت) قرارا سديدا فيه بعض القيود التي تقربه من الطرائق التي سلكها العرب قديما ، دون أن تقلل الانتفاع به ، ونصه : (

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧ – ٢٥٨.

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٥٩.

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النحت ظاهرة لغوية ، احتاجت إليها اللغة قديما وحديثا ، ولم يُلتزم فيه الأخذ من كل الكلمات ، ولا موافقة الحركات والسكنات .... " [١]

قضية العامية والفصحى

كما بحث عباس حسن في موضوع ازدواجية اللغة وعد ذلك مشكلة قائمة بين اللغة العربية الفصحى واللغة العربية العامية ، وما لذلك من آثار على إعرابهما ، ومهاراتهما : قراءة وتحدثا واستماعا وكتابة وتفكيرا ، واصفا هذه المشكلة وداعيا إلى عدم إغفالها وإهمالها ، وضرورة الأخذ بالرأي الصائب فيها ، واتباع ما يجب اتباعه في الحفاظ على اللغة العربية الفصيحة السليمة الميسرة للمتعلم والمعلم والمبدع والناقد ، وكان اهتمامه دافعا لقول كلمة الإنصاف والحق في حل هذه المشكلة ومعالجتها ، إذ قال : " عادت مشكلة : (الفصحى والإعراب) – كما يسمونها – إلى الظهور .... وهم يريدون (بالفصحى) : اللغة السليمة من الخطأ في كلماتها ، وضبط حروفها ، أي : الصحيحة أبنية وشكلا ، ولا يريدون بها اللغة التي تحتل المكان الأعلى من سلم الفصاحة ، ودرجات البلاغة ، وإنما يريدون التي تقتصر على الحد الأدنى من السلامة والصحة . " [٢]

وقد عد عباس حسن التمسك بالعامية خطرا وضررا على اللغة العربية وعلى الأمة العربية وثقافتها وحضارتها وقوميتها ومقومات وجودها ، ودلل على ذلك بقوله : " ولست أعرف دعوة

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثيمة أبعد من الحق ، وأجلب للخطر والضرر عن البلاد العربية ، من الدعوة إلى الإلحاد اللغـــوي ، والمروق من حدود (الفصحى) والعبث بمقدساتها . " [١]

ولمزيد من بيان رأيه في هذا الأمر ، يتابع الحديث في أسباب هذه الدعوة ودوافع الـــداعيين لها مـــن الذين لم يتورعوا عن الترويج للعامية والابتعاد عن استعمال العربية الفصيحة في التـــأليف والكتابة والحديث ، وكان ذلك منهم جهرة وعلى أعين الملأ وعلى أسماعهم ، دون خوف أو شعور بقوميتهم ، وبخاصة أن دعوتهم الهدامة كانت على هيئـــة صيحـــات لا داعـــي ولا مبـــرر لهـــا ، وفـــي هـــذا الصـــدد يقـــول عباس حسن :" وكانت صيحات الأمس كصيحات اليوم ، مزيجـــا من أصوات جاهلة مدفوعة بعجز الوسائل وقصور الثقافة ، وأخرى نفثتها أهواء عنصرية مُرْديـــة ، وحركتها أحقاد تاريخيـــة دفينة ... " [٢]

ويذكِّر عباس حسن العرب بعامة ودعاة استخدام اللهجات العامية بخاصة بمضار اللهجات العامية ، ولعلنا نلمس تفشي هذه اللهجات العامية واستفحالها وانتشارها عند العـــرب في مختلـــف الأقطار العربية ، بله في القطر الواحد منها ، كما نلمس ما يترتب على استعمالاتها مـــن مـــضار وأمراض ثقافية وحضارية ، في هذا العصر ، إذ نرى أن المواقف والآراء والأحكام التي صدرت عن عباس حسن وعن أمثاله من الغيورين على العربية والعروبة والعرب وعلى الإسلام والمـــسلمين ، لم تجد الآذان الصاغية ولا العقول المفكرة بروية وتعمق ، ولا القلوب التي يهمها البقاء علـــى ظـــاهر

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٦٥ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وباطن الثقافة والحضارة العربية في إطار الثقافات الإنسانية المتعددة في هذا العالم من قبيل صـــراع الأجيال وصراع الحضارات ، ولذلك فإن له رأيا مضمونه الدعوة إلى التمـــسك باللغـــة العربيـــة الفصيحة السليمة وترك اللهجات العامية جانبا ، إذ يقول : " لا جدال أن الـــداعين إلى العاميـــة ناسون أو متناسون... وأن الانتفاع بهـــا لا يتم إلا بضوابط كضوابط الفصحى ... وأنها لا تثبـــت على الزمان ، ولا تعمر طويلا ، فتتغير بتغير الأجيال .فهي كبيت مفتوح النوافذ والأبواب لا عائق يمنع داخله ، أو يصد قاصده ، فلا يلبث أن يمتلـــئ بالدخلاء والأخلاط ، لا تجمعهم جامعـــة ولا تؤلف بينهم رابطة ... ولا تلبث – بعد زمن يطول أو يقصر – أن تتحول إلى عاميـــة جديـــدة ؛ تتطلب فهما جديدا ... وفي هذا ما فيه من عناء موصول متجدد ، وجفوه تاريخية بين حاضر الأبناء وأسلافهم ، وقطع الصلات الروحية والمادية بين أهل الأقاليم المختلفة في الأمة الواحدة ."[١]

ويتساءل عباس حسن تساؤلات ذات أهمية ، ولا بد مـــن الإجابـــة عليهـــا ، ومن هـــذه التساؤلات الملحة التي تحتاج إلى إجابات ما جاء في قوله : " وشيء أخير: بماذا يشير دعاة العاميـــة على الأجانب المقيمين في بلادنا ...؟ أنعلمهـــم لغتنـــا وديننا بالعاميـــة .... ؟ أم مـــاذا ؟ وبـــأي العاميات ؟ " [٢]

لقد دعا عباس حسن إلى رفض العامية ومقاومة استعمالها وانتشارها في جميـــع المجـــالات ، ومضمون دعوته وارد في قوله : " ولهـــذه المناسبة نهيب بالأمم العربية – شعوبا وحكومـــات – أن

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٧١ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقاوموا بلاء العامية ، ويمنعوا تسربها إلى الصحف ، والمجلات ، والمسارح ... وسائر وسائل الإعلان والذيوع ." [١]ويا ليت أن هذه الدعوة الجريئة قد حظيت بالعناية والاهتمام والتطبيق والتنفيذ ، وما أحوجنا إلى ذلك في هذه الأيام .

ثم يعرض عباس حسن لرأيين اقترحهما بعض العلماء لحل مشكلة الفصحى والإعراب ، " وأحد الرأيين هو اصطناع العامية في كل ما يتصل بالتخاطب ، والتفاهم الشفهي والكتابي ، وسائر نواحي الحياة العلمية والأدبية ، والفنية . وثانيهما : الاستغناء عن الإعراب الذي هو أكبر خصيصة من خصائص الفصحى والاستعاضة عنه بتسكين أواخر الكلمات ." [٢]

فيرد عباس حسن عليهم مفندا مزاعمهم ، ومرددا ما أورده علماء الاجتماع الأوروبيون والمستشرقون ، حين تساءلوا في الأمر وحين أدركوا قيمة كل لغة من اللغتين العامية والفصحى ، فكان مضمون تساؤلاتهم وأقوالهم ظاهرا في قولهم : " أمن الخير أن ترتفع اللغة العامية إلى مستوى الفصحى ، أم الخير في أن تنزل الفصحى إلى درك العامية ؟ جاءت الإجابة صريحة قاطعة في أن الخير كله في رفع العامية ، لا العكس . وحججهم في هذا ناصعة يعنينا منها قولهم : إن العامية لا ضوابط لها تحدها ، ولا قواعد تجمع شتاتها ، ولا مشتقات دقيقة منظمة تزيدها ثروة وغنى ، فلا سبيل للتأليف والتدوين والتعليم بها . هذا إلى أنها تختلف اختلافا واسعا بين أمة وأخرى تخالفها في عنصرها ، ولكنها تسايرها في لغتها – بل أنها لتختلف في الأمة الواحدة ... وجاء في الإجابة

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص٢٧٣ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك أن العامية لدى أمم الأرض قاطبة لا تصلح أداة طيعة للأدب الرفيع الذي يتفاوت في درجاته بتفاوت المواهب والمناسبات ... " [١]

وقد أيد عباس حسن أولئك العلماء والمستشرقون فيما ذهبوا إليه ، ورأى رأيهم ، فقال مثبتا ذلك في تساؤلات إجاباتها معروفة ، وهذه التساؤلات هي : "... فأي كسب في العامية إذا حُرمت هذا كله ، وانتهت بنا إلى قطع الصلات والروابط بين بلادنا وشقيقاتها ، بل بين أجزاء الوطن الواحد ، وبين حاضرنا وماضينا ؟ " [٢]

قضية استعمال الحروف اللاتينية مكان الحروف العربية

تنادى بعض أنصار التجديد باقتراح يتضمن استعمال الحروف اللاتينية في الكتابة العربية بدلا من الحروف العربية التي نكتب عربيتنا بها ، فقال عباس حسن بفساد رأيهم واقتراحهم المتمثل في " استبدال الحروف اللاتينية ، بالحروف العربية ، والاستغناء عن هذه بتلك ، تيسيرا للراغبين ، وتخلصا من أثقال القواعد النحوية والإملائية وسواهما ... " [٣]

أما رده على هذا الاقتراح فإنه في مضمون قوله الذي جاء فيه : " يتضح أن الكتابة اللاتينية كالكتابة العربية كلاهما يتألف من حروف أصلية ، ومن علامات ضابطة لتلك الحروف الأصيلة ، مميزة لها . بيد أن هذه العلامات في العربية رموز تستقل بنفسها ، وتنفصل عن حروفها ،

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٦٩ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ٢٦٩ .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص٢٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتستقر فوقها أو تحتها ، وقد يمكن الاستغناء عنها أحيانا ، لكنها في اللاتينية لا تستقل ولا تنفصل ولا تحذف ، وإنما ترتسم بصور حروف مشبوكة متماسكة ، وهذه هي ناحية الفرق ؛ وبفضلها يقرأ القارئ فلا يخطئ ، ولا يحتاج إلى تفكير قبل البدء . وتلك مزية لا مراء فيها ، ولكنها مزية لم تفقدها العربية ، ولم يغفل عنها السابقون من علمائنا العباقرة ؛ فهي ليست إلا صورة من صور (التشكيل) وضبط الحروف المعروف عندنا منذ عشرات القرون ." [١]

ويضيف قائلا : " وأرى لزاما علي في هذا الموقف الفني الخالص أن أشير إلى أمرين هامين بعيدي الأثر ، لم ينتبه لهما دعاة التجديد . أما أولهما فهو : أن ترك الشكل في الكتابة العربية ليس أصلا من أصولها ، ولا ضرورة محتومة فيها ، بل ربما كان العكس هو الحق كما ينطق بذلك تاريخ الخط ، فالكاتب بالخط العربي حر في أن يضبط بالشكل الحروف كلها أو بعضها ، وفي أن يترك الحروف بلا ضبط حين يأمن اللبس ولا يخشى الزلل .... وهذه مزية ليست للضبط اللاتيني الذي لا انفكاك عنه في أية حالة ، ولا خلاص من التزامه في كل المناسبات ....

وأما ثانيهما : فهو أن استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ليس إلا اقتراحا خداع المظهر ، وهمي الأثر ... فإن الهاتفين به يلوحون بفائدته التي أشرنا إليها آنفا ؛ وهي القراءة بغير خطأ ، وبغير حاجة إلى تفكر سابق ، مع أن هذه الفائدة متحققة في كتابتنا العربية المشكولة ....ونزيد هنا أن أولئك الهاتفين لم يفطنوا إلى طبيعة اللغة العربية .... فلغتنا لغة إعراب فأواخر كلماتها ليست

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كغيرها ساكنة بل لا بد من تغيير تلك الأواخر بحسب وضعها الأساليب المختلفة ، وهذا .... التغيير رهن بمعارف نحوية ولغوية متعددة . "[١]

الشعر الحر أو المرسل أو المنثور

نظر عباس حسن نظرة الناقد الموضوعي في بعض مؤلفات المحدثين ممن يدعون الإبداع والتحديث والتأليف في الفنون الأدبية المتنوعة وفي علوم العربية وفي مقدمتها علم النحو ، إذ خرج كثير من المحدثين عن أصول الإبداع في اللغة وفي فنونها وآدابها وعلومها ، مما أوجد حيرة عند عباس حسن في تعريف الأجناس الأدبية وتحديد مناهجها وأساليبها ومضامينها ، كالشعر الحر ، وكالتأليف في النحو العربي ، ولعل حيرته كانت أقوى عندما وقف على كثير من نصوص هذا النوع من الشعر ، والذي أطلق عليه بعض النقاد تسميات منها : المنثور أو المرسل أو الحر ، وتجلت حيرته في خروج الشعراء على أصول القول ونظم شعر العرب والعربية وإبداعه مختصا بالخصائص الفنية والأدبية ، ومتسما بالسمات اللغوية والإيقاعية والدلالية التي تفرده عن أي نوع من أنواع الشعر في اللغات الأخرى ، ولا نجد بدا من أن نؤيده في قوله : " فما عسى أن يكون المراد من ذلك (الشعر المنثور)، أو : (المرسل) ، أو : (الحر) ، ...؟ أيراد أنه منظوم وهو في الوقت نفسه منثور ... فكيف يكون الكلام منظوما ومنثورا معا ؟ كيف يمكن التفريق بينه وبين النثر إذا خلا من تلك الضوابط والقيود التي تميز الشعر من النثر ....؟؟ " [٢]

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٨٤ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩١ – ٢٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يأخذ القالب أو الشكل اللغوي الذي وسم بسمة الشعر كفن من الفنون الأدبية مقياسا من مقاييس اللغة التي تصلح لأن تكون شعرا أو نثرا ، ويرى أن أي خروج على معايير الشعر وخصائصه اللغوية ، أو أي خروج على معايير النثر الأدبي وخصائصه اللغوية ، يعد إساءة إلى اللغة العربية التي لحقت بها إساءات كثيرة بسبب يعود إلى من يستعملها وإلى أعدائها الذين وقفوا وما زالوا يقفون لها بالمرصاد وقفات عداء لم ولن تتوقف .

ويقول عباس حسن في مزية هذا النوع من الشعر المنثور أو المرسل أو الحر : " ... وأنهم بهذا لم يطلقوه إطلاقا يدخله في مجال الشعر الأصيل ، ولم يسموه نثرا خالصا فيندمج في طوايا النثر المعروف ، وأنهم أبعدوه عن دائرة هذين بقيد قيدوه به هو : (المنثور) أو (المرسل) أو (الحر) فلم يعتدوا على اصطلاح قائم ... فإنه بانضمامه إلى التسمية الخاطئة – تسمية هذا الكلام الجديد شعرا – قد أسدل عليها ستارا كثيفا من الغموض ، والإبهام ، والتناقض . " [١]

ويرى أن عيوبهم التي تبينت له كانت على أكثر من صعيد ، وأول تلك الصعد كان الصعيد المتعلق بنظم هذا الشعر ، فقال عباس حسن : " ولو كان عيب الدعاة إلى الشعر الجديد مقصورا على عجزهم الأكمل عن نظم الشعر المأثور ، أو عن إلمامهم بخصائصه لهان الكرب نوعا ما . ولكن تكشف لي من أمر هؤلاء الدعاة الأدعياء ما هالني وأزعجني ... وأفزعني أن رأيت كثيرا من زعمائهم لا يستطيعُ في حفل أدبي الإبانة عما يريده بلغة صحيحة ." [٢] وهذا يعني أن اللغة التي

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٩٦.

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استخدمها الشعراء الذين نظموا الشعر الحر أو المرسل لم تكن اللغة العربية الصحيحة المؤديـــة إلى المعاني والدلالات بطريقة وبأسلوب يتناسب مع طبيعتها ومستوياتها التي كونت لها خصائصها على اعتبار أنها اللغة النامية المتطورة الحية ، فهذا الخلل يسيء إلى اللغة العربية وقارئهـــا والمـــتكلم بهـــا والمتعلم لها ولمعلمها الذي يجد بعض المعيقات في سبيل تعليمها بقدر ما يجد المتعلم معيقات تعلميـــة أخرى . ولو أنهم استوعبوا لغتهم وفهموها وتعلموها جيدا ، ولو أنهم عرفوا خصائـــصها وعرفـــوا علومها وهضموها وعرفوا فنونها الأدبية وخصائص كل فن ، لما وقعوا في الضعف والخوار اللغـــوي والأدبي والفني والإبداعي ، ولما جاء شعرهم أو نثرهم على هذه المستويات التي تنبئ عن ضـــعف وقلة حيلة ، وخير للمرء أن يكون ملما فاهما للغته ومستعملا لها أحـــسن الاســـتعمال في القـــول والكلام والإبداع ، على أن لا يخرج على أصول الاستعمال السليم الفصيح الصحيح لهذه اللغة ، فيقول الشعر ولا ينظمه ، ويسبك النثر ولا يرصفه ، " ولعل هذا هو الأحكم والأجـــدر اليـــوم بالتفضيل ؛ لخلوه من التشدد المعوق وكذلك من التـــهاون الـــذي يـــؤدي إلـــى البلبلـــة ، والاضطراب في التفاهم ، ويبعد عن اللغة أهم خصائصها ... "[١]

لقد تبينت مما سبق مشكلة لغوية أخرى نتجت عن الاستعمالات الأدبية للغـــة العربيـــة في الشعر والنثر ، وهي تتعلق ببعض المسائل النحوية التي لا يتقن المحدثون والمتكلمون مـــن العـــرب التعامل معها ، فلا يعرفون العامل في رفع الفاعل مثلا ولا العامل في نصب المفعـــول ، فينـــصبون

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص٤٨ – ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفاعل ويرفعون المفعول ، وليت أنهم تعلموا نحو عربيتهم تعلما يسعفهم في البقاء في دائرة القول السليم الفصيح الخالي من اللحن والخطأ ، وليتهم تساءلوا كما تساءل النحاة من قبل عن حال العامل والمعمول به ، لكان خيرا لهم مما أوقعوا أنفسهم فيه .

وفي هذا الموضوع الطويل الشائك وما يدور في فلكه من موضوعات أخرى تنطلق من اللغة ، وتمسها ، وتعود إليها ، جدال كثير أشار عباس حسن إلى بعضه بقوله : " إن النحاة – لا يرضون هذا ، ولا يقفون عنده ، بل يتساءلون : لم رفع الفاعل ؟ ولم نصب المفعول ... ؟ ويجيبون عن كل سؤال واعتراض بإجابة ، وقد ينشأ عن الإجابة اعتراض جديد ، وإجابة أخرى ... وتخلق الفروض والإشكالات ... وتحتدم الحرب الجدلية ..." [١]

ويستنكر عباس حسن ما آلت إليه الأمور التي أضرت اللغة العربية الأصيلة ومستها في صلبها وفي جوهر علومها ، والسبب في ذلك يعود إلى تدني المستويات اللغوية والتفكير اللغوي لدى الكثير من المحدثين الذين يدعون الإبداع في اللغة وآدابها وعلومها ، وإلى تدني التفكير النحوي وتطبيقاته لديهم في أعمالهم الأدبية ، وقد عبر عباس حسن عن هذا الاستنكار بقوله : " ولو أن الأمر اقتصر على المعارك الجدلية ... لقلنا : (خطب يسير) . ولكنه تعداها إلى صميم اللغة ، وأصولها ، وأساليبها ؛ فقد اتخذوا من تلك العلل المعتلة قيودا حديدية ، أخضعوا لها الكلام العربي الأصيل ، كما أخضعوا لها كلام المحدثين : فإذا رأوا الأول لا يسايرها قالوا عنه : شاذ ، أو قليل ،

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو مؤول ... وإذا رأوا كلام المحدثين لا يوافقها حكموا عليه بالخطأ والفساد ؛ وإن كان موافقا للكلام العربي الأصيل . "[١]

كما يبين نتيجة من نتائج تلك المشكلات المستحدثة التي ما زلنا نلمسها ونلمس استمراريتها ، متسائلين : إلى متى سيبقى حال العرب وحال اللغة العربية يزداد سوءا على سوء بسبب المشكلات التي يصنعها بعض أبناء العربية والكثير من أعدائها وأعداء العرب ؟ وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى آراء النحاة وأحكامهم ، وإلى " تعرض الكلام قديمه وحديثه لقسوة حكمهم ، ولاقى الشعراء والكتاب وغيرهم عنتا في إرضائهم ... ، وكان من ثماره المرة التحكم القاسي في صحة الألفاظ والأساليب ، وعدم صحتها ، أو تضييق مجال التعبير. " [٢] مما أدى إلى ظهور نتاج أدبي رديء كثير .

كما تجدر الإشارة إلى أن أولئك " لم يقصروا سلطانهم على كلام العرب والمستعربين ؛ بل جاوزوه إلى القرآن الكريم نفسه ، فطبقوا حكمهم عليه ، وتناولوه ،كما تناولوا غيره ... " [٣]فالاضطراب والتلاعب والاختلاف وسوء الفهم والعلم بخصائص اللغة العربية ، والتفكير بالأسلوب البعيد من الأسلوب العربي النابع من إقحام قضايا النحو ومسائله في استعمال اللغة العربية الفصحى واستعمال قواعدها وتوظيف مستوياتها ، وادعاء الحداثة في البحث والتأليف

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص١٤٥ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٥ .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأعمال الإبداعية ، تجتمع كلها لتجلي استحداث عوامل تتجاوز ما هي موضوعة له ، والأمثلة في الدراسات والأبحاث ، وفي المؤلفات ، وفي النتاجات الإبداعية ، كثيرة على ذلك و " لعل فيما أوردناه من الأمثلة ما ينهض دليلا على أن (العامل) قد تجاوز اختصاصه حين أخرجه النحاة من دائرته المحمودة إلى التحكم في الألفاظ والتراكيب : ذلك التحكم الذي هو داعية الدهش بل السخط ، وسبب من أسباب الإساءة إلى اللغة ، وتعسيرها على المتعلمين ، والراغبين فيها ، والناطقين بها . "[١]

الفصل الثالث

آراء عباس حسن النحوية

يعد عباس حسن من الأعلام المعاصرين الذين كان لهم دور كبير في علم النحو ، وقد قدم في هذا العلم الكثير من الجهود التي دفعت الكثيرين إلى العودة إلى علم النحو العربي وإجراء الدراسات في أصوله وفي مادته اللغوية ومادته التقعيدية التي تقعد للغة العربية وتقنن لها ، فتجعلها ميسورة التعلم والتعليم وسهلة الاستخدام والتوظيف والاستعمال في الحياة اليومية وعلى الصعيدين ؛ الرسمي الكتابي والشفاهي والشعبي الحكائي والتداولي ، رغم تعدد لهجاتها في أقطار العربية ، بله في القطر العربي الواحد منها .

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ،٢١٤ – ٢١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن من يستعرض حياة عباس حسن العملية والعلمية يجد أنه قد خدم اللغة العربية وعلومها ، إذ تجلت تلك الخدمات في إبداء آرائه وأفكاره وتصوراته واعتقاداته وأحكامه في قضايا اللغة العربية ومسائلها ، وفي قضايا النحو العربي ومسائله ، فركز بحثه في ما ورد عن قدامى اللغويين والنحويين في مؤلفاتهم ومصنفاتهم ، وأخضعها للبحث المعمق وللدرس المستفيض ، فأيد بعض المسائل ، ورجح حكما أو رأيا في بعضها الآخر ، واستغرب واستهجن بعض الأحكام والآراء ، وعارض أحكاما وآراء لم يجد لها في رأيه مسوغا منطقيا معقولا ومقبولا ، ولطالما كان يدرس المثال الحجة الذي احتج به النحوي الأول ، فيبين ما فيه من شوائب أو مغالطات أو أخطاء أو نقص في التحليل والاستنتاج ، ثم يبدي الرأي والحكم الذي يراه يناسب المادة اللغوية والمادة النحوية وما اشتملت عليه من القواعد والأصول التأسيسية لكلام عربي فصيح سليم خال من الخطأ واللحن ، معتبرا أن النحو والصرف الذي لا ينفصل عنه يعدّان " دعامة العلوم العربية وقانونها الأعلى ؛ منه تستمد العون ، وتستلهم القصد ، وترجع إليه في جليل مسائلها ، وفروع تشريعها . " [١]

فضل النحو ونشأته

يشير عباس حسن بعد ذلك إلى العلاقة بين علم النحو وعلوم اللغة العربية الأخرى ، فيجمل هذه العلاقة بقوله : " ولن تجد علما منها يستقل بنفسه عن النحو ، أو عن معونته ، أو يسير بغير نوره وهداه . " [٢]

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، أوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع ص ٥

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستند في ذلك إلى ما أوصلته إليه معرفته ودرايته وخبرته في النحو وفي علـــوم العربيـــة ، وإلى ما استنتجه من قواعد وأحكام أفصح عنها بعد العلم والتعلم والتعليم في العربيـــة وعلومهـــا ، وبخاصة علم النحو ، وعلم الصرف الذي لا مسوغ لانفصاله عنه ، فوصف النحو وصفا موضوعيا شاملا دقيقا بقوله : " إنه النحو ؛ وسيلة المستعرب ، وسلاح اللغوي ، وعمـــاد البلاغـــي ، وأداة المشرع ، والمدخل إلى العلوم العربية والإسلامية جميعا ، فلـــيس عجيبـــا أن يـــصفـــه الأعـــــلام السابقـــون بأنـــه : (ميـــزان العربيـــة ، والقانـــون الـــذي تحـــكـــم بـــه فـــي كـــل صـــورة من صورها) [٣] وأن يفرغ له العباقرة من أسلافنا يجمعون أصوله ، ويثبتون قواعـــده ، ويرفعـــون بنيانه شامخا ، ركينا ، في إخلاص نادر ، وصبر لا ينفد ." [٤]

ويرى عباس حسن أن ما قاله (دي بور) في كتابه تاريخ الفلسفة في الإسلام ، يعبر تعبيرا واثقا واسعا واضحا عن النحو وقيمته بقوله [١] : " علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربي ، بما له من دقة في الملاحظة ، ومن نشاط في جمع ما تفرق ، وهو أثر عظيم يرغم الناظر فيه على تقديره ، ويحق للعرب أن يفخروا به . " [٢]

لقد وصـــف عباس حسن النحو وصفا دقيقا يميل به إلى التقنين ، فكان له مكـــان يـــشبه القانون ، بل هو القانون نفسه الذي يقعد للغة ويعين علومها الأخرى ، فيكون له الفضل في رفدها

---

[٣] القلقشندي ، أبو العباس ، صبح الأعشى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مطابع كوستا توماس وشركاه ، ١٩٦٣م .

[٤] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص٦.

[١] دي بور ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة الدكتور محمد أبو ريدة ، ص ٤ .

[٢] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإغنائها وتصويب مساراتها وتوجيهها الوجهات الصحيحة التي يجب أن تتجه إليها ، فقد التفت إلى المكانة الرفيعة التي مكنت للنحو أن يكون دستور اللغة وعلومها ، فقال : " إن منزلة النحو من العلوم اللسانية منزلة الدستور من القوانين الحديثة " [٣]

ويؤكد عباس حسن حاجة جميع العلوم إلى علم النحو ، إذ يقول : " وهذه العلوم النقلية – على عظيم شأنها ، وعميق أثرها – لا سبيل إلى استخلاص حقائقها ، والنفاذ إلى أسرارها – بغير هذا العلم الخطير ." [٤]

لقد كان لعلم النحو بداية لها إرهاصاتها لدى اللغويين عندما تحولوا بمناهجهم ومؤلفاتهم إلى أن يكونوا نحويين متخصصين ، فكان لهم الفضل في إيجاد علم النحو الذي نشأ فنما وتطور إلى أن استغرق كل مادة اللغة ، " فجاء سامق البناء ، وطيد الدعامة . مكين الأساس ، حتى وصل إلى أهل العصور الحديثة التي يسمونها – عندنا – : (عصور النهضة) قويا ، ركينا متينا ، من فرط ما اعتنى به الأسلاف ... "[١]

بدأ عباس حسن بحثه في المشكلات التي أصابت النحو منطلقا من نشأة النحو والأسباب التي أدت إلى ذلك ، واستخلص أن البدايات الأولى لظهور النحو العربي كانت بعد مجيء الإسلام فقال :" لم يكن بد من أن يقع الاتصال بينهم وبين أهل تلك البلاد ، وأن يكون للاتصال أثره المحتوم في لغة الفريقين ، وأخلاقهما ، ومظاهر حياتهما ؛ فيتأثر كل بالآخر ، ويؤثر فيه ،... فكان

---

[٣] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص ٦٦.

[٤] المرجع السابق نفسه ، ص ٦٦ .

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طبيعيا أن تتعرض لغة العرب للتأثر ؛ فتتسرب إليها كلمات أجنبية ، أو تتغير أبنية بعض الألفاظ أو يختل ضبط بعض حروفها ، أو تركيب جملها وأساليبها ." [٢]

ولذلك " فزع المسلمون حرصا على لغتهم ، ولغة كتابهم الكريم ، وبادروا إلى اتخاذ الوسائل لدفعه ، ودرء خطره ، وكان أول ما اتخذوه لذلك وضع (قواعد النحو) بمشورة الإمام (علي) – كرم الله وجهه – وتوجيهه ؛ فقد انتدب للمهمة أبا الأسود الدؤلي – على الرأي الراجح – وخط له منهجها.... " [٣]

ولعل الأعمال التي قام بها أبو الأسود الدؤلي كانت مبنية على أسس وقواعد منهجية تحقق أهداف المهمة التي أوكلت إليه ، مما شكل البدايات الأولى الصحيحة لوضع النحو وقواعد اللغة العربية ، وقد أسهم ذلك في بلورة مشروع ضخم كبير له خطته وإجراءاته وأهدافه ، ولا شك في أن الحفاظ على اللغة العربية كان من أسمى الأهداف وأهمها ، وهذا يؤكد أن " الشروع في صيانة اللغة بوضع أصول وضوابط نحوية لها قد بدأ في صدر الإسلام كذلك ، ولكنه خطا خطواته الأولى وئيدا خلال القرن الأول الهجري وصدر الثاني ... ثم نشط واتسع وظهر الأعلام المشتغلون به والمؤلفون فيه ، أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل الثالث ." [١]

ولما كانت نشأة النحو العربي وليدة الإحساس بالحاجة إلى ضبط قواعد اللغة الفصيحة ، سواء أكانت ملفوظة أم مكتوبة ، وعلى اعتبار أنها لم تعد مجرد أداة للتواصل الاجتماعي فحسب ،

---

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٧ – ١٨ .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ١٨.

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنما أصبحت أيضا وعاء للنص القرآني المقدس وأداة لفهم العقيدة الإسلامية ، فقد كان للنحاة واللغويين الأوائل الريادة والسبق ، ولهم الفضل في أن أسلموا رايات هذا العلم الرفيع إلى من جاءوا من بعدهم ، فارتقى علم النحو واستوى على سوقه إلى حدود واسعة ، " ثم علا شأنه ، واشتهر أمره في القرن الخامس والقرون الأربعة التي تليه ، حيث ظهر من أئمته : الزمخشري ، وابن مالك ، وابن هشام ... وأضراب لهم . ثم تبعهم بالشرح ، والتعليق ، والإحاطة ، والاقتصار من جاء بعدهم خلال القرون المتعاقبة إلى أيامنا هذه ، ولم نر من هؤلاء التابعين من أتى بجديد أصيل لم يكن مسبوقا إليه ." [٢]

إلا أن عباس حسن يرى أن جهود الأوائل من النحاة لم تستمر على وتيرتها عند المحدثين ، مما لفت انتباهه إلى أن هناك فتورا أو قصورا في إيلاء الاهتمام بالنحو وفي الوقوف على كنوزه وذخائره بما يضيف جهودا جديدة إلى جهود الأوائل ، فمر النحو في العصر الحديث بمحطات فيها نكوص وتراجع عن مكانته التي كان يحظى بها بين العلوم المختلفة ، وذلك لأن المحدثين " لم يمدوا نهضتهم إليه ، ولم يبسطوا سلطانهم عليه ، ولم يتناولوه بما تناولوا به غيره من تجديد يبعث الحياة في قديمه ، أو تنظيم يجمع ما تفرق منه . "[١]

العيوب والمشكلات النحوية

---

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٨ .

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٦٧ – ٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن عباس حسن لم يألُ جهدا في استخراج كثير من صور عيوب النحو وآفاته التي كان معظمها من صنع بعض النحاة أنفسهم بما فعلوه من مجادلات ومماحكات وخلافات في مسائل لغوية وفي مسائل نحوية حصرها ودرسها وحاول وضع المعالجات المناسبة لكل حالة منها ، فمكن غيره من دراسة المسائل النحوية دراسة تجعله يكون قادرا على فهم النحو وتعلمه أولا وعلى تعليمه واستيعابه في إطار أساليب التدريس والتعليم المناسبة لكل مسألة منها ثانيا . لقد وضع عباس حسن جميع أبواب النحو في مؤلفاته النحوية ، ودرسها مسألة مسألة بدء من مسائل الكلام وما يتألف منه وانتهاء بمسألة الإعلال بالحذف ، وما عدا مسائل الوقف والإمالة والإدغام .

توقف عباس حسن عند الشوائب والأدران التي وجدت في النحو نتيجة أسباب قديمة قدم النحو ، ولم تجد من يوقف امتدادها من النحاة ، فبقيت تتناقل من نحوي إلى آخر إلى هذا الوقت ، وحاول بجهوده الكشف عنها وعن أسبابها وظواهرها ، ومن ثم دراستها وإبداء الرأي فيها ، مؤكدا أنها اندست " بين الحقائق العلمية النقية بعمل طوائف مختلفة ؛ أهمها طائفتان : طائفة أحبت لغتها ، وأسرفت في الإخلاص لها ، وقصرت جهدها على اتخاذ الوسائل لصيانتها ، وهي لهذا جد مشكورة ، لكنها أخطأت الطريق القويم لذلك ؛ فزعمت التمسك بالقديم في غير تسمح ، والجمود عليه في غير ملاينة ، والوقوف عنده في غير تصرف واجتهاد ؛ .... وطائفة اتخذت الفلسفة شعارا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها . وتعلقت منذ قديم بالأساليب الكلامية ، وقضايا المنطق الجدلي ، واستخدمته في البحوث اللغوية وما يتفرع منها ، والتزمته في تأليفها ، ودراستها ، وسائر صلاتها العلمية ...."[١]

وفيما يلي أهم العيوب النحوية والمشكلات والشوائب التي أبدى فيها عباس حسن مواقفه وآراءه ، وهي : –

اللغة والطريقة في التأليف النحوي

ولما كان علم النحو أحد علوم اللغة العربية المهمة ، فإنه أختص بلغة ذات مصطلحات ومفاهيم خاصة تميزه بمفردات وألفاظ وتعبيرات سياقية واصطلاحية من مفردات علوم اللغة العربية الأخرى ومصطلحاتها ، وربما تلتقي مع بعضها فيها ، إلا أنها تختلف في المقصد والدلالة ، ومن يبحث اليوم في مصنفات قدامى النحويين واللغويين ومؤلفاتهم يجد ذلك بوضوح ، وغالبا ما يعسر عليه الدخول إلى أكناه المؤلفات والوقوف على أسرارها ، وربما يصف اللغة ، التي صيغت بها المعاني والأفكار والصور الذهنية والوجدانية والدلالات والمقاصد ، بأنها لغة عسرة معسرة ، وربما يقول كما قال بعض الباحثين المحدثين : " إن اللغة الموجزة الكنزة (لغة المتون وأشباهها) معيبة اليوم ، وكذلك اللغة المضغوطة المزدحمة بالدلالات والإشارات والأحكام النحوية الدسمة . "[١]

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص١١

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص٢٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويضيف عباس حسن قائلا : " وأوضح مثال لهذين : (كتاب سيبويه) الذي يمثل في كثير من نواحيه لغة الفارسي المستعرب ، في إيجازها وفي ازدحامها بالمعاني والأغراض ازدحاما يبلغ حد التخمة مع التواء حينا . "[٢]

لأنه في مثاله هذا يرى أن لغة سيبويه كانت اللغة التي تفهم في ذلك الوقت دون لبس أو غموض ، وكلما بعد زمانها كلما احتاج قارئها إلى معينات ومساعدات على التفسير والتحليل والإيضاح والتعليل والفهم والإدراك والاستيعاب ، لأنه " إذا كانت اللغة الكنزة – كلغة المتون معيبة ، وكذلك اللغة الملتوية والمضغوطة كلغة سيبويه ، فإن اللغة الفضفاضة بغيضة كذلك ؛ كلغة شرح المفصل – أحيانا – في أبواب متفرقة . وليس العيب مقصورا على الاقتصار المخل ، أو على الالتواء أو على الإطالة ؛ وإنما يمتد إلى نواح أخرى بلاغية تتعلق باختيارهم الألفاظ مرددة – كاختيارهم الدائم في كل أمثلتهم زيدا ، عمرا، بكرا – وتركيب الجمل معادة مبتذلة ، وبناء الأساليب بعيدة في صياغتها ومعناها عن الحياة القائمة . " [١] متناسين في ذلك أن المتون عربية اللغة ، وأن النحو هو نحو العربية ذاتها ، وأن أساليب القول والكلام كانت قديما لها أنساقها وأساليبها وطرائق تركيبها وديباجاتها المألوفة في الغالب الأعم وغير المألوفة للقليل النادر من الطلبة والمريدين والأشياخ المعلمين وللعلماء الباحثين في الأزمنة الأولى من حياة اللغة وتطورها ونموها وازدهارها، ولا غرابة في ذلك في الأصل ، إلا أن استغراب المحدثين لتوظيف تلك اللغة واستعمالها

---

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٢٥ .

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمفرداتها ومصطلحاتها وتراكيبها ونحوها وصرفها وبأساليبها ، ليس في محله ، ومن ينظر في مناهج البحث والتأليف عندهم ، وما يتطلب ذلك من الأساليب والطرائق ، يجد أنها كانت متميزة في خصائصها وسماتها التي كانت مستساغة إلى حين قريب من حين العصر الحاضر .

وقد قال عباس حسن عن مناهج البحث والتأليف رأيه الذي يعالج فيه هذا الأمر ، في جزء منه ، قاصدا الدفاع عن السابقين بحجة ، وموضحا أن لكل عصر مزاياه من حيث الاستعمال اللغوي في شتى مناحي الحياة والتفكير والعلوم ، ولعل في ذلك دفعا لتهمة ألصقها بعض المحدثين بالقدامى وبما أبدعوه وألفوه ، فقال عباس حسن المعلم الحديث الذي اهتم بهذا الشأن قولا مفاده : " وكم رأينا مقبلا على النحو زهد فيه بسبب اللغة ، وطريقة التأليف ، وطالبا كبيرا شكا إلى الله ما يلقى منهما، ونحن – معشر المعلمين – ندرك من صدق هذا ونشهد من آثاره في الطلاب وفينا – ما يجعلنا نقطع بضرورة هذا الإصلاح والمبادرة به ... في إخراج كتب نحوية جديدة ، في لغة وطريقة جديدة ."[١]

وتوقف عباس حسن عند مشكلة عدم التجميع وسوء التوزيع ، ورأى أنه لا يوجد كتاب نحوي جامع شامل للنحو كله ، ولا لمسائله ، بحيث يكون موسوعة نحوية وافية ، يرجع إليها وفيها مادة النحو كلها بلا تشتيت ولا نقص . [٢]

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢١٨ – ٢١٩ ، بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى عباس حسن أن هذه المشكلة تحتاج إلى حلول عاجلة شافية لأنها ذات آثار سيئة كثيرة على اللغة العربية وعلومها وآدابها وعلى النحو العربي ومسائله وعلى الباحثين والمتخصصين ، وعلى الأدب والأدباء ، وعلى وسائل الإعلام ، والأندية الأدبية والعلمية .

ثم يرى عباس حسن أن بعضا من العلاج يمكن أن يتأتى من خلال " جمع هذا الشتات كله ، ثم غربلته بتؤدة، وأناة ، ومهارة ؛ لاستخلاص (النحو الشارد) ثم وضعه مواضعه الأصلية من أبواب النحو ، وفصوله ، ثم إخراج (موسوعة) نحوية حديثة ."[٣]

وألقى بالتبعة على من له القدرة على القيام بهذه المهمة بمهارة وإتقان ، لتنفيذ هذه الخطة العلاجية لهذه المشكلة ، وتساءل فيما إذا كان الأفراد من ذوي الثقافة النحوية المتخصصة أو الهيئات العلمية الرسمية ؛ كالجامعات ووزارة التربية ومجامع اللغة ، أو المؤسسات غير الرسمية ، قادرة على تحمل أعباء هذه المسؤولية الكبيرة .

وبين عباس حسن آفة سوء التوزيع وكيفية حدوثها ووقوعها في مصنفات النحويين القدامى والمحدثين ومؤلفاتهم في اللغة والنحو ، إذ بدا له ذلك في عدة مظاهر وأشكال وظواهر يمكن إن صدقت النوايا التغلب عليه ومعالجة أسبابه وظواهره ، ليكون حسن التوزيع بدلا من سوئه ، وليعود الأمر في وضعه الصائب ، مسائل الباب الواحد تندرج تحت ذلك الباب ، وتتجمع فيه ،

---

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص٢٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتنحصر في داخله ، إذ لا يوجد كتاب نحوي يحوي المسائل والقواعد التي تتعلق بفصل أو بباب واحد مجتمعة فيه غير متفرقة . [١]

وأكد أن سوء التجميع وسوء التوزيع عيبان متصلان لا يخلو منهما أي كتاب من كتب النحو ، إذ " لا نجد كتابا واحدا في النحو يجمع أبوابه وقواعد كل باب ، جمعا لا قصور فيه ولا تقصير ، فإن العيب الثاني أننا لا نجد في النحو كتابا يحوي الباب منه كل مسائله مع فروعها احتواء شاملا يحصرها في دقة وتوفية بحيث يغني عن الرجوع إلى باب آخر . وهذا العيب عام في كتب النحو كلها . "[٢] وما كان من عباس حسن إلا أن حاول جاهدا التغلب على هذه المشكلة وما نتج عنها ، فجمع ما وسعه جمعه ، ووزع الأبواب النحوية وصنفها كما فعل ابن مالك في ألفيته ، ووجدناه يستحسن دائما إيراد القاعدة كاملة عند البحث في باب ما من أبواب النحو ، ويرى أن لا تجزأ القاعدة ضمانا لتحقيق الفائدة اللغوية والنحوية منها .

التعارض والتعدد في الآراء

تطرق عباس حسن إلى مشكلة التعارض ، التي نشأت على اعتبار أنها مشكلة نحوية أولا ثم لغوية ثانيا وأسلوبية بلاغية ثالثا ، وبين أنه لا مبرر لها لو كان النحاة قادرين على التعامل مع مفردات اللغة بعيدا من المجادلات والخلافات والأحكام التي نبهت اللغويين إلى بعض العيوب النحوية التي أرغمتهم مثل ما أرغمت الشعراء والأدباء والكتاب والرواة على البحث عن أساليب

---

[١] بتصرف ، حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ص ٢٢١ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعبيرية تجنبهم الوقوع في الأخطاء التركيبية المؤدية إلى الأخطاء النحوية في رأي النحاة ، لأنه من المستحيل أن تتوقف قدرات اللغوي وقدرات العالم في علم من غير علوم اللغة أو في علوم الفلسفة والمنطق ، عن الاستمرار والتواصل مع واقعه الذي يعيشه اللغوي أو العامل ، وإلا لكانت أساليب التعبير متوقفة على مدى فهم القواعد النحوية واستعمالها قبل القواعد اللغوية ، ولجاءت جميع الأساليب على أنساق متقاربة لا تفاوت بينها ، ولتوقف الإبداع والتصنيف والتأليف عند حدود فهم المباني اللفظية دون اهتمام بالمعاني والدلالات ، ولكن الأمر كان مرتبطا بالسليقة والطبيعة اللغوية عند العربي الأصيل الذي حاول استبعاد اللغة الدخيلة والمعربة والمنقولة والمترجمة في بداية الأمر ، وفيما بعد استثمار هذه المفردات التي أراد العرب الأصلاء استعمالها بلكنة عربية لا تبتعد بهم عن لكنة لغتهم ولا عن معانيها ودلالاتها ولا عن نحوها وصرفها ، فطوعوها لصالح العرب والعربية ، وغضوا الطرف عما ينتج عن ذلك من مشكلات نحوية تجعلهم في خلاف ونقاش وأحكام فيها بعض التناقض أحيانا وفيها بعض التقارب أحيانا أخرى . [١]

ولذلك توقف عباس حسن عند بعض المسائل النحوية وناقش أمثلة كثيرة فيها ، وحاول أن يجد منها التأويلات النحوية والتعارضات التي نشأت بين آراء النحويين والبلاغيين وأحكام الطرفين على اعتبار أن النحوي يقدم للبلاغي وللناقد الأدبي ، وهما يركنان إليه في تجويد الأساليب التعبيرية وتحسينها بعيدا عن المشكلات النحوية ، كما يعتمدان على ما توصل إليه النحاة من

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٦٢ – ١٦٤ ، بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعليلات لبعض التراكيب اللغوية وأساليب الكلام العربي من أجل أن لا يخرجوا عن النطاق النحوي الذي وضعه النحاة على الرغم من ما فيه من تأويلات وتعارضات وأحكام وآراء ، بحيث تبين أنهم لجأوا إلى أساليب لغوية نحوية أسلوبية لتجويد إبداعاتهم ومؤلفاتهم في الشعر والنثر ، وقد توقف عباس حسن عند دراسة المسائل النحوية وقفات بين فيها ما جاء به النحاة من تأويلات وتعارضات مع آراء البلاغيين والنقاد واللغويين .

وأورد أمثلة تجمع بين مسألتين نحويتين بينهما اتصال وتوافق في ما أصدره النحاة بشأن كل واحدة منهما من الآراء والأحكام التي فيها تقارب أحيانا وفيها خلاف وتناقض أحيانا أخرى ، وذلك ما قيل في النعت وما قيل في الحال ، إذ استعمل هذه الأمثلة محتجا بها ومستندا إليها في إثبات ما ذهب إليه ، فمثلا : " ما قيل في النعت قيل مثله في الحال . قال الأشموني في شرح بيت ابن مالك :

ومصدر منكر حالا يقع بكثرة ؛ كبغتة زيد طلع

ما نصه : (مع كون المصدر المنكر يقع حالا بكثرة هو عندهم مقصور على السماع) وجاء في حاشية الصبان ما نصه : (قوله مقصور على السماع) لأن الحال نعت في المعنى والنعت بالمصدر غير مطرد ؛ فكذا ما في معناه . " [١]

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٨٦ – ١٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورأى عباس حسن أن الأمر لم يتوقف عند هذا فحسب ، وإنما امتد إلى تداخل المشكلات مما أدى إلى خلق مشكلات أخرى من صنف ثالث وهي تعد مشكلات لغوية حينا ومشكلات نحوية حينا آخر، وذلك حسب طبيعة الموضوع الذي يخضع للبحث والدرس ، فإذا كان الموضوع ذا طبيعة لغوية فيعدها الباحث مشكلة لغوية ، وإذا كان الموضوع ذا طبيعة نحوية فيعدها الباحث مشكلة نحوية ، ورأى أن هذا الصنف من المشكلات يخلق نوعا من التعارض بين اللغة والنحو وبين اللغة وعلومها الأخرى وبين علوم اللغة العربية وبقية العلوم الإنسانية التي اتخذت من العربية قوالب لفظية لها بمثل ما اتخذت العربية المعاني والأفكار والمعارف والخبرات والتصورات الذهنية والوجدانية من تلك العلوم .

التعليل والعامل

وعلى سبيل المثال نجده يبحث في مشكلة التعليل التي يرى أنها كبقية المشكلات النحوية الأخرى ، وأنها " لو اقتصرت على الجدل اللفظي ، والتسابق إلى إظهار البراعة المنطقية من غير أن يكون لها أثر عملي في ضبط الكلم ، وتركيب الجمل ، والتحكم في صياغة الأساليب ، وصحة مفرداتها ــ لهان الخطب نوعا ما ، وانحصر الضرر في تصديع الرؤوس بالثرثرة ، واحتمال الجهد فيما لا يستحق احتمالا ، ولكن الأمر أخطر أثرا ، وأفدح ضررا ، بما فيه من سيطرة عاتية طاغية تتناول المفردات والمركبات . بل إنها لتمتد إلى طرائق التفكير نفسها ، وتتحكم في المعاني تحكمها في الألفاظ وتفرض على المتكلم والكاتب قيودا ثقيلة مرهقة ، لا مسوغ لها من عقل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سليم ، ولا نقل مسموع عن العرب أهل هذه اللغة ، وأصحاب الكلمة الأولى في شئونها . " [١]

ويعتقد عباس حسن بأن من أسباب هذه المشكلة الاختلاف في الفهم والتحليل والتخريج النحوي الذي كان كل نحوي يراه الأنسب في حل مسألة لغوية أو مسألة نحوية ، وعزا ذلك إلى نشأة التعليل في صوره المختلفة ، وحاول جاهدا أن يضع يده على كنه المشكلة وأسرارها ليتمكن من تجنب الأوهام النحوية التي اتصل بها التعليل ، وليحذر من مشكلة التعارض بين النحو والعلوم اللغوية الأخرى ."[٢]

وكشف عن مشكلة إفساد الأساليب البيانية بالتحكم في فنون القول الأدبي تحكما ضارا ، ويعود ذلك إلى تعقيد النحو الناتج عن التعامل مع العامل المؤثر في الحركات الإعرابية للمفردات وألفاظ النص الأدبي . وعزا ذلك إلى ما يحدث من تنازع في العلل وما ينتج عن العوامل المؤثرة في التراكيب اللغوية التي تبني سلامة الذوق الأدبي وحسن التقدير البلاغي بعيدا عن محاكاة الصور البيانية وأساليب التعبير ذات التراكيب القبيحة والمعاني الغامضة والصياغة الخاطئة .

وبين علل النحو التي توقف عندها النحاة كثيرا في مؤلفاتهم ، إلا أنها كانت وقفات مثيرة للجدل والخلاف النحوي الذي استند إلى ما احتج به كل نحوي من كلام العرب بحسب ما بلغ إليه علمه وما هداه إليه اجتهاده ، أو استند إلى ما احتج به سابقوه من كلام العرب .

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ص ١٦٧ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ١٨٤- ١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم وضـــح أوجه الجدل والخلاف في العلل بين فريق نحاة البصرة وفريـــق نحـــاة الكوفـــة ، وحاول الخروج ببعض الآراء والأحكام التي تزيل الوهم والخلاف بين الفريقين ، إلا أنه لم يتجـــاوز حدود التحليل والشرح والتفصيل ، إلى أن قاده البحث إلى الكشف عن وجود فريق ثالـــث مـــن النحويين من غير نحاة البصرة ونحاة الكوفة ، إذ وجد أن لهم وقفات من نوع آخر تركـــزت علـــى الأخذ من الفريقين والاحتجاج بما احتج به الفريقان ، مع إضافة بعض التحلـــيلات والتعلـــيلات باجتهاد ورؤية منهم ، إذ كان في هذا الأمر حسم لخلاف ما في موقف ما في موضوع ما ، أو كان فيه توسعة للخلاف ومن غير اتفاق على حل وسط ، ومن الأمثلة على هذا الفريق الثالـــث مـــن النحويين نجد الزجاجي الذي تعرض لمسألـــة العلل والتعليل والتعلة ، فقال رأيه قاصدا بيان هـــذه المسألة بأسلوب لا يثير الخلاف فيها ، وذلـــك في قوله : "وعلـــل النحو بعد هـــذا علـــى ثلاثـــة أضرب :علل تعليمية ، وعلل قياسية ، وعلل جدلية نظرية ." [١]

أما عباس حسن فقد اهتم بهذه المسألة واعتبرها مشكلة من مشكلات النحو العـــربي ، واقترح حلا لها يوصل إلى أحكام واضحة ، سهلة ، سليمة اللغـــة ، مـــشابهة للكـــلام البليـــغ ، ومتناسقة مع الأحكام النحوية الأخرى ، وذلك بأن تكون الأحكام مقصورة على آراء ومـــذاهب بعض النحاة التي تضمنتها كتبهم المتداولة . لأنه يرى أن السبب يعود إلى تنازع العلل واخـــتلاف النحاة فيها الشيء الذي تأثر به النص الأدبي ومبدعه ، ورأى أن اقتصار أحكام التنازع على أمور

---

[١] الزجاجي ، أبو القاسم ، الإيضاح في علل النحو ، تحقيق مازن المبارك ، ١٩٥٩م ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، مصر ، ص ٦٤ – ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعينها في أبواب النحو ومسائله يحل المشكلة ويضيقها ، وبمرور الزمن وبالدربة والمراس والتداول والاستخدام الأمثل للغة يجعل النص الأدبي أكثر طواعية وفنية وجمالا أدبيا وبلاغة وبيانا . وقد أورد عباس حسن أمثلة فيها دلالات على ما للتنازع في العلل من آثار تسيء إلى اللغة العربية الأدبية لفظا وكتابة ، وجميع تلك الأمثلة فيها " ما يصلح رمزا دالا على نظائرها الكثيرة المتفرقة في أبواب النحو وكلها يؤيد رأينا ، وينطق بأوضح بيان بما أصاب اللغة (ضبطا ، ومبنى ، وأسلوبا) في صميمها من إساءات بالغة بسبب إخضاعها للعلل (والتعلات) ، وإزاحتها عن صدرها بعد أن أوسعت الخلاف ،وعددت الآراء ، توسيعا وتعديدا ليس مصدرهما لهجات العرب التي سبق الكلام عليها ، وإنما مصدره المجادلات الزائفة ، والمماحكات اللفظية ؛ فاشتد بها الداء . اللهم إلا (التعليلات التنظيرية) السديدة .... " [١]

لقد استند في آرائه السابقة إلى ما اتفق عليه النحاة في عدم جواز اجتماع عاملين على معمول واحد ، إلا إذا كان العمل لمجموعهما كما في (زيد وعمرو قائمان) . وأيد بعض النحاة في تسمية التنازع في العمل بالإعمال الذي يعني : " ما يشتمل على فعلين ــ غالبا ــ متصرفين مذكورين ، أو على اسمين يشبهانهما في العمل ، أو على فعل و اسم يشبهه في العمل ، وبعد الفعلين وما يشبههما معمول مطلوب لكل من الاثنين السابقين . " [٢]وهذا يعني عند عباس حسن " أنه يجوز أن تزيد العوامل على اثنين مع زيادة

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٧٧– ١٧٨ .

[٢] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعمولات أو عدم زيادتها ، ويشترط في كل الحالات أن يزيد عدد العوامل علـــى المعمـــولات في الكلام لكي ينشأ التنازع . " [٣]

ويرى ضرورة التنبه إلى أثر كل عامل في المعمول انطلاقا من جواز تعدد العوامـــل وبقاء المعمول واحدا غير متعدد ، إذا ارتضى هـــذا المذهـــب ونقله عن النحاة ومذاهبهم " [٤] وخلص إلى أن العوامل ومعمولاتها موضوع أثار جدلا ونقاشا وخلافا عند أئمة النحاة وعند تابعيهم ، فذكر أن العوامل ؛ تكون اثنين أو أكثر . وكذلك المعمولات ، وربما لا تتعدد ، ويشترط فيهـــا عنـــد تعددها أن تكون أقل عددا من عواملها المتنازعة . وذكر أيضا أنه يجوز اختيار عامل واحد للعمل في المعمول المذكور في الكلام ولا ترجيح من هذه الناحية لعامل على آخـــر . وبـــين أن المعمـــول المرفوع الظاهر في الكلام يكون لأحدها ، ولكل عامل آخر مرفوع يكون ضميرا عائدا على الاسم المرفوع .

وأشار إلى جواز اختيار أحد العوامل للعمل في معمول غير مرفوع فتبقى العوامل الأخرى من غير عمل لا في ضمير المعمول ، ولا في اسم ظاهر ينوب عنه ، " لأن الاستغناء عن هذا الضمير أو ما يحل من اسم ظاهر ، جائز في الأساليب الفصيحة الخالية من التنازع ." [١]

ويرى أن الأمر يحتاج من اللغويين والنحويين إلى قرارات وإجراءات تكون على مـــستوى التنظير وعلى مستوى التطبيق العملي التداولي للغة ، كما يحتاج إلى التركيز على الجانب التطبيقـــي

---

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٤

[٤] المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٧ .

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ١٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في التعليلات التي تعد أثرا من آثار العوامل التي لا بد منها ، وهذا مرهن بمدى القناعة بما ينتج من نتائج تجعل العلل متوافقة متطابقة غير متنازعة ، حفاظا على اللسان العربي من الزيغ واللحن والاضطراب والانحراف ، وتطهيرا للنحو من عيوبه ، وتصفية له من النقائص والأوشاب التي طغت عليه وأساءت إليه وإلى المشتغلين به . [٢]

ولذلك رأينا أنه كان لعباس حسن اهتمام بالغ بالجانب اللغوي للنحو وما له من آثار على القواعد النحوية وما كان فيها من خلاف عند النحاة ، ولعل ذلك يعود إلى اعتمادهم على اللغة التي جمعوها وصنفوها وبوبوها ودونوها واشتقوا قواعد النحو منها ، تلك اللغة التي لعبت رواية الشعر العربي فيها أدوارا أساسية لا يمكن تجاهل أي منها ، تلك اللغة التي اختلفت في بعض مادتها اللغوية اختلاف اللهجات العربية عند القبائل العربية ، واختلاف الرواة من عرب ومن عجم ، ومن رواة صادقين وغير صادقين ، عدا عن منشأ النحوي أو اللغوي ، أعربي هو أم غير عربي ، وكل ذلك يصنع حيرة تدعو إلى الوقوف على أدق التفصيلات ومعالجتها للحفاظ على اللغة والإبقاء عليها سائغة سليمة فصيحة .

ويشير إلى أن الاستعمالات اللغوية جعلت النحاة يلجأون إلى التعليل لتوضيح الحكم النحوي وتخريجه في المسائل النحوية واللغوية ، فما من حكم ولا من قاعدة إلا ولها تعليل ، يعتمد على مقدرة النحوي ، وتمكنه من زمام اللغة والجدل . [١] وبين عباس حسن أن هذه المشكلات

---

[٢] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٧٨، بتصرف .

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٤٣، بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النحوية ليست وليدة العصر ولا وليدة النحاة المعاصرين وإنما هي قديمة قدم النحو ومنذ نشأته الأولى وأيام تدوينه في أول مراحله . وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذه القضايا النحوية لم تكن مدار اهتمام وبحث إلا على أيدي النحاة ولم تكن على أيدي العرب الأصلاء ومن معهم من الناطقين الأوائل الذين لم يرتبوا هذه القضايا الجدلية ، ولم يفكروا قبل أن ينطقوا بالكلمة ولم يعدوا الأقيسة الشاقة الزائفة . [٢]

الآراء والأحكام التي أيد فيها عباس حسن النحاة .

أولا : في مسألة تعريف الكلام العربي ، أو ما أسماه (الجملة)، منبها إلى تلازم أمرين فيه ؛ هما طبيعة التركيب اللغوي والإفادة المستقلة ، ومثل لذلك بأمثلة تتكون من كلمات كانت إما أسماء أو أفعالا أو حروفا .[١]

ثانيا: في آرائهم التي اعتبروا فيها اسم الجنس الجمعي في اللغة العربية ، الاسم الذي يدل على اثنين فأكثر ويكون اسم ذات أو اسم معنى ، ولا يجمع جمعا سالما وإنما يجمع كما ورد عن العرب جمعا مكسرا . وأشار إلى آراء النحاة المتضاربة وإلى المجادلات العنيفة في موضوع الاسم وأنواعه

---

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص١٦٢، بتصرف .

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحالاته ، وبخاصة حالة جمعه جمع تكسير ، بحيث لا يترتب على الأخذ به مخالفة أصل من أصول اللغة ، أو خروج على قاعدة من قواعدها وأحكامها السليمة . [٢]

ثالثا : في آرائهم في علامات الإعراب التي لا تعد علامات لاسمية الاسم ، مبينا أن علامة الاسم قد تصلح لبعض الاسماء ولا تصلح لبعضها الآخر ، كالجر ، الذي يصلح علامة ظاهرة لكثير من الاسماء ولا يصلح لضمائر الرفع ، ولبعض الظروف مثل ، قط ، عوض التنوين ، كما يصلح لكثير من الأسماء المعربة المنصرفة ، ولا يصلح لكثير من الاسماء المبنية . [٣]

وأورد أمثلة توضح طبيعة كل علامة من علامات الاسم ، نذكر منها علامة النداء في الاسم ، إذ كل كلمة نناديها تكون اسما ، ونداؤها علامة اسميتها ، وقد علل ذلك تعليلا معقولا ، ورأى أن الأوضح والأنسب أن يقال : (أن تكون الكلمة مفعولا به) لأن المنادى عند النحاة (مفعول به) ، فقولك : (يا محمد) هو بمثابة قولك : (أدعو محمدا) ، فهو مفعول به حقيقة أو تقديرا ، والمفعول به لا يكون إلا اسما .

رابعا : في اعتبار حرف النداء من حروف المعاني التي ينوب كل منها عن جملة محذوفة يذكر بدلا منها ، مثله مثل حرف الاستفهام وحرف العطف ، وما لذلك من ارتباط وثيق في مسألة النداء والصيغ التي تشكل أسلوبه في الكلام العربي ، إذ يقول : " يعتبر النحاة حرف النداء مع المنادى

---

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص٢٣ .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٨ ، بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جملة فعلية إنشائيـــة للطلب . وبرغم أنها قبل النداء خبرية فهي تتحول معه إلى إنشاء طلـــبي جملـــة فعلية . [١]

خامسا : في آرائهم وأحكامهم في الموصول وصلته ، إذ يؤيد حينا ويدعو إلى إهمال وترك مـــا فيـــه تكلف وخروج في القواعد عن الاستساغة والتبسيط حينا آخر، ومن ذلك قوله : " لا يجوز تقـــديم الصلة ولا شيء من مكملاتها على الموصول ، وهذا صحيح ، إلا أن يكون المكمل ظرفا أو جارا مع مجروره فيجوز التقديم عند أمن اللبس " [٢]

سادسا : في مسألة الأسماء الستة وإضافتها إلى الياء ، ورأى ما رآه النحاة أن " الأحـــسن في هـــذه الحالة أن تقول : إنها الكسرة الظاهرة قبل الياء ، لأن الأخذ بهذا الرأي أيسر وأوضح . ولا داعـــي للتمسك بالرأي الفلسفي المعقد الذي يقول : إن الكسرة الظاهرة هي لمناسبة يـــاء المـــتكلم ، وإن كسرة الإعراب مقدرة بسبب الكسرة الظاهرة التي حلت محلها فأخفتها ... " [١]

سابعا : في شروط ما يراد تثنيته من الاسماء ، فأكد أنه لا يثنى إلا الاسم المفـــرد ، وأحيانـــا جمـــع التكسير واسم الجمع ، كي لا يجتمع إعرابان بعلاماتهما على كلمة واحدة . وفي هذا توافق مـــــع آراء جمهرة النحاة ، إذ لم يجد من الأمثلة ما خرج عن هذه الأصول النحوية في التثنية عند النحاة .

ثامنا : تأييد النحاة البصريين في شرطي منع (أفعل وفعلان) ، وما كان صفة على وزن (أفعل) على عكس الكوفيين الذين لا يتمسكون فيهما .

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٤ ، مرجع سابق ، ص١٠ ، بتصرف .
[٢] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .
[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تاسعا : تأييد النحاة في أن ما لا يصح جمعه جمع مذكر سالما لا يصح في الغالب في مؤنثه أن يجمع جمع مؤنث سالما ، إلا عند الكوفيين إذ ابقيا على الوصفية . ويعلق على ذلك برأي يرجح فيه رأي الكوفيين وما احتجوا به لإثبات رأيهم ، ..... وإن كان الرأي البصري أقوى .

عاشرا : في مسألة كان دون أخواتها ، ففريق من النحاة يرى أنها لا تدل على معنى وفريق آخر يرى أنها تدل على المعنى والزمن ولذلك يؤيد الفريق الثاني وقال : " هو السديد لأدلة كثيرة جاوزت العشرة ساقها أنصاره " [٢]

الحادي عشر : في مسألة تسمية الأعداد المعرفة بأل إذا كانت مضافة فالأحسن تسميته (مفردا) ، وهي أفضل من تسميته (مضافا) ، والأفضل أن يسمى المفرد (عقدا) مثل : (٢٠ – ٣٠ – ٤٠ – ٥٠ – ٦٠ ...) ." [١]

الثاني عشر : في تطابق المبتدأ الوصف مع مرفوعه وعدم تطابقه فيرى أن " الأحسن – في رأي جمهرة النحاة – أن يعرب الوصف خبرا مقدما مع إعراب الاسم المرفوع مبتدأ مؤخرا . " [٢]

الثالث عشر : في وجوب رفع اسم (ما) العاملة عمل ليس ، وذلك إذا كان خبر (ما) مجرورا بالباء الزائدة .

---

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٤٦ .

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق، ص٣٩٩ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٤١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرابع عشر : في صيغ المغالبة في الكلام ، وذهب فيها مذهب بعض النحاة من حيث اتفاقهم على أنها ليست قياسا ، " وإنما مسموعة كثيرا ، وذهب بعض إلى أن استعمالها مطرد في كل ثلاثي متصرف تام خال مما يلزم الكسر . وإنه يكفي أنه مسموع كثير نقيس عليه . " [٣]واستحسن الاقتصار على هذا الحكم الذي عده حكما موفقا . والمغالبة هي ما يذكر بعد المفاعلة مسندا إلى الغالب ، مثال : كارمني فكرمته .[٤]

الخامس عشر : في مسألة تعدية الفعل اللازم بالجر لتمام معنى الجملة وإزالة اللبس والغموض ، وحكم المفعول به في حال كونه معنى منصوبا ولفظا مجرورا ، وفيما إذا يجوز " في توابع هذا المفعول الحكمي (أي : المعنوي) النصب مراعاة لحكمه ، كما يجوز الجر مراعاة للفظه ...) . مثال على ذلك :(إذا أسرف الأحمق في ماله انتهى أمره إلى الفقر،وقعد في بيته ملوما محسورا). [١]

وبعد البحث وجد في شرح المفصل أنه : " (... يجوز فيما عطف عليه وجهان ، الجر والنصب ؛ نحو قولك : مررت بزيد وعمرو – وعمروا – فالجر على اللفظ ، والنصب على الموضع " [٢]، والرأي صريح في جواز الأمرين ، " ولعل الخير اليوم في إهمال هذا الرأي ، والاقتصار على الرأي الآخر السديد الذي يوجب الجر وحده في التوابع ، وترك النصب لما قد

---

[٣] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ – ١٥٣

[٤] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، ص ١٥١ .

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ١٣١ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٣١، نقلا عن شرح المفصل لابن يعيش ، ج٧ ، ص ٦٥ . .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكون مسموعا من الكلام القديم دون محاكاته ؛ حرصا على الضبط في أداء المعاني بدقة وإحكـــام ، ومنعا للخلط الذي يؤدي إليه إباحة النصب ."[٣]

السادس عشر : في قصر حرف الجر على معنى حقيقي واحد ، ورأى أن هذا الرأي نفيس ، ومـــن الأنسب الاكتفاء به ، لأنه عملي سهل ، بغير إساءة لغوية . [٤]

السابع عشر : تأييد النحاة البصريين في جواز دخول (أل) على المضاف في الإضـــافة المحـــضة ، بشرط " أن يكون اسم عدد ، وأن يكون المضاف إليه هو المعدود وفي أوله (أل) أيضا فلا بد من وجودها فيهما معا ، مع أنه مقتنع برأي النحاة الكوفيين وحجتهم ، غير أن المذهب البصري أكثـــر شهرة وأوسع انتشاراً .[١]

الثامن عشر : في إعراب (إذ) الزمانية (مفعولا به) إذا كان المراد وقوع أثر العامـــل عليهـــا، لا فيها . وقد يكون (بدلا) أو غيره إذا اقتضى المعنى خروجها عن الظرفية لشيء آخر.

التاسع العاشر : في جواز أن يصاغ من مصدر الأفعال مباشرة من غير وسيط (صيغتا التعجـــب) القياسي ، وأن يصاغ من مصدرها مباشرة : (أفعل التفضيل) . ودعم رأيه بـــرأي مجمـــع اللغـــة العربية بالقاهرة ، [٢] الذي أقر فيه المجمع بإجازة صياغة أساليب التعجب منها مباشرة وعلى أيـــة بنائية كانت أمن اللبس .

---

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ١٣١.

[٤] المرجع السابق نفسه ، ص ٤٦١ ، بتصرف .

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٣ ، مرجع سابق ، ص ١٤– ١٥ ، بتصرف .

[٢] مجمع اللغة العربية ، كتاب (في أصول اللغة) سنة ١٩٦٩ ، ص ١٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العشـــرون : تأييد بعـــض النحـــاة فـــي الاســـم الموصـــول (الـــذي)فـــي حالـــة الجـــمع (الذيـــن) ، إذ لا يؤيـــد عبـــاس حســـن مـــن أعربها بالحرف إعراب جمع المذكر الـــسالم ، " فيرفعها بالواو والنون (اللذون) . وينصبها ويجرها بالياء والنون (الذين) .... " [٣]

الواحد والعشرون : اتفق مع النحاة البصريين الذين لم يجيزوا جمع العلم المختوم بتاء التأنيث الزائدة جمع مؤنث سالما وخالف الكوفيين في ذلك .

الآراء والأحكام التي خالف فيها عباس حسن النحاة

أولا : خالف النحاة في الترتيب الأبجدي لحرف الألف الذي اعتبره النحـــاة الحـــرف الأول مـــن حروف الكلام العربي ، ورجح مجيء الألف بعد حرف اللام مباشرة ، معللا ذلك بأنها ألـــف غـــير مهموزة ، وساكنة ولا تنطق منفردة إذ تندمج بسبب سكونها في اللام فتـــصيران (لا) مـــع أنهـــا حرفان لا حرف واحد .

ثانيا : في إعمـــال معانـــي الحـــروف ، إذ لا يجـــوز إعمـــال معانيهـــا في المعمول ، ولكنه أجاز في (النحو الوافي) إعمال معاني الحروف على إعمال الحروف نفسها ؛ في حين أن النحـــاة يـــرون عدم إعمال معانيها كأبي البركات ابن الأنباري ، والسيوطي الذي نقل عن أبي الحسن الآبذي مـــا يفيد التوافق في هذا الأمر بين ابن الأنباري والآبذي ، ولولا اقتناع السيوطي برأييهمـــا لوجـــدناه

---

[٣] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص٣١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يثبت الرأيين ويخالفهما وينقضهما بوضوحه وبساطته ولكنه لم يفعل ذلك مما يدل على أن الصواب يخالفهما ، ولذلك نرى أن عباس حسن قد خالف أصلا من أصول النحو عند النحاة ، إذ إن (الصواب أن الحروف لا تعمل بما فيها من معنى عمل الفعل ، إذ لو كانت كذلك ؛ لعملت الهمزة التي للاستفهام لأنها بمعنى أستفهم ؛ وما النافية لأنها بمعنى أنفي ، ولا بالنيابة مناب الفعل) [١] ولعل هذا الاضطراب وهذا الخلط الذي وقع فيه عباس حسن يكون راجعا إلى عدم الرجوع إلى سيبويه في كتابه (الكتاب) ولم يستق المادة والقاعدة منه أو ممن جاء بعده من قرب ، وإنما استقاها من المتأخرين من النحاة ، فوقع الخلط بين معنى الحرف الأصيل وتفسير ذلك المعنى ، مما جعله يعمل معنى الحرف زيادة على إعمال الحرف نفسه .

ثالثا: في ما يخص تأخير خبر المبتدأ الواجب التأخير والدال على الدعاء ، فرأى أن يستعمل في الأكثر ، ودون وجوب في التأخير، ويدعم رأيه بما وجده في النصوص القديمة ، فقال : " ولكني رأيت عدة نصوص قديمة يحتج بها تقدم فيها الخبر الجار مع مجروره على المبتدأ الذي للدعاء " [١]

رابعا: في الجدل الذي أثاره النحاة حول إعراب الخبر الذي تأتي بعده حال تسد مسده ، نحو : (قراءتي النشيد مكتوبا)، فرأى أن هذا الجدل لا فائدة منه ، وأن إعراب الحال مستقلة بنفسها وليست قائمة مقام الخبر...) ولا داعي لإخضاع كلام عربي بليغ لضوابط لا تنطبق عليه ؛

---

[١] السيوطي ، جلال الدين ، الأشباه والنظائر ، دائرة المعارف العامة ، ١٣٦٠ هـ .

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ٤١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولسيطرة (العامل) فيما لا نفع فيه ، على حين يجب أن تخضع الضوابط والعوامل لفصيح الكلام العربي المسموع عنهم في هذا الأسلوب . [٢]

خامسا : في علة كسر همزة إن ، إذ يرى أن كسر همزة (إن)يكون لعلة التعليق بلام الابتداء التي زحلقت عن مكانها سماعا عن العرب ، وليس لصدارة إن كما قال النحاة .[٣]

سادسا: في قولهم إن المفعول لأجله لا يكون منصوبا بالعامل الذي قبله ، وإنما يكون منصوبا على نزع الخافض ، لما فيه من تكلف وتعقيد بغير فائدة ولذلك لا داعي للأخذ برأيهم ورأى ضرورة التخفف من استعماله مجرورا باللام مع أنه قياسي وقليل التداول . [١]

سابعا : مخالفة النحاة في مسألة المفعول معه المنصوب بأداة الاستفهام ، ورأى أنهم تأولوا الكثير من الأمثلة . وقدروا لها أفعالا مشتقة من الكون وغيره مثل : ما تكون والبحر ؟ كيف تكون والبرد؟. ورأى عباس حسن أن تأولات النحاة لا داعي لها ، وأن لا مبرر للتقدير الذي قدره بعض النحاة ، وذلك لأن بعض العرب كان " ينصب المفعول معه بعد الأداتين السالفتين ، ولن نقيس عليهما أدوات استفهام أخرى ؛ إذ التقدير في مثل هذه الحالات معناه إخضاع لغة ولهجة ، للغة ولهجة أخرى ، من غير علم أصحابها . وليس هذا من حقنا . " [٢]

---

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٤٧٠ ، بتصرف .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ٥٨١ ، بتصرف .

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص٢٠٧ ، بتصرف .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثامنا: مخالفة النحاة في عامل النصب (إلا) للمستثنى الذي تعددت الآراء فيه ، ولعل أقوى الآراء أن المستثنى منصوب بالفعل قبلها أو بغير الفعل مما يعمل عمله إلا إذا كان الاستثناء منقطعا فعامل النصب للمستثنى هو (إلا) . ويرى عباس حسن إغفال الخلاف في الآراء ، ولا داعي للتعرض لأقوى الآراء أو أضعفها إلا إذا عرض أمر يختص بالعامل ، وعندئذ يرجح الفعل أو ما يعمل عمله . ويأخذ عباس حسن على النحاة تكلفهم عناء التأويل والتقدير ليجعلوا الكلام تاما غير موجب ، علما أنه وردت أمثلة مسموعة وقع فيها المستثنى غير منصوب والكلام تام موجب ، مسايرة منهم للقاعدة عندهم ، ومحاولة للوصول إلى جواز البدل ، ويقرر بعد ذلك أن كلامهم مردود لسببين : أولهما : أن كل كلام مثبت لا بد له من نقيض غير مثبت ، وثانيهما : أن ما وقع فيه المستثنى غير منصوب في الكلام التام الموجب ، إنما ورد صحيحا مطابقا للغة بعض القبائل العربية ، التي تجعل الكلام التام الموجب والتام غير الموجب متماثلين في الحكم .... فلا معنى للتأويل بقصد إخضاع لغة قبيلة للغة نظيرتها .[١]

الآراء والأحكام التي اجتهد فيها عباس حسن

أولا : تحليل آراء النحاة وأحكامهم في بعض النقاط المتعلقة بالنداء التعجبي ومحاولة معالجتها وتنقيتها من الاضطراب والخلل وتقريب الصورة الصحيحة التي يجب أن تكون عليها القاعدة النحوية ولكن جهوده لم تسعفه في الخروج برأي سليم يجنبه الوقوع فيما يحذر منه لتشبثه بنظرية

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ٢٨٢ – ٢٨٥ ، بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النحاة في هذا الأمر وتمسكه بها ، فظل الخلل والاضطراب ولم يتمكن كغيره من تطبيق القاعدة النحوية بصورة صحيحة ، وكان كلما اقترب من الحقيقة ارتد عنها وابتعد ، وكلما أصاب ما يلبث أن يخطئ الهدف ، ومن الأمثلة على ذلك إعرابه المستغاث به مجرورا بالحرف في محل نصب ، على الرغم من أنه معرب ، مع العلم بأن أسلوب الاستغاثة يعد من أساليب النداء عند النحاة .[٢]

ثانيا : إغناء الفاعل عن الخبر حين يكون المبتدأ وصفا مستوفيا لشروطه ، " والحق أن هذه المسألة التي عرض لها بعض النحاة لا تفهم بضابطهم ، ولا يزول ما فيها من اشتباه إلا بفهم مفرداتها اللغوية وقيام قرينة تدل على الفاعل والمفعول به وتفرق بينهما ، أما ذلك الضابط وما يحتويه من فروض فلا يزيل شبهة ولا يكشفها لأنه قائم على أساس وضع اسم ظاهر مكان الناقص بشرط أن يكون من جنسه . "[١] ولذلك رأى عباس حسن إهمال هذه المسألة ، والسداد يكون بالرجوع إلى فهم المعاني الصحيحة ، والابتعاد عن استعمال تلك الأساليب الغامضة .

ثالثا : في مسألة الاستعمال اللغوي لكلمات ومفردات فعلية أو اسمية تتصل ببعض الحروف أو الأدوات ، وتتأثر بسبب ذلك الاتصال فيتغير معناها ويظهر ذلك التغير في السياق اللغوي الكامل الناتج عن تركيب المفردات وإظهارها في جملة ذات معنى ودلالة ، ومن هذه الاستعمالات نذكر استعمالات المتكلمين التي تطرق إليها النحاة نحو استعمال (قل و ما) ، وقد استحسن عباس حسن ترك مثل هذه المسائل تجنبا للبس في اللفظ والمعنى . ويرى أمرا أفضل

---

[٢] علوش ، جميل ، التعجب صيغه وأبنيته ؛ دراسة لغوية مقارنة ، ص ٣٢١ ، بتصرف .

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ٨٤- ٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في هذه المسألة ، وهو أن " يكون لكل فعل أصلي فاعل؛ فلا داعي لإخراج هذه الأفعال من نطاق ذلك الأصل . "[٢]

رابعا : في المركب الوصفي ، يرى عباس حسن أن تثنيته تكون بتثنية الصدر والعجز ، وأن إعرابهما يكون بالحروف ، ولكنه يرى أيضا أن هذا رأي شائع ، وربما يوقع في لبس كبير ، " ولهذا كان من المستحسن اليوم تثنيته بالطريقة المباشرة ، وهي زيادة (ذوا ، ذوي) قبله ، وذاتا ، أو ذواتا ... " [١] وأحب عباس حسن الاتفاق على رأيه الخاص هذا لعله يكتسب قوة وحصانة . [٢]

خامسا : في مسألة الاسم المعرب الذي آخره الحقيقي واو ساكنة لازمة وقبلها ضمة . وبين أن هذا نوع من الأسماء " لا تعرفه اللغة العربية الأصيلة ؛ ولم يسمع عن العرب ، إلا في بضع كلمات نقلوها عن غيرهم من الأجانب ، منها : (سمندو) ، (قمندو) ، ...." [٣]

وبين أن هذا النوع غير عربي في أصله ، ونادر في استعمال العرب ، فأهمله النحاة ، ولم يضعوا له اسما ، ولا حكما ، على حد علمه ، ورأى أن يعرب بحركات مقدرة على آخره في جميع حالاته .

---

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٦٦ – ٦٧ .

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٤ ، بتصرف .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ١٨١ – ١٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سادسا : في مسألة التركيب اللغوي المكون من عسى والضمير المتصل بها ، ودور نون الوقاية في هذه العملية الاتصالية ، وموضوع الإعراب المرتبط بكان وأخواتها وعملها عند دخولها على الجملة الاسمية على اعتبار أن عسى من أخواتها ، أو الإعراب المرتبط بإن وأخواتها وعملها عند دخولها على الجملة الاسمية على اعتبار معنى عسى المقابل لمعنى لعل ودلالتها ، إذ إن " خير ما يقال في إعرابها : إن (عسى) حرف رجاء ؛ بمعنى : (لعل) تنصب الاسم وترفع الخبر ، وليست فعلا من أخوات كان . وهذا أيسر وأوضح من باقي الآراء الأخرى الملتوية ." [١]

سابعا : ميز عباس حسن بين رأي النحاة في إعراب الملحق بالمثنى ورأي اللغويين في إعرابه ، وبين أن النحاة يشترطون في الملحق بالمثنى أن يكون مسموعا ، لأنه ليس بالمثنى الحقيقي لفقده أحد شروط التثنية ، كما بين أن اللغويين لا يفرقون بين المثنى والملحق به ، ويعربونهما إعرابا واحدا لا فرق ، ويرى عباس حسن في هذا الأمر أن الملحق بالمثنى يقاس في التغليب ، وأن " المسألة مجرد اصطلاح ، ولا مانع من استعمال هذه التسمية أو تلك ، بشرط مراعاة الأحكام الخاصة بكل عند الاستعمال . "[٢]

ثامنا : تناول عباس حسن (ليس) كمسألة نحوية فيها أوجه إعرابية متقيدة بموقع ليس من الجملة ، فتبين له أن موقعها لا يؤثر عليها لفظا ، وإنما يقع التأثير عليها في معناها ، والأصل أن تكون للنفي ، ولكنها في بعض المواضع التي تشتمل على قرينة لفظية أو معنوية دالة على زمن

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص٢٢٥ .
[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مضـــى ، لا تكون مقيدة بذلك الزمن " فإن وجدت قرينة تدل على أنه واقع في أحـــدهما وجـــب الأخذ بها ؛ نحو : ليس الغريب مسافرا أمس ، أو : ليس سافر الغريب ... " [٣]

كمـــا تبين له أن هذا الأسلوب صحيح ، ولكنه غير شائع في الكلام القديم ؛ فلا داعـــي لمحاكاته . والفعل والفاعل في محل نصب خبر (ليس) . واسمها ضمير الشأن ، مستتر فيها ؛ طبقـــا لرأي بعض النحاة ، ومنهم ابن مالك .ورأى أن الأحسن أن تكون (ليس) حرف نفي مهمـــل ، وليس له اسم ولا خبر ، وهذا الإعراب أيسر وأنسب .

وهناك حالة واحدة وقع فيها الخلاف بين النحاة ، وهي الحالة التي يتقدم فيها الخبر عليها ، ففريق منع ، وفريق أجاز . ويرى عباس حسن أن الاقتصار على المنع أولى .

أما (لات) العاملة عمل ليس ، فإنه يصف ما قاله النحاة في أصلها بأنه ملخص مـــن آراء متعددة لا يستريـــح العقـــل لواحـــد منهـــا ، " لأن العـــرب الأوائـــل نطقـــوا بكلتـــا الكلمتين (لا ، ولات) مستقلة ، لم يذكروا أن إحداهما أصل للأخرى ، ولم يكن لهم علم بـــشيء مما اصطلح عليه النحاة بعدهم ، وبنوا عليه أحكامهم ، فمن الخير ترك الآراء المتشعبة ، والاقتصار على اعتبار (لات) كلمة واحدة مبنية على الفتح ، معناها : النفي ، وعملها هو عمـــل (كـــان) وليس في هذا ما يسيء إلى اللغة في تركيب كلماتها ، ولا ضبط حروفها ، ولا أداء معانيهـــا علـــى

---

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ٤٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوجه الصحيح المأثور الذي يجب الحرص عليه . ولا سيما إذا كان في إتباعه تيسير ومسايرة للعقل والواقع. وقد آن الوقت للتحرر من تلك الآراء الجدلية التي لا حاجة إليها اليوم . "[١]

تاسعا : في مسألة التضمين إذ اعتنى عباس حسن بالتضمين ، وربط بين التضمين في اللغة والبلاغة من جهة ، وبين التضمين في النحـــو واللغة والبلاغة من جهة أخرى . وناقش هذه المسألة في جانب مهم من جوانبها ، وهو جانب القـــياس والسماع فيها . ووقـــف علـــى آراء النحـــاة في هـــذه المسألة ، مثل : رأي الشهاب الخفاجي في قياسية التضمين " والحق أنه لا ينقـــاس "[١]، ورأي ابـــن هشام في المغني " أن التضمين لا ينقاس " [٢] ووصل إلى أن (التضمين لا ينقـــاس) . وأن الـــذين يقصرونه على السماع لم يستطيعوا إثبات أنه ليس بحقيقة وليس بمجاز ، ولا بشيء مركب منهما .

وذكر أن (التضمين) نوع جديد لم يستطع النحاة قصره على القيـــاس بتاتـــا ولا علـــى السماع قطعا ، " لأن العرب الفصحاء نطقوا بالفعل – أو ما يشبهه – متعديا بنفسه مباشرة أو غير متعد إلا بمعونة حرف جر معين . "[٣]

وتساءل ليبين أن التضمين أمر لا تطمئن له نفس المتحري المتحرر ، ولا سيمـــا إذا كـــان الفعـــل أو شبهـــه لا يكاد يؤدي معناه مع (التعدية) دون أن يكون هناك فعل آخر أو شـــبهه – له معنى يؤديه مع اللزوم وبين هذين المعنيين ما يسمونه (المناسبة أو الإشراب) والعكس صحيح ،

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ٥٤٠ .

[١] الخفاجي ، شهاب الدين ، ١٢٨٤ هـــ ، المطبعة الوهبية المصرية ، القاهرة ، مصر ، ص٢١ .

[٢] الأنصاري ، ابن هشام ، ت محمد محيي الدين ، مغني اللبيب ، ج٢ ، ١٩٩١م ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ص ٤٨٠ .

[٣] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ٥٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنتيجة الحتمية لكل ذلك أنه لا يوجد فعل أو شبهه مقصور على (التعدية) ولا آخر مقصور على (اللزوم) وهذه غاية الفوضى والإساءة اللغوية التي تحمل في ثناياها فساد المعاني . [٤]

ويرى عباس حسن – رغم المعارك الجدلية في هذا الموضوع – أن التضمين لا يخرج عن إحدى حالتين ، وما عداهما يكون من قبيل الفساد اللغوي والاضطراب الهدام . وهاتان الحالتان هما :" الأولى : أن الألفاظ التي وصفت بالتضمين إن كانت قديمة في استعمالها منذ عصور الاستشهاد والاحتجاج اللغوي فإن استعمالها دليل على أصالة معناها الحقيقي ، ما دمنا لم نعرف – يقينا – لها معنى سابقا تركته إلى المعنى الجديد . (و) الثانية : أن العصور المتأخرة عن عصور الاستشهاد والاحتجاج غير محتاجة إلى (التضمين) لاستغنائها عنه بالمجاز والكناية وغيرهما من أنواع البيان المختلفة التي تتسع لكثير من الأغراض والمعاني الدقيقة والبليغة ." [١]

هذه هي المسائل النحوية المهمة التي رأينا أنها تستحق أن تكون موضع درس وبحث بمثل ما أن تكون شواهد يستشهد بها على بيان آراء عباس حسن النحوية في المسائل النحوية التي تنتمي إلى موضوعات النحو العربي الكاملة ، تلك الموضوعات التي نشأت مع نشأة النحو كعلم من علوم العربية ، له أصوله ومجالاته وموضوعاته وقواعده وأحكامه ، إذ كان عباس حسن من رواد الحاضر في دراسة هذا العلم ، نظرا لتزايد الحاجة إلى تعلمه بصورة ميسرة تفصل ما جاء في كتب النحويين

---

[٤] المرجع السابق نفسه ، ٥٠٥ – ٥٠٦ ، بتصرف .

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ٥٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على مختلف العصور ، برغم من تعدد الآراء النحوية وتنوعها وما جرى من خلاف فيها بين النحاة ، وبرغم من الأحكام النحوية التي اشتملت على قواعد النحو العربي .

لقد جمع عباس حسن المعلم النحو العربي وفصل أبوابه وفصوله وموضوعاته ، ووقف على مسائل كل موضوع منها ، وجعل ذخيرته في كتاب (النحو الوافي) مؤلفا من أربعة أجزاء . وكغيره من النحاة المحدثين ، وجدناه يعالج الكثير من المسائل بتفصيل يشتمل على الشواهد والأدلة التي تعامل معها بفكر نحوي عميق وبوجدان يعتز باللغة العربية وبعلومها المختلفة ، وأولها علم النحو العربي ، واتخذ من آراء أئمة النحو القدامى فلسفته النحوية وطرائق الطرح والتحليل والمناقشة ، الشيء الذي جعله يقع في اضطراب وضعف يبرز بوضوح أحيانا ، ويخفى بسهولة أحيانا أخرى ، وذلك لاعتماده على الآراء المتضاربة والأحكام المتعددة ، ومع ذلك استطاع أن يقف من المسائل النحوية المهمة موقفه من المسائل النحوية البسيطة ، فبذل الجهد تلو الجهد ليوفق بين هذين النوعين من المسائل ، وخرج بحصيلة كبيرة تستحق الوقوف عندها والثناء والتقدير ، وتميز بحصاد نحوي لغوي له من الإضاءات في دروب التعلم في مجال اللغة ونحوها الشيء الكثير . وما من معلم إلا ووضع (النحو الوافي) و (اللغة والنحو بين القديم والحديث) بين يديه لينهل منهما الكثير قبل أن يقف أمام طلبته وقبل أن يعلمهم اللغة والنحو بالأسلوب الميسر المفيد .

لقد توخينا في هذا الفصل أن نقف عند بعض المسائل التي فيها سعة وشمول ودقة وتفصيل ، وذلك للكشف عن أنماط الآراء النحوية عند عباس حسن وعن أنواع الأحكام والقواعد التي أثارت الجدل والخلاف بين النحاة سواء في القديم أو الحديث ، وتركنا جانبا بعض المسائل وبعض الجزئيات التي ليس فيها إلا الشرح والتحليل ، فلم نتطرق إليها لعدم حاجتنا إلى ذلك ، إذ إن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاجتنا البحثية كانت تتركز على البحث عن الآراء والأحكام دون الشروحات والتحليلات ، مما ساعدنا على حصر تلك الآراء والأحكام وبيانها وتحليلها ومناقشتها ، ونقدها عندما كنا نجد مناسبة للنقد ، أو الاكتفاء بالإشارة إليها وذكرها مشفوعة بإشارة أو تعليق لا يتجاوز بعض التحليل والبحث لغايات تحقيق أهداف هذه الدراسة . فوقفنا على ما استحسنه من الآراء والأحكام والأصول والقواعد ، وعلى ما رجحه منها ، وعلى ما رآه صالحا مناسبا للاستعمال والتوظيف في الحاضر ، وعلى ما وجده متطابقا مع المسموع أو المقيس من اللغة والأساليب الكلامية التي وردت عن العرب ، وعلى ما فيه من النادر أو الشاذ الذي رجح أن لا يقاس عليه وألا يستعمل من قبيل تفضيل إهماله وتجنب التحدث أو الكتابة به كي لا يكون في الكلام أو النص تعقيد أو لبس أو غموض .

إن الآراء والأحكام النحوية التي كشفنا عنها في مؤلفات عباس حسن اللغوية والنحوية لا تتجاوز فكره النحوي ، ولا فيها من التأويل شيء ، إلا أنها انبثقت من التحليل والمناقشة التي أدار فيها العقل والمنطق للوصول إلى أخراجها بأسلوب واضح سلس مفهوم ، يحاول فيه التوفيق بين آراء النحاة أو تفصيل ما اختلفوا فيه وإبداء وجهة نظره كما يراها مناسبة لمقام القول لغة ولقواعد النحو وأحكامه التي وضعها النحاة ، بمعنى أنه كان يقترب من السطح في فلسفة النحو ولم يلج أعماقها ليكشف عن جديد لم يأت به الأوائل أو لم يكشف عنه من بين كنوز اللغة العربية وذخائرها التي لم يتوصل إليها أحد بعد وما أغناها وما أكثرها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

آراؤه في القياس والسماع

اتّجه عباس حسن عند دراسة النحو العربي كعلم من علوم اللغة العربية إلى دراسة باب القياس في اللغة ، وربط ذلك بصورة واسعة بعلم النحو ، وعلم الصرف ، وبنشأة اللغة وتطورها ، وليس ذلك بغريب إذ ثبت فيما بعد أنه " كان نحويا ، ونحويا إماما مستظهرا للقواعد النحوية استظهارا تاما وربما طغى نحوه على ثقافته كلها . " [١] كما ثبت أنه" كان غيورا على اللغة ، حارسا على النحو ، شديد الاستمساك بحجته ، يخاصم في الرأي ، ويصادق في الزمالة ." [٢]وانطلاقا من حبه للغة العربية ونحوها ، نجده كان يستكره ويستنكر كل ما يعتور النحو من العلل المستثقلات والتقديرات ، فشن حملاته المتوالية على كل الشوائب والمعايب والأدران التي وقعت في النحو ليخلص النحو قدر استطاعته منها ، وليكون النحو خاليا منها ميسرا وسهل التعلم والتعليم والتطبيق .

ولما نما التفكير النحوي عند عباس حسن في مرحلة من مراحل عمره العلمي والأكاديمي ، وجد أن الباب الأوسع في النحو هو باب القياس والسماع ، فعكف على دراسته

---

[١] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٤٥ ، ص ١٧٧

[٢] علام ، محمد مهدي ، مجلة المجمعيون في خمسين عاما ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٦م ، ١٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتعمق في مجالاته وقضاياه ومسائله ، انطلاقا من تعريفه عند القدامى وانتهاء بما انتهى إليه المعاصرون من التحليل والمناقشة وإبداء الآراء والأحكام ، فأخذ القياس عند البصريين والكوفيين ، وعارض وأيد ، حتى انجلت المسائل واتضحت معالمها في ذهنه وعقله ، ليصدر في أحكامه وآرائه بكل أمانة وتجرد وموضوعية .

أهمية القياس وعلاقته بنشأة اللغة

أشار عباس حسن إلى أن جمع اللغة كان وقفا على السماع من أفواه العرب المنتشرين في البوادي العربية ، فقد احتمل اللغويون المتاعب والعناء في سبيل التقاط الكلمات العربية من الأفواه ، إذ ثبت لهم سلامة سليقة العربي الحضري ، وأن لسانه ما يزال عربيا خالصا ، وأكد أن القرآن الكريم كان في مقدمة ما رجعوا إليه واعتمدوا عليه في جمع اللغة العربية وتدوينها .[١]

واستدل عباس حسن بما أورده السيوطي في مزهره [٢] نقلا عن ابن فارس في كتابه (فقه اللغة) في باب القول في مأخذ اللغة ، ليثبت أن تعلم اللغة واكتسابها يأتي من السمع والسماع والتعلم والتعليم ، وهي " تؤخذ اللغة اعتيادا كالصبي العربي يسمع أبويه أو غيرهما ؛ فهو يأخذ اللغة عنهم على ممر الأوقات ، وتؤخذ تلقنا من ملقن ، وتؤخذ سماعا من الرواة الثقات ذوي

---

[١] حسن، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٠ ، بتصرف .

[٢] السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين ، المزهر ، ج١ ، مرع سابق ، ص ٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصدق والأمانة ، ويتّقى المظنون ." [٣]ويقتضي القياس المشار إليه سابقا تحقق أمرين ، يرى عباس حسن ضرورة تحققهما ، وهذان الأمران هما :

أ) معرفة العرب الذين نحاكيهم دون غيرهم ونستشهد بكلامهم أي : بيان العربي الذي نقتدي به في اللغة دون سواه .

ب) معرفة اللغة التي يقاس عليها ، ومبلغ صلاحها لذلك ، أتتساوى لغات العرب ولهجاتهم جميعا أمام القياس ولا يقع بينها تفاوت – على الرغم من تعدد قبائلهم ولهجاتهم – أم تختلف ؟ وإذا تفاوتت فبأي اللغات نأخذ وعلى أيها نقيس أو ما سبب الإيثار ؟ " [١]

لقد أراد عباس حسن أن يؤكد أيضا أن القياس يعتمد على اللغة العربية التي احتجوا بها في فترة عصور الاحتجاج ، وهذا ما اتفق عليه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ولم يعارضه عباس حسن ، وإنما أيده وذهب في ذلك إلى ما ذهبوا إليه من حيث " إن العرب الذين يوثق بعربيتهم ، ويستشهد بكلامهم – هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع ."[٢]

أكد أبو البركات الأنباري أهمية القياس وقيمته في اللغة والنحو وبفضله عليهما وعلى العربي أينما وجد ، ولذلك وجدناه يقول : " أعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق ، لأن النحو كله قياس ، ولهذا قيل في حده : (النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ، فمن

---

[٣] ابن فارس ، أبي الحسن أحمد ، الصاحبي في فقه اللغة ، ط١ ، ١٩٩٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ٣٤ .

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

[٢] مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٢ ، ص ٢٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنكر القياس فقد أنكر النحو ، ولا نعلم أحدا من العلماء أنكره لثبوته بالدلائل القاطعة ، والبراهين الساطعة ، وذلك أن أئمة الأمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنه شرط في رتبة الاجتهاد ... " [٣]

تحديد مفهوم القياس والسماع

حاول عباس حسن تحديد مفهوم القياس وتحديد عناصره وضرورته ، نظرا لحاجة اللغة بالدرجة الأولى إلى القياس والسماع لتنمو ولتتدرج في تلبية احتياجات الإنسان للتعبير عن حاجاته بوساطة تلك الأصوات والتراكيب والألفاظ والتعبيرات ،[١] بأساليب لغوية كلامية فيها الصحة والسلامة ، دون لحن أو تحريف أو تصحيف ، وبقواعد سليمة توافق العقل والمنطق ، ومن نظرية اصطلاحية اللغة لا نظرية توقيفيتها . فجاءت وقفات عباس حسن في باب القياس مبنية على ما كان محفوظا في التراث من لغة العرب وما ينضوي تحت تلك اللغة من لهجات عربية تعددت بتعدد القبائل العربية.

حاول عباس حسن جاهدا أن يلم بجميع جوانب موضوع القياس والسماع عند العرب قديما وحديثا ، إذ لملم أشتات هذا الموضوع من عدد كبير من المصنفات والمؤلفات والمراجع .

---

[٣] الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن ، الإغراب في جدل الأعراب ، مرجع سابق ، ص ٩٥ .

[١] ابن جني ، أبي الفتح عثمان ، الخصائص ، ج١ ، ط١ ، ٢٠٠١م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ٨٧ بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأحاط بموضوعات القياس والسماع إحاطة تأخذ بالاعتبار أصل القيـــاس والحاجـــة إليـــه وتطوره وعلاقته بنشأة اللغة ثم بنشأة النحو. فقد تفحص عباس حسن آراء النحويين وتعريفـــاتهم للقيـــاس ووقـــف عليهـــا وحللها وقارن بينها ، ليجد أنها تنبع من اللغة وتعود إليها ، واستند إلى عناصرها ليصل إلى رأيه الخـــاص في القيـــاس ، فجاء " محاكاة العرب في طرائقهم اللغوية، وحمـــل كلامنا على كلامهـــم ، في صـــوغ أصـــول الـــمادة، وفروعهـــا ، وضبط الحروف، وترتيـــب الكلمات ." [١] ويتبع ذلك الإعلال والإبدال والإدغام والحذف والزيادة . وليس هذا ببعيد عـــن تعريفات قدامى النحاة ، وإنما هو خلاصة تعريفاتهـــم وجوهـــرهـــا ، فمثلا القيـــاس عنـــــد أبي البركات الأنباري يعني : " وضع اللسان بمعنى التقدير ، ومنه المقياس أي المقدار . "[٢] و" هـــو في عرف العلماء عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل ، وقيل : (هو حمل فرع علـــى أصـــل بعلـــة ، وإجراء حكم الأصل على الفرع) وقيل: (هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع) ... "[٣] وهذا يعني أن للقياس عناصر ذكرها الأنباري بقوله : " ولا بد لكل قياس من أربعة أشياء : أصل وفـــرع وعلـــة وحكم ."[٤]

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ص ٢٢ .

[٢] الأنباري ، أبي البركات عبد الرحمن ، الإغراب في جدل الأعراب ، مطبعة الجامعة السورية ، ط١ ، ١٩٥٧ م ، ص ٩٣ .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ٩٣ .

[٤] المرجع السابق نفسه ، ص ٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى عباس حسن في ضوء آراء النحاة وأحكامهم ، أن " القياس بهذا المعنى واضح الغاية ، سهل الفهم ؛ يغنينا عن التفصيل ،والتشعيب ، والالتواء والتعقيد الذي سلكه كثير من القدامى والمحدثين " [٥]

أسباب الخلاف والاضطراب والجدل في القياس والسماع

أثار موضوع القياس والسماع منذ القدم جدلا واسعا بين النحويين واللغويين إلى أن امتد ذلك الجدل إلى القرآن الكريم كما يشير عباس حسن إلى ذلك ، إذ قال : " ولعل السبب في امتداد الجدل إلى القرآن الكريم وغيره من فصيح الكلام القديم ، بل السبب في كثرة الآراء النحوية المختلفة ما تباين منها أو تقارب ، أمران " [١] ثم ذكر هذين الأمرين ، وهما :

١) الغموض الذي غشي القياسي والشاذ ، ولم يكشفه رأي صائب واضح ، يبين حقيقته ويجتمع الباحثون عنده في كل مسألة تعرض عليهم ، فلا يأخذ فريق بالقياس وآخر بالسماع وثالث بالأمرين معا . وهذا سبب متعلق بتفسير القرآن الكريم وتأويل آياته .

٢) تعويل اللغويين الأوائل في جمع المادة اللغوية على القبائل الضاربة وسط شبه الجزيرة العربية والنقل عنها ، وأخذ القليل من اللغة من بقية القبائل العربية الأخرى ، وفاتهم من غير تقصير شيء لم

---

[٥] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ،مرجع سابق ، ص ٢٢ .

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصلوا إليه ، ثم خلطوا جل ما نقلوا وأرسلوا بعضه في بعض ، وهذه القبائل وتلك يقع الخلاف بينها في كثير من الألفاظ والأساليب الكلامية والظواهر اللغوية ، مع أن لغتها الأم هي العربية . [٢]

وجد عباس حسن أن كثيرا من النحاة قد أسهم في الخلاف والاضطراب بقصد ، ولعل لذلك أسبابه وعلله ، ولكن ما يعنينا في هذا المقام أن لأي خلاف في الآراء والأحكام ، ولأي اضطراب مهما كانت أسبابه ، آثارا على اللغة وعلى النحو على حد سواء ، ومن ثم فإن الآراء والأحكام التي صدرت في القياسي أو السماعي لم تكن في بعضها آراء وأحكاما موضوعية ، مع أنها ربما تكون صحيحة ، لأن سعة اللغة العربية وتعدد لهجاتها ونزول القرآن الكريم بها ووجود السنة النبوية المتمثلة في الحديث النبوي الشريف بها ، تجعل الأمر صعبا على الحصر والتحديد ، وبخاصة في ما هو قياسي أو سماعي وفيما هو قلة في القياس ، وفيما هو كثرة ، ويصف عباس حسن ذلك بأنه قد أضفى الغموض على هذه المسألة ، وعلى غيرها من المسائل ، ولكن مسألة القلة والكثرة كانت من أهم المسائل اللغوية والنحوية في باب القياس على مستوى اللفظ وعلى مستوى التركيب وعلى مستوى الأسلوب الكلامي والأداء .

فالخلاف في الكثرة والقلة في القياسي والسماعي وما نتج عنه من الغموض كان يمكن أن لا يحدث لولا تعدد المذاهب والآراء التي جاء بها النحاة ، ولذلك تعجب عباس حسن من عدم وجود محاولة للكشف عن هذا الأمر بإزالة الغموض في الكثرة والقلة والذاتي والنسبي ، وحاول

---

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إيجاد تفسير لذلك ، ولكنه لم يتمكن إلا من التحليل وبسط المذاهب والآراء فحسب ، ولم يجد التفسير المنطقي المناسب لهذه الظاهرة اللغوية والنحوية .

نقد النحاة بسبب الخلط بين القياس في اللغة والقياس في العلوم الأخرى

أحاط عباس حسن بمقتضيات القياس والسماع التي كانت سببا في اتفاق النحاة على رأي أو حكم أو كانت سببا في اختلافهم مستندا في ذلك إلى تفاوت العرب في لهجاتهم العربية وإلى صحة القول الوارد عنهم وفصاحته وإلى سعة اللغة العربية التي لم تمنع العربي من ابتكار الألفاظ والمفردات وابتداعها بما يناسب المعنى والسياق والأسلوب الكلامي .

لذلك وجه عباس حسن النقد إلى النحاة بسبب ما فعلوه في باب القياس ، على اعتبار أن القياس في اللغة يختلف عنه في العلوم الأخرى ، وأشار إلى الخلط الذي وقع فيه النحاة واللغويون عندما قاسوا القياس في اللغة على القياس في العلوم الأخرى كعلم أصول الفقه مثلا . فكان نقده منصبا على الإجراءات التي اتخذها النحاة ، وبخاصة عندما وقع الخلط عندهم بين القياسين وعندها " فتحوا بسببه أبوابا من المشكلات ، تكد العقل ، وترهق الفكر ، وعقدوا بينه وبين القياس في علم (أصول الفقه) روابط وأشباها رتبوا عليها أحكاما عجيبة ، لغوية وشرعية ، وأسرفوا في التفصيل ، والتفريع ، والاستدلال إسرافا جاوز حد الإبانة ، وإيضاح الحقائق ، واستحال ألغازا ومعميات ، يضيق بها الصدر ." [١]

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل عباس حسن رأى رأي السيوطي ونحا منحاه ليفصل بين القياس في اللغة وما فيه من عناصر وما يستلزم من إجراءات عملية تطبيقية ، وبين القياس في العلوم الأخرى ، ولا شك في أن حجة الذين فصلوا بين القياسين قوية . يقول السيوطي : " فليس القياس الشرعي كالقياس اللغوي في المعنى ، وإن تمسكوا بأن القياس يجري في المصادر ؛ نحو ضرب يضرب ضربا ، وأكل يأكل أكلا ، فلسنا نسلم أن (اللغة) تثبت بالقياس ، وإنما تثبت نقلا عن العرب ." [٢] أي أن اللغة تؤخذ بالسماع أولا ثم بالقياس على المسموع الثابت أو الحجة ثانيا .

القياسي والسماعي ولواحقهما (المطرد والشاذ) وفروعهما

بين عباس حسن أن النحاة قد وقعوا في تناقض واضطراب كان لهما آثار سيئة على اللغة العربية وعلومها ، ولا سيما عندما كثرت آراؤهم النحوية وأحكامهم في ما سموه بالقياسي وما سموه بالسماعي ، والاضطراب كان حادثا في ما ألحقوه بالقياسي وما ألحقوه بالسماعي ، فأطلقوا تسميات على تلك اللواحق ، منها ما سموه بالمطرد ، وما سموه بالشاذ ، وما سموه بالنادر ، ولم يتفقوا على ما يقاس عليه وما لا يصح القياس عليه ، وذلك لاختلاف لهجات العرب ، ولاختلاف الكلام المنقول عن العرب ليحتج به من لغات القبائل العربية ، واتسع نطاق الجدل في ما هو القياسي وما هو السماعي ، فصار " يتردد على ألسنة النحاة وفي كتبهم كلمتا : (القياسي والسماعي) : يريدون بالقياسي هنا : ما جرى على كثير ممّا نطقت به العرب ، وساير

---

[٢] السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين ، المزهر ، ج١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ٦١- ٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشائع من لغتهم ، ولو لم يكن الناطق به عربيا أصيلا ، ويجعلون حكمه حكم الكلام العربي الأصيل في كل ما يختص به . ويريدون بالسماعي أيضا : ما ورد من كلام العرب الخلص مخالفا للكثرة في بعض النواحي ، ويحكمون عليه بأنه (يحفظ ولا يقاس عليه) فكلا النوعين : (المقيس عليه ، والمسموع) كلام عربي أصيل ، غير أن الأول فاز بالشيوع والكثرة ، ... وحرم الثاني تلك الخصيصة ... فالكثرة هي سبب الخلف الواسع . " [١]

حاول عباس حسن أن يجد تفسيرا للتناقض والاضطراب في القياسي وحدوده والسماعي وحدوده ، وما لحق بهما من المطرد والشاذ والنادر ، وفروعها ، وكثرة القياسي وقلته ، وعرض أمثلة مما ورد عند النحاة ، على اعتبار أنها أدلة يستدل بها على تفسير بعض الظواهر في القياسي وفي السماعي ولواحقهما ، وأبلغه بحثه إلى أن في القياس شاذا متداولا ومستعملا ، ولكنه – كما يرى – لا يجوز القياس عليه ، ولا رد غيره إليه ، ومن أمثلة ذلك تتميم مفعول فيما عينه واو ، نحو: ثوب مصوون ، ومسك مدووف ... مع أن هذا التتميم لغة عند تميم حيث جعلته في (الواوي العين) . وفي (اليائي العين) ، مستندا في ذلك إلى ما قرره ابن جني وغيره من حيث (إن الناطق على قياس لغة من اللغات مصيب غير

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مخطيء) [١]وفي هـذا رأى عبـاس حسـن أن كـلام ابـن جنـي السابـق مناقـض لما سـبق أن قرره في موضع آخر .[٢]

مناقشة عباس حسن رأي ابن جني في القياس والسماع

كان عباس حسن في كثير من الأحوال يعتمد على السماع والمسموع عن العرب إذ كان يقوّم المسموعات في إطار معايير وضوابط معينة حتى ولو كانت قلة ثم يعرض آراء النحاة فيها على قلتها ، فيحاول استنباط أحكام جديدة معتمدا في ذلك على بعض القياس الذي يؤيد السماع أو بعض المسموع الذي يؤيد القياس على القلة ، أما القياس على الكثرة فلم يرهقه بمثل ما أرهقه القياس على القلة في أبسط الأحكام والآراء .

قدر عباس حسن الآراء والأحكام في القياس ، ورأى أن الرأي السديد يأتي بعد إجالة الفكر في أنواع القياس الأربعة التي عرضها ابن جني ومن تبعه من النحويين ودراسة كل نوع بفكر نحوي وفكر لغوي يقودان إلى الدقة والصواب في التمييز بين أنواع القياس ، وأهميتها ، وأفضلية الواحد منها على الآخر

أما في مجال البحث في التوفيق بين آراء النحاة ، فقد حاول عباس حسن الخروج بحكم يناسب باب الاطراد والشذوذ في القياس ، فعرض لآراء النحاة ، ونقلها وقابلها بعضها ببعض ، ليرى مبلغ التوفيق في محاولاتهم ، ومن هؤلاء النحاة الذين زعموا أنهم تناقلوا الآراء وحلوا عقدة

---

[١] ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، ج١ ، مرجع سابق ، بتصرف ، ص ٤٠٠ .

[٢] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، بتصرف ، ص ٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القياس في المطرد والشاذ منه ، ذكر عباس حسن [١]ابن جني الذي عقد فصلا للمطرد والشاذ في كتابه الخصائص [٢] وذكر أن الاطراد والشذوذ قد جاء على أربعة أضرب هي :

الأول : مطرد في القياس والاستعمال جميعا وهذا هو الغاية المطلوبة ، والمثابة المثوبة ...

الثاني : مطرد في القياس ، شاذ في الاستعمال وذلك نحو الماضي من (يذر ويدع) وكذلك قولهم (مكان مبقل) هذا هو القياس ، ولكن الأكثر في السماع : (باقل) والأول مسموع أيضا .

والثالث : المطرد في الاستعمال ، الشاذ في القياس ، نحو قولهم : أخوص الرمث ، واستصوبت الشيء ولا يقال : استصبت الشيء ، ومنه استحوذ ، وأغيلت المرأة واستنوق الجمل ...

والرابع : الشاذ في القياس والاستعمال جميعا ، وهو كتتميم صيغة (مفعول) فيما عينه واو ، نحو : ثوب مصوون ، مسك مدووف ، وكل ذلك شاذ في القياس والاستعمال فلا يجوز القياس عليه ولا رد غيره إليه . " [٣]

ويرى عباس حسن رأي ابن جني في أن الشيء إذا اطرد في الاستعمال وشذ عن القياس ، فإنه لا بد من اتباع السماع الوارد به ، ولا يتخذ أصلا يقاس عليه . والشذوذ كما قسمه ابن السراج في الأصول جاء على ثلاثة أضرب " منه ما شذ عن بابه وقياسه ولم يشذ في استعمال

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ٥٢ .

[٢] ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، ج١ ، ص ١٣٨ .

[٣] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٥٢- ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العرب له نحو : استحـــوذ .... ومنـــه ما شـــذ عن الاستعمال ولم يشذ عن القياس نحـــو ماضـــي يدع ، ... ومنه ما شذ عن القياس والاستعمال فهذا الذي يطرح ولا يعرج عليه . " [١]

إذ وجـــد عباس حسن نوعين منها ليسا موضع اختلاف ، وإنما هما موضع الاتفاق التـــام بينه وبين ابن جني وتابعه ، وهذان النوعان هما : المطّرد في القياس والاستعمال معـــا ، والمخـــالف للقياس والاستعمال معا ، فبين جواز محاكاة الأول واستعماله ، ومنع محاكاة الثاني واستعماله . كما وجد النوعين الآخرين اللذين فيهما يقع الخلاف بينه وبين ابن جني وتابعيه وهذان النوعان يحتاجان إلى تهيب وحســـن تصرف فيهما ليكون في ذلك توسعة وتجديد وتيسير يفيد اللغة وطلابها .[٢]

ولكن عباس حسن يرى الغموض والتناقض عند ابن جني في ما ذهـــب إليـــه ، وبحـــث في الأسباب التي أدت إلى ذلك ، فقال : " فأما الغموض فمرده إلى اعتماده في الاطراد ، والقياس على الشيوع والكثرة من غير أن يبين مداهما ولا حدودهما ... ولقد ســـرد أمثلـــة ســـتة للمطـــرد في الاستعمال ، الشاذ في القياس هي : (أخـــوص ، استصوب ، اســـتحوذ ، أغيـــل ، اســـتنوق ، استتيس) وقطع بعدم القياس عليها ومعنى ذلك : أن ورود ست نظائر لا يكفي للمحاكاة ، وأنهـــا قلة لا تبيح القياس ، فما الكثرة التي تبيحه إذاً ؟ "[٣] وبين عباس حسن أن ابن جني " حين ســـرد الستة ترك كثيرا غيرها من الألفاظ الخارجة على القياس ... وإذا ضم إلى سابقه بلغ العدد واحـــدا

---

[١] البغدادي ، محمد بن سهل بن السراج ، الأصول في النحو ، تحقيق ، عبد الحسين الفتلي ، ج١ ، مؤسسة الرسالة ، ص ٥٧ .

[٢] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، بتصرف ، ص ٥٩ –٦٢ .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ٥٦–٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعشرين "[١]وتساءل مستنكرا ما صدر عن ابن جني من حكم في هذا الباب فقال " ترى ، أمثل ذلك لا يعرفه ابن جني ، وهو اللغوي العليم ، أم أنه خبير ؟ وإذا كان خبيرا به أفيقول بأن هذا القدر لا يكفي لينسج على منواله ، ويقاس عليه ، أم يكفي ؟ " [٢]

وأما التناقض عند ابن جني ففي قوله : (إن الشاذ في القياس والاستعمال معا لا يجوز القياس عليه ، ولا رد غيره إليه ، ومن أمثلة ذلك تتميم مفعول فيما عينه واو ، نحو: ثوب مصوون ، ومسك مدووف ... مع أن هذا التتميم لغة عند تميم حيث جعلته في (الواوي العين) . وفي (اليائي العين) ، وقد قرر ابن جني وغيره (أن الناطق على قياس لغة من اللغات مصيب غير مخطئ [٣]وفي هذا رأى عباس حسن أن كلام ابن جني السابق مناقض لما سبق أن قرره في موضع آخر .

بعض الأمثلة على القياس والسماع عند عباس حسن

إن الأمثلة على القياسي والسماعي كثيرة عند عباس حسن ، ويمكن الاستدلال ببعضها على ما يراه فيها ، سواء أكان مؤيدا لما جاء به النحاة أم مخالفا لهم في آرائهم وأحكامهم ، أم محايدا لا يرى رأيا قطعيا في المسألة النحوية في باب من أبواب النحو كباب القياس الذي كثر فيه الجدل والخلاف الذي أثار التفكير اللغوي والتفكير النحوي عند عباس حسن وجعله يستعرض القضايا

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٥٧ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٥٧ .

[٣] ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، ج١ ، مرجع سابق ، بتصرف ، ص ٤٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القياسية والسماعية في النحو العربي استعراضا فيه شيء من التفصيل لعله يصل إلى غاياته وأهدافه من بسط البحث في مثل تلك المسائل ولا سيما أنه كان يدعو إلى تجديد النحو وإصلاحه ، بمثل ما كان يدعو إلى تيسير تعليمه وتعلمه .

وفي باب القياس أيضا بين عباس حسن أن استخدام المصدر القياسي مع وجود المصدر السماعي هو كاستخدام الألفاظ والكلمات التي نجري عليها الرفع أو النصب أو الجزم في أساليب الكلام الخاصة التي نؤلفها تأليفا مبتكرا ولم تنطق بمثلها العرب نصا في السابق ، وهي لا تخرج في هيئتها وتراكيبها ومادة كلماتها وضبط حروفها وترتيبها على النسق الوارد عندهم ولا يتعدى حدودهم العامة ، وهي في الوقت نفسه أساليب عربية صحيحة تجري على النظام العربي الأصيل في مفرداتها ، ولا مسوغ إذن لمنع استخدام المصدر القياسي مع وجود السماعي المعروف قياسا على ما سبق ذكره . [١]

كما بين عباس حسن أن الحكم الصحيح على المصادر السماعية أنه يجوز استعمال المصدر السماعي مقصورا على فعله الخاص ، ولا يجوز استخدام وزنه في إيجاد صيغة كصيغته لفعل آخر غير فعله المعين ، كما يجوز استعمال المصدر القياسي لفعله . ولا مانع من استعمال المصدرين ، ومن شاء أن يصطنع المسموع أو القياسي فله ما شاء . ورأى عباس حسن أن هذا يجري على كل فعل له مصدران ؛ مقيس ومسموع ، وأن استعمال أحدهما مباح ، وإلا فإننا نكلف جمهرة الناس ما لا

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٣ ، بتصرف ، ص ١٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تطيق ، إذ نطالبها بمعرفة المسموع لكل قياسي ، والاقتصار على هذا المسموع وحـــده ، وفي هـــذا تعطيل للقياس وتعجيز وضرر على العربي والعربية .

كما بحث عباس حسن أيضا في قياسية وسماعية الصيغ الكثيرة الواردة لاسم المكان والصيغ القليلة الواردة لاسم الزمان ، وهي صيغ وردت مختومة بتاء التأنيث للدلالة على تأنيث المعنى المراد من الكلمة ، مثال : (المَـــزِلة (لموضع الزلل) ـــ المَظَنة (لمكان الظن)) وبين أن قدماء النحاة قد اختلفوا في الرأي ، إذ أجاز قليلهم القياس عليها ، ومال أكثرهم إلى منع القياس لتوهمـــه أن هـــذا المسموع قليل لا يكفي للقياس عليه ، ورأى عباس حسن أن الحق هو الرأي الذي يبـــيح القيـــاس عليه وأنه رأي سديد وموفق ، رغم أن ذلك الوارد فيه قد وصف بالقلة ، ولكنها قلة نسبية ، وهي على هذا الوجه تبيح القياس العام وتجيز المحاكاة من غير تقييد ، لأن اختلاف الدرجـــة في القـــوة والفصاحة لا يمنع من صحة القياس والمحاكاة .

كما رأى أن من الأنسب إباحة القياس في صيغة (مفعلة) ، مع الاقتصار في القياس عليها على اســـم المكـــان ، لأن الأمثلة الواردة هي التي بلغت في الكثرة حدا يبيح القياس عليهـــا .[١]

ويرى عباس حسن في هذا الأمر أن من " الأفضل اليوم – بل الواجب – عدم الأخذ برأي سيبويه هنا إلا في (مفعلة) التي نحن بصددها . أما غيرها فيقتصر فيه على ما سمع وورد فيه نـــص

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٣، بتصرف ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاص باستعماله ، دون إطلاق هذا الحكم وتعميمه . فالواجب تقييده بما سلف ، منعا لإفساد البيان اللغوي ، وحرصا على سلامة اللغة ." [١]

وكشف عباس حسن أيضا عن مسألة دخول (أل) على المضاف في الإضافة المحضة ، مثال : (قرأت الأحد عشر كتابا) ، وبين رأي الكوفيين فيها ، إذ أجازوا دخولها بشرط أن يكون المضاف اسم عدد والمضاف إليه هو المعدود ، وحجتهم في ذلك السماع عن العرب ، والأمثلة الصحيحة التي تكفي عندهم للقياس عليها ، كما بين رأي البصريين في هذه المسألة ، وقال إنهم لم يجيزوا ذلك ومنعوه ، بحجة أن العدد مع المعدود ضرب من المقادير ، والمقادير لا يجوز فيها دخول (أل) على المضاف ، حملا للنظير على نظيره ، وقياسا للشيء على ما هو بابه .[٢] ويرى عباس حسن في هذه المسألة أن حجة الكوفيين هي الأقوى ؛ لاعتمادها على السماع الثابت ، ولكنه أشار إلى أن المذهب البصري أكثر شهرة ، وأوسع شيوعا ، ورأى الاكتفاء بمحاكاته ، والاقتصار عليه عند الكلام .[٣]

بحث عباس حسن في قياسية الإضافات الملحقة بغير المحضة وعدم قياسيتها ، بشيء من التفصيل ، ليصل إلى أن كثرة النحاة تقصرها على المسموع ولا تبيح فيها القياس ، وأن الكوفيين يبيحون القياس على المسموع بحجة أن الوارد من تلك الإضافات كثيرة كثرة تكفي للقياس

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٣، بتصرف ، ص ٢٥٥ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٤– ١٥ .

[٣] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ٣٩٩ ، بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه ، وأن الحاجة قد تدعو لاستخدام القياس ، ورأى أن رأي الكوفيين سديد مفيد ، ومن المستحسن الأخذ به إذا دعت الحاجة إليه .

ولم يغب عن عباس حسن القياس والسماع في الجمل ، وبحث في آراء النحويين وأحكامهم التي تناولت إعراب الجمل ، والأساليب الكلامية التي وردت فيها نصا أو سماعا ، ومن الأمثلة على ذلك نورد ما مثل به هو في باب الجملة الواقعة نعتا لنكرة ، واعتمد في ذلك على رأي الكوفيين ، فقال : " يقول الكوفيون : إذا وقع بعد الجملة الواقعة نعتا لنكرة ، جملة أخرى مضارعية ، مترتبة على الجملة النعتية كترتب جواب الشرط على الجملة الشرطية – إذا وقع هذا صح في المضارع الجزم جوابا للنعت مع جملته ؛ حملا له على المضارع المجزوم في الجملة الواقعة جوابا للشرط . ففي مثل : (كل رجل يعمل الخير يرتفع شأنه ... يجيزون جزم المضارع : يرتفع) ." [١]ولكنه أشار إلى ضعف رأيهم هذا بحجة أنه " لا تؤيده الشواهد القوية الكثيرة ، التي تسوغ القياس عليه ."[٢] ورأى أنه من الأحسن إهماله والاقتصار فيه على المسموع .

لقد طالت جهود عباس حسن النحوية كثيرا من المسائل الصرفية والنحوية وأجال فكره النحوي فيها ، ليكشف عن القياسي فيها والسماعي ، ومن تلك الصيغ التي دارت في الاستعمال ، نذكر صيغة (فعّال) التي كثر استعمالها في الأساليب الفصيحة المسموعة ، وبخاصة

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٣، ص ٤٠ – ٤٢ ، ص ٣٧٤ ، بتصرف .
[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٣٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للدلالة على النسب ، وكانت كثرة استعمالها ترد في التعبير عند النسب إلى الحرف أو إلى الصناعة . ورأى عباس حسن أن الأحسن الأخذ بالرأي القائل بقياسية ذلك في النسب إلى الحرف والصناعة ، للكثرة الواردة التي تكفي للقياس عليها .

كما يمكن أن نذكر أسلوب التعجب الذي عرفه العرب بصيغ محددة ، وضع لها النحاة شروطا لا بد من تحققها في كل صيغة من صيغه ، ففي صيغة (ما أفعله !) " زاد بعض النحاة شرطا آخر خالف به الأكثرين ؛ هو : ألا يستغني عن الصياغة منه بصيغة أخرى مسموعة ؛ فلا يصح : ما أقيله !! في التعجب من قيلولته لأنهم استغنوا عنها بقولهم : ما أكثر قائلته . " [١] ورأى عباس حسن " أن هذا الشرط غير مقبول ؛ إذ يقتضينا أن نرهق أنفسنا بالبحث المضني في جميع المظان لمعرفة ما استغنوا به عن الصيغة القياسية ؛ وهذا تكليف لا يطاق ، ولا يمكن تخفيفه ، وفيه تعويق للتعبير ، وتعطيل للقاعدة ، وتحويل للقياس عن معناه السديد ." [٢]

ونذكر أيضا أن عباس حسن قد تنبه إلى صيغ التفضيل ، وبين ما هو قياسي فيها وما هو مسموع ، ولما وقف على المسموع في الألوان وجد أن مثل قولهم (أسود من حلك الغراب) أو قولهم (أبيض من اللبن) ، هو من الشاذ عندهم ؛ يحفظ ولا يقاس عليه . وبين أن هذا الحكم غير مفهوم ما دامت الكلمة نفسها قد استعملت صيغتها نصا في المفاضلة اللونية . [٣]

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٣ ، مرجع سابق ، ص ٢٧٢.

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٧٢ .

[٣] المرجع السابق نفسه ، بتصرف ، ص ٣٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنه لا داعي لمنع التفضيل بمثل هذه الصيغة ، ولا سيما بعد ورود السماع به ، واشتداد الحاجة إلى القياس على الوارد منه .

كما يهمنا أن نقف على آراء النحاة وعلى رأي عباس حسن أيضا في مسألة تثنية جمع التكسير وجمعه ، من حيث قياسية تثنيته أو سماعيتها ، إذ تبين أن عباس حسن يفضل الأخذ برأي القائلين بأن الحاجة قد تدعو أحيانا إلى جمع الجمع المكسر وإلى تثنيته ، ولم يأخذ برأي الفريق من النحويين الذين قالوا بأن جمعه مقصور على السماع وأن القياس يأبى تثنيته ، لأن الغرض من الجمع هو الدلالة على الكثرة العددية ، والغرض من التثنية هو الدلالة على القلة .

كما لم يأخذ عباس حسن برأي فريق آخر من النحاة الذين مالوا إلى إباحة الجمع فيما يدل على القلة دون الدلالة على الكثرة . ومن ذلك نستنتج أن عباس حسن يريد ترك الأمر إلى المتكلم وما يريده من كلامه الذي يعبر به عن المعاني والدلالات والمقاصد التي يريد الإنابة عنها .[١]

وفي باب المفاعيل ، نذكر مسألة المفعول لأجله التي أثارها عباس حسن في قياسية المفعول ، إذ بين أن أقسام المفعول لأجله الثلاث تعد عند النحاة قياسية ، وهذه الأقسام ترد على الأول منها فيكون فيها المفعول لأجله مجردا من أل والإضافة ، وترد على الثاني منها فيكون المفعول لأجله فيها مضافا ، وترد على الثالث فيكون المفعول لأجله فيها مقترنا بأل ، وأشار عباس حسن

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، ص ١٥١– ١٥٢ ، بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى أن هذا القسم الثالث دقيق في استعماله وفهمه وهو قليل التداول ، ولكنه قياسي عند النحـــاة واستحسن عبـــاس حســـن التخفف من استعماله لقلته في التداول قديما وحديثا .

هذه بعض من الأمثلة التي درسها عباس حسن ، ودعا فيها إلى ضرورة الإفادة من المقـــيس والمسموع بنفس الدرجة لتوجيه اللغة العربية الفصحى الحاضرة والمستقبلية ، بمثل ما دعا فيهـــا إلى الابتعاد عن التعقيدات والمعيقات التي تقف أمام معلمها ومتعلمها والمتكلم بها على حـــد ســـواء ، ولعل هذه الدعوة لا تعني التفريط بقواعد اللغة العربية أو بأصولها ، كما لا تعني تـــرك الفـــصحى وتداول العامية والمحكية واستعمالها على غرار أن للعرب لهجات تنتمي إلى لغتهم ، ولكنـــها رغـــم تعـــددها لا تخرجهم عن استعمـــال اللغة الفصيحة السليمة عند الكـــلام أو القـــراءة أو الكتابـــة والتعبير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

دعوته إلى تيسير النحو العربي

سارت الدراسات النحوية في اتّجاهين متميزين " اتّجاه يهدف إلى التعمق في علم النحو من حيث هو علم ، ومن حيث هو مهنة يجعلها عالم النحو معاشا له ، واتّجاه آخر يهدف إلى تيسير النحو وتسهيله لتحقيق أغراض المخاطبة الصحيحة ، وتوفير ما يحتاج إليه الإنسان في قراءة الكتب وفهمها ." [١]

ولا شك في أن هذين الاتجاهين لم يتوقف أحدهما عند صعوبة أو عقبة أو معضلة ، وبقيا متلازمين إلى هذا العصر ، فحدث الاتصال بين أساليب القدامى وأساليب المحدثين ، وانطلقت الجماعات من العلماء ومجامع اللغة العربية من شعورها بوجوب التخفيف عن المتعلمين بوضع خطة جديدة في البحث النحوي وتعليمه . وبدأت محاولاتهم تظهر من خلال أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي ألّف اللجان المختصة التي التقت مع اللجان التي ألّفتها وزارة التربية والتعليم المصرية لوضع خطة تهدف إلى تيسير النحو وتعليمه في أجود صوره وأبسطها وأيسرها ، وتوِّجت تلك الجهود بظهور عدد من المحاولات في هذا الاتّجاه نذكر منها :

---

[١] خليفة ، عبد الكريم ، تيسير العربية بين القديم والحديث ، ط١ ، ١٩٨٦م ، مجمع اللغة العربية الأردني ، عمان ، الأردن ، ص ٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو) .

ب- محاولة الأستاذ عبد الحميد حسن في صدر كتابه (القواعد النحوية مادتها وطريقتها).

ت- محاولة الأستاذ أمين الخولي في بحث ألقاه على مؤتمر المستشرقين وعنوانه (الاجتهاد في النحو العربي) وبحث آخر بعنوان (هذا النحو).

ث- محاولة الدكتور شوقي ضيف في تقديمه لكتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي. وفي كتابه (تجديد النحو).[١]

وغيرها من المحاولات التي كانت على المستوى الفردي أكثر منها على المستوى المجمعي ، ولكن أبرز هذه المحاولات جميعا وأظهرها محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى . إذ تعد " الشعلة التي أنارت السبيل لكل من فكر في محاولة جديدة لتيسير النحو ." [٢]

وقد رأى كثير من علماء العربية ، وممن يعملون في قطاع تدريسها وتعليمها في المدارس والمعاهد والجامعات أن موضوع التيسير والإصلاح في النحو العربي ضرورة لازمة لا بد منها ، إذ " إن تيسير النحو أو تجديده أو إحياءه عمل ضخم ، يلزم له قبل كل شيء تحديد معنى النحو وفهمه وإحاطته بقديمه إحاطة تنفذ إلى صحيحه أو تغوص في أعماق معانيه ، ثم يتلو ذلك تجريده مما شابه من شوائب لا مكان لها في نحو اللغة ، ولا طائل من ورائها في إتقان التعبير . " [٣]

---

[١] بتصرف ، شلبي ، عبد الفتاح ، الاتجاهات الحديثة في النحو ، ط١ ، ١٩٥٨ م ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص ٦١ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٦١ .

[٣]) الجواري ، أحمد عبد الستار ، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي ، ط١ ، ١٩٨٤ م ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، العراق ، ص ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتأخذ دعوة عباس حسن إلى تيسير النحو وإصلاحه مكانتها بين دعـــوات علمـــاء اللغـــة العربية والنحو العربي ودعوات المعلمين ، فجاءت مبنية على أسس ومبادئ نابعة من فلسفة عبـــاس حسن ومن تفكيره اللغوي وتفكيره النحوي ، ومن ممارسته لمهنة التعليم ، وجعلته يـــضع الأبحـــاث اللغوية والنحوية ، ومنها كتابه (النحو الوافي) وكتابه (اللغة والنحو بين القـــديم والحـــديث) ، وانفسح المجال أمامه ليقف على الهنـــات والشوائب والأدران والآفات والتعقيدات التي أصـــابت النحو منذ نشأته إلى عصرنا الحاضر ، فكان أن درس النحو دراسة وافية استطاع بها أن يحدد تلك المسائل النحوية التي يمكن تسهيلها وتيسيرها للمتعلمين والمعلمين والدارسين دون عناء أو معيقـــات تقف أمامهم وأمـــام تطور النحو وتقدمه وملاءمته للغة التي يوظفها الناس في الوقت الحاضـــر وفي المستقبل ، ولا سيما أن النقلات الحضارية والتكنولوجية قد أخذت أدوارهـــا الكـــبيرة في حيـــاة الإنسان العربي وبصورة متسارعة ومتنوعة ومتداخلة .

القضايا والمسائل النحوية التي بحث في إصلاحها وتيسيرها

الأوهام النحوية

وقد كان لعباس حسن منهجه في دراسة النحو بعامة وفي معالجـــة المـــشكلات والآفـــات والعيوب بخاصة ، إذ حاول جمع المراجع السابقة ، وفصل المشكلات النحوية ، واستقصى أسبابها ، وحاول فهمها واقتراح الدواء الناجع لها بعيدا عن الأوهام النحوية التي تبين له أنها كانت تـــشكل آفة من آفات النحو عند القدامى والمحدثين على حد سواء ، وبين أنه " مهما يكن من شـــيء فـــلا مجال للتردد اليوم في أنه من آفات النحو ، وشائبة من شوائبه يجب البدار إلى القضاء عليها في غـــير تردد ولا تريث ، وتحرير عقل المتعلمين من شرورها ، والاحتفاظ بالوقت والجهد في غير هذا الوهم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المثبت في ثنايا المراجع النحوية المطولة .... ومن أمثلته ... (الجر على الوهم) والجر (بالمجاورة) وهما من أوضح الصور الذهنية الفاسدة . " [١]

فدعا إلى نبذ الأوهام النحوية وما ترتب عليها في هذا المجال ليكون التعارض في التعليل والعلل بعيدا غير فاعل ، وليظل النحو العربي سهل التعلم ميسر المتناول . لأن " النحو في كثير من مسائله لا يخضع لهذا القانون الطبيعي السليم ، بل تراه يخرج عليه – بسبب التعليل الزائف ولواحقه – في كثير من قواعده خروجا عنيفا لا مسوغ له ، ولا خير فيه ." [٢]

تعدد الآراء والأحكام النحوية في المسألة الواحدة

بحث عباس حسن في صلب المشكلة النحوية التي كانت بسبب تعدد الآراء النحوية في المسألة الواحدة ، واختلاف الأحكام فيها ، إذ " تصل المذاهب في المسألة الواحدة إلى عشرة أو تزيد " [٣] مما أدى إلى ظهور الخلاف النحوي ، والتفرق في القواعد النحوية مما أدى إلى ظهور بعض عيوب النحو بسببه ، ووجدت بعض العقبات في تحصيلها ، فأراد عباس حسن ومن سبقه وبعض من عاصره حصر مثل هذه العيوب والآفات والمشكلات والعقبات لغايات إزالة الشوائب ومعالجة الأخطاء والخلافات في الآراء ، إذ بذلك يتهيأ التيسير وإصلاح النحو كما يجب أن يكون عليه . [٤]" وهذا الخلاف والتفرق في كثير من القواعد النحوية كان أظهر العيوب فيها ،

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٨٤.

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٨٤ –١٨٥ .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ٧٢ .

[٤] المرجع السابق نفسه ، ص ٧٣ ، بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأكبر العقبات في تحصيلها ، والوصول إلى ضوابط محدودة سليمة ؛ يسهل استخدامها ، والاستعانة بها في التفاهم الكلامي والكتابي على وجه محكم دقيق ؛ لا فوضى فيه ولا اضطراب ؛ شأن العلوم القاعدية المضبوطة التي تأخذ بيد صاحبها إلى غاياتها ، وتنهض به في يسر وسهولة ودقة إلى حيث يبغي منها . " [١]

وفي ضوء ذلك يرى عباس حسن أن تعدد الآراء والجدل في المسألة من غير داع يثير الشكوى لدى المتعلم ، " أما تعدد الآراء واتساع الجدل فيما يجدي (كتيسير ، أو تحديد حكم ، واستنباط آخر ، أو ...) فمرغوب فيه ؛ بل هو هدف أساسي من أهداف المتخصص المتجرد لمهمته يصل منه إلى كشف غايات حميدة واستنباط نتائج نافعة ... " [٢]

لذلك كله يرى عباس حسن أن واجب الحيطة يقتضي من النحاة اللجوء إلى إحدى طريقتين هما :

الأولى : وضع نحو خاص لكل قبيلة يساير لغتها ولهجتها ، ويلائم لسانها دون غيرها من القبائل .

الثانية : اختيار مثل لغوي بلاغي أسمى ؛ ليكون وحده المرجع الذي تستنبط منه قواعد النحو الموحدة . [٣]

ومن الأمثلة على تعدد القواعد النحوية بتعدد الآراء والعلل ما أورده ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك ، في مسألة التمييز وتقديمه ، إذ " اختلف النحويون في جواز الجمع بين

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .

[٢] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

[٣] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١١٥ – ١١٧ ، بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمييز والفاعل الظاهر في (نعم) وأخواتها ؛ فقال قوم : لا يجوز ذلك ، وهو المنقول عن سيبويه ؛ فلا نقول : (نعم الرجل رجلا زيد) ، وذهب قوم إلى الجواز . " [١] ، واحتجوا بقول الشاعر :

والتغلبيون بئس الفحل فحلهم فحلا ، وأمهم زلاء منطيق

وفصّل بعضهم الأمر ، فقال : " إن أفاد التمييز فائدة زائدة على الفاعل جاز الجمع بينهما ، نحو : (نعم الرجل فارسا زيد) وإلا فلا ، نحو : (نعم الرجل رجلا زيد) . فإن كان الفاعل مضمرا ، جاز الجمع بينه وبين التمييز ؛ اتفاقا ، نحو : (نعم رجلا زيد) . " [٢]

التعارض والخلاف بين الأحكام النحوية والعلل

ورأى أن ما نتج من مشكلات أخرى ناتجة عن الأوهام النحوية التي ترتبت على العامل النحوي قد أوجدت مشكلة تتعلق بالتعارض والخلاف بين الأحكام النحوية والعلل والآراء التي لا مسوغ للخلاف فيها ، ولا منطق يبررها ، فدعا إلى نبذ الأوهام النحوية وما ترتب عليها في هذا المجال ليكون التعارض في التعليل والعلل بعيدا غير فاعل ، وليظل النحو العربي سهل التعلم ميسر المتناول .

---

[١] ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله ، شرح ابن عقيل ، مج ٢ ، ج٣ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص ١٦٣– ١٦٥ .
[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغالبا ما يدعم عباس حسن رأيه بالأمثلة الكثيرة التي تغص بها كتب النحو. ومن الأمثلة على ما تبين له من تعارض وخلاف بين الأحكام النحوية والعلل عند النحاة أورد المثال الذي يؤكد ما ذهب إليه ، إذ يقول : " ومثل هذا يقولونه في المصدر الواقع صفة ؛ كجاء رجل عدل حيث يتأولونه على حذف مضاف (أي : ذو عدل) ، أو : على الوصف ؛ فيكون (عدل) بمعنى (عادل) ؛ لأن النعت عندهم لا يكون جامدا في هذه الصورة .... ومن عجب أن يقول البلاغيون : إن (جاء رجل عدل) وأشباهها مما وقع فيه النعت مصدرا – أبلغ وأقوى في أداء المعنى من (جاء رجل عادل) ونحوه مما وقع فيه النعت مشتقا ..." [١] وليس هذا فحسب ، وإنما يعجب من أن المصدر يقع حالا ونعتا باعتراف النحاة ، إذ يقول : " وأعجب من هذا أن يعترف النحاة في صراحة ووضوح أن وقوع المصدر حالا ونعتا كثير في كلام العرب ، وأنه – على كثرته – مقصور على السماع ؛ لا يقاس عليه عند جمهورهم ، وقاسه ابن مالك وابنه في الحال في ثلاث مسائل ، وقاسه المبرد بشرط ... "[٢] وكأنه لم يقف على رأي ابن يعيش في شرح المفصل ، وموقفه من هذه المسألة ، ليرى صحة رأي النحاة في جواز وقوع المصدر نعتا أو حالا ، وقول ابن يعيش خير دليل على ذلك ، إذ يقول : " قد (يوصف بالمصادر) كما يوصف بالمشتقات فيقال رجل فضل (ورجل عدل) كما يقال رجل فاضل وعادل ... فهذه المصادر كلها كما وصف بها

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ – ١٥٤ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للمبالغة ... وقالوا رجل عدل ورضى وفضل كأنه لكثرة عدله والرضى عنه وفضله جعلوه نفس العدل والرضى والفضل ، ويجوز أن يكونوا وضعوا المصدر موضع اسم الفاعل اتساعا . " [١]

تعدد العلل واختلاف النحاة في التعليل .

واتضح له أن بعض آراء النحاة وأحكامهم كانت وراء تعدد العلل التي أسهمت وبشكل كبير في صنع تلك الأوهام النحوية التي أنبأت عن قصور في فهم بعض المسائل النحوية وعن عدم تعمق في فلسفة النحو العربي وعلاقته بالنص اللغوي العربي الذي لا يكون نصا لغويا سليما بغير نحو ودون قواعد تنتظمه وتجعله فصيحا سليما بليغا ذا معنى وتأثير وجمال . ولذلك وجدناه يقدم بعض الآراء التي تسعفه في التوصل إلى ما يسهم في الانطلاق في فهم النحو انطلاقا فيه فلسفة وفكر معمق مبني على التعلم والحاجة والتحليل الصائب والتعليل غير الجدلي والعلة القريبة التفسير والحمل على البيان والتوضيح والإعراب السائغ . ومن تلك الآراء نجده يقدم رأي ابن مضاء القرطبي الذي يقول فيه " لا يصل أحد من (علم النحو) إلى ما يحتاج إليه حتى يتعلم ما لا يحتاج إليه " [٢]

كما وجدناه [٣] يورد قولة الفارسي في الرماني المولع بالتعليل الجدلي والعلة النحوية : " إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان النحو ما نقوله

---

[١] ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج٣ ، مرجع سابق ، ص ٥٠ .

[٢] القرطبي ، ابن مضاء ، مقدمة كتاب الرد على النحاة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ص ٨٢ ــ٨٣

[٣] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فليس معه شيء ... " [١]، ثم يقتدي عباس حسن بابن مضاء القرطبي ويأمل أن تكون آراؤه حافزا إلى تدارك الداء ، والمبادرة إلى علاجه بوضع النحو الموحد المصفى ، " ثم تنقيته من العلل الثـــواني ، والثوالث ، وما يليها ؛ فلا نستبقي من العلل إلا الأوائل ، وما يشبهها ؛ مما لا يدعو إلى تأويل ، أو تمحل ؛ أو تعدد في الوجوه الإعرابية ... مهملين ما عداها من العلل التي أعلت النحو ، وأضـــاعت الجهد والوقت في عبث لفظي ، لا غناء فيه ... " [٢]

وعندما اختلف الكوفيون في جواز تقديم التمييز إذا كان العامل فيه فعـــلا متصرفـــا نحو : (تصبب زيد عرقا) ، ذهب بعضهم إلى جوازه ووافقهم على ذلك أبو عثمان المازني وأبو العبـــاس المبرد من البصريين . وذهب أكثر البصريين إلى أنه لا يجوز . واحتج الكوفيون على جواز التقـــديم بالنقل وبالقياس .

واحتج البصريون بقولهم : إنما قلنا إنه لا يجوز تقديمه على العامل فيه ، وذلك لأنـــه هـــو الفاعل في المعنى ، ألا ترى أنك إذا قلت : (تصبب زيد عرقا) أن المتصبب هو العرق ، لم يكن لـــه حظ في الفعل من جهة المعنى ، فلما كان هـــو الفاعـــل في المعنى لـــم يجـــز تقديمه كما لو كـــان فاعلا لفظا .

أما القياس فإنه يجيز تقديم التمييز على العامل لأن التمييز في المعنى فاعل ، والفاعل لا يجوز تقديمـــه على الفعل ، وإذا جاز ترك جواز التقديم هناك لدليل ، جاز تركه هاهنا لدليل . وهذا ما

---

[١] السيوطي ، جلال الدين ، بغية الوعاة ، ص ٣٤٤ .

[٢] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ،١٩٥ – ١٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذهب إليه بعض الكوفيين ومن معهم من البصريين ، وهو عند ابن الأنباري صحيح في كتابه (الإنصاف)[١] ، إذ بين عباس حسن أن مثل هذه المسائل وتعدد العلل فيها يبعث على تعقيد النحو وقواعده وتعلمه وتعليمه .

العلل النحوية:

العامل ونوعه وهيئته وموضعه

وأوائل العلل أو ما يشبهها يتوقف على العامل ونوعه وهيئته وبنيته ، مع الأخذ بعين الاعتبار أفي موضعه الواجب هو أم جاء متقدما أم إنه متأخر عن معموله ؟ لأن " وجود هذا العامل يسهل على المتكلم والكاتب الاهتداء إلى الحركة المطلوبة والضبط الصحيح فيما يقع بعدهما ، وكأن هذا العامل أمارة قاطعة على المطلوب ، ورائد لا يضلل . أما العامل (المتكلم) فلن يعرف ضبط أواخر الكلمات وما يتصل بها ، وما ينشأ عن تصرفها إلا إذا كان عربيا أصيلا ؛ ينطق اللغة العربية بفطرته ... "[٢] ويرى عباس حسن في هذين الأمرين أنهما إن توافرا سيسهمان في إصلاح النحو وتيسيره في المسائل المتعلقة بالعامل وما ينشأ عنها من مشكلات أو معيقات تقف حائلا أمام تعلمه وتطبيقه وفهمه . إذ يرى أنه لا مفر من تطهير النحو العربي من تعدد العوامل للمعمول الواحد إن اتجهت الإرادة نحو إصلاح اللغة العربية والنحو العربي وتيسيرهما .

---

[١] الأنباري ، كمال الدين أبي البركات ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ١١٣ – ١١٦ .

[٢] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذا لم يفرق النحاة بين العامل اللفظي الذي يتضمن معنى الفعل بحروف الفعل ، والعامل المعنوي " الذي يتضمن معنى الفعل دون حروف الفعل كألفاظ الإشارة ، والاستفهام وأحرف التمني والتشبيه .... "[١]

وأشار عباس حسن إلى أن بعض النحاة " يستثني من العامل الذي يتضمن معنى الفعل دون حروفه ، شبه الجملة بنوعيه (الظرف والجار مع مجروره) "[٢] وأورد مسألة من مسائل النحو للاستدلال بها على وجه التيسير الذي أراده ، فأخذ برأي النحاة الذين أجازوا مثل هذا العامل وأجازوا تأثيره في معموله ، سواء أتقدم العامل على المعمول أو تأخر ، ومثال ذلك عندما أجاز النحاة تقدم الحال على العامل الظرف أو تأخره عنه ، أو عندما أجازوا تقدم الحال أو تأخره على الجار ومجروره أو تأخره عنهما ، نحو : (الحارس عند الباب واقفا) .

الحذف والتأويل والتخريج والتقدير

ويرى عباس حسن أن لا مفر من تطهير النحو العربي من تعدد العوامل للمعمول الواحد إن اتجهت الإرادة نحو إصلاح اللغة العربية والنحو العربي وتيسيرهما ." والوسيلة الصحيحة لذلك أن ندع كل تأويل ، وتخريج ... ، وأن نجري في الأمور على ظواهر الألفاظ الصحيحة الصادرة عمن يصح الاحتجاج والاستشهاد بكلامه ، كما رويت ونقلت إلينا ، ونبيح القياس عليها ومحاكاتها ، ونغير من أصول القواعد النحوية ما يحرم هذا أو يعارضه ؛

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٢٩ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٣٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتسلم الألفاظ والأساليب القديمة بغير حاجة إلى تخيل وتوهم ، ويتسع مجال التعبير أمامنا لمحاكاتها من غير كلفة ، ولا معاناة ، ولا طول دراسة صناعية للمشكلات الجدلية النحوية ... "[١]

كما دعا عباس حسن إلى تفحص التأويلات والتقديرات والتعليلات التي أصدرها النحاة للوصول إلى الإعراب الذي يرونه مناسبا ، إلى أن بلغ به الأمر أن ينظر في الآراء المختلفة ليبين عن العسير منها ، بغية وضع البديل اليسير محله . ومثال ذلك ما ورد في باب العطف ومسألة العطف بالواو التي يرى الكوفيون أن من خصائصها أنها تقع زائدة ، كالواو الواردة في قوله تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم) .[٢] في الحين الذي يرى فيه البصريون هذه الواو بأنها عاطفة أصلية وجواب (إذا) و (لما) محذوف .وهذا تأويل غير مقبول ، ولكن التأويل العسير ، فإنه في قول الشاعر :

ولقد رمقتك في المجالس كلها فإذا وأنت تعين من يبغيني

فالأصل في النص الذي لا يحتمل التأويل أن يقول الشاعر : (فإذا أنت ...) فالعسر ناتج عن هذه التأويلات التي يرى عباس حسن أنه لا داعي لها ، وبذلك فإن " مذهب الكوفيين أوضح وأقل تعسفا ، والأخذ به هنا أيسر ، لكن الأفضل التخفف من الزائدة قدر الاستطاعة ، والبعد عن استعمالها ؛ فرارا من اللبس ، ومن التأويل بغير داع ."[٣]

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ٢١٥ــ٢١٦

[٢] القرآن الكريم ، سورة الزمر ، آية ٧٣ .

[٣] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٣ ، مرجع سابق ، ص ٤٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طرائق الإعراب وتعدده

وقف عباس حسن على نوعي الإعراب في النحو العربي ، وأبدى آراءه في تيسير كل منهما على متعلم النحو والعربية ، وهذان النوعان هما : –

١ – الإعراب التقديري : أما الإعراب التقديري ، فإنه مسألة مهمة تضع بعض متعلمي العربية والنحو العربي في اضطراب عند إعراب بعض الكلمات مما يؤدي إلى إشكال الإعراب وعدم وضوحه لدى المتعلم ، والأصل أن " تقدر الحركات الثلاثة جوازا على الحرف الأخير من الكلمة ، إذا سكن للتخفيف : كتسكين الحروف الآتية في الكلام ، نثره ونظمه ، وفي بعض القراءات القرآنية . فقد سكنت الهمزة المكسورة في قوله تعالى : (فتوبوا إلى بارئْكم) ... وسكنت السين المضمومة في قوله تعالى : (قالت لهم رسْلهم . ... وسكنت الراء المضمومة في قوله تعالى : (إن الله يأمركمْ أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) ... ومن التيسير أن نقول في كل كلمة من الكلمات السابقة وأشباهها : إنها مرفوعة ، أو منصوبة ، أو مجرورة ، بالعلامة الأصلية وسكنت للتخفيف . "[١]

وفي السياق نفسه ، يرى عباس حسن أنه لا داعي للتقديرات في بناء الفعل الماضي على السكون في آخره إذا اتصلت به التاء المتحركة أو نون النسوة ، أو في بنائه على الضم في آخره إذا

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اتصلت به واو الجماعة ، إذ التيسير في تعليم هذه المسألة يكون بالأخذ بالرأي القائل بأنه مبني على السكون مباشرة في الحالة الأولى ، وعلى الضم في الحالة الثانية . [١]

ودعا عباس حسن إلى إعراب فعل الأمر الـــذي اتصلت به نون التوكيد اتصالا مباشـــرا ، نحو : أشكرن من أحسن إليك ، بأنه فعل أمر مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد ، وذلك أيسر وأوضح وأوجز من إعرابه بأنه فعل أمر مبني على السكون المقدرة التي منع من ظهورهـــا الفتحـــة الآتية لمناسبة النون .[٢]

وقبل ذلك كان الدكتـــور شوقي ضيف الـــذي استضاء بآراء ابن مضاء القرطبي في كتابه (الرد على النحاة) قد دعا في كتابه (تجديد النحو) " إلى إلغاء الإعراب التقديري في المفـــردات مقصورة ومنقوصة ومضافة إلى ياء المتكلم ومبنية . ورأى أيضا " إلغاء الإعراب المحلـــي في الجمـــل بحيث لا يقال مثلا : الجملة خبر محلها الرفع بل يُكتفى بالقول إن الجملة خبر ومثلها جملـــة النعـــت وجملة الحال وجملة الصلة وجملة جواب الشرط . "[٣]

٢ – الإعراب التفصيلي : وتحقيقا للتيسير والتخفيف والاختصار على متعلم اللغة والنحـــو يـــرى عباس حسن أن هناك إمكانية للتعرف على الأوجه الإعرابيـــة بجملتـــها دون احتمـــال العنـــاء في الإعراب التفصيلي لكـــل حالة ، وأنه يكفي الأخذ بالإعراب الأسهل والأبسط ، إذ الغرض مـــن

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ٩٣، بتصرف .
[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٩ ، بتصرف .
[٣] ضيف ، شوقي ، تجديد النحو ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٢ ، ص ٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإعراب التفصيلي هو سلامة النطق ، وصحة الضبط المؤدي إلى صحة المعنى المراد ، وهذا لا يتحقق إلا بمعرفة القواعد الإجمالية والاقتصار عليها .[١]

البناء والإعراب

أما في المسائل النحوية التي تلمس النحاة فيها أسبابا للبناء وأسبابا للإعراب ، فقد وجد عباس حسن أن أكثرها غير مقبول في رأيه فدعا إلى نبذها ، كقولهم في علة بناء الفعل ، وفي علة بنائه مع نون التوكيد أو نون النسوة ، إذ هما من خصائص الأفعال ، وإذا وجدت إحداهما في الفعل أبعدته عن مشابهة الاسم المقتضية للإعراب .[٢] فالمشكلة التي يريد علاجها تتمثل في خلق النحاة عللا يحاولون بها إثبات أصل أو عدول عن أصل بسبب أو لأسباب لا جدوى منها وما هي إلا من قبيل الجدل الذي يبعث على التردد وعدم الاقتناع أحيانا بما يذهبون إليه وبما يرونه ويحكمون به على العلة والمعلول ، كما فعلوا في علل البناء والإعراب التي لم يعرف العرب لها مبررا . ويرى أن التيسير على دارسي النحو لا يتأتى إلا بالرجوع إلى القياس الصحيح الشائع وإلى " السماع عن العرب الأوائل واتباع طريقهم التي نقلت عنهم دون الالتفات إلى شيء من تلك العلل ، التي لا تثبت على التمحيص . "[٣] وهذا يوجب إهمال بعض ما قاله النحاة وعدم الإشارة إليه في تعليم وتعلم النحو العربي .

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ٥٢٣ ، بتصرف .
[٢] المرجع السابق نفسه ، ص٨١ – ٨٢ ، بتصرف .
[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما وجد عباس حسن في مسألة الضمائر ومسألة أسماء الإشارة وغيرهما من الأسماء مثل : (يا كيف .. ، يا هؤلاء ... ، يا كم ... ، يا هذا ...) أن بعض النحاة قد صرحوا بأنها أعلام تنادى بحروف النداء ، وتعرب بضمة ظاهرة أو ما ينوب عنها ، ورأى أن في هذا الإعراب توسعة وتيسيرا محمودين ، " لأنه يجعل حكم المنادى المفرد العلم مطردا ؛ يعم ويشمل صورا كثيرة بغير تفرقة ولا بتشتيت . ومن ثم كان الأخذ به أفضل " [١] مع أن الشائع عند أكثر النحاة والمحققين يدعو إلى واجب إعراب الكلمة المبنية إذا نقلت وجعلت علما لغير ذلك اللفظ ، وبذلك يكون الواجب اعتبارها معربة بعد النقل وقبل مناداتها ، وتناسي البناء السابق ، مع مراعاة هذا الاعتبار عند ندائها ، وذلك لأنها تعامل بموجبه معاملة الأسماء المعربة الأصلية الإعراب .

ورأى عباس حسن أن في هذا تضييقا وتعقيدا ، فدعا إلى التيسير والتوسعة ، بإعرابها مبنية ، ويقصد بذلك " البناء على الضمة أو ما ينوب عنها ، من غير تفرقة بين ما أصله علم قبل النداء أو غير علم ، مبني أو غير مبني ، لأن إدراك هذه التفرقة والوصول إلى معرفتها اليوم عسير كل العسر على جمهرة الناس ففي الاستغناء عنها راحة بغير ضرر . " [٢]

الصرف والمنع من الصرف :

وفي مسألة الاسم المعرب الممنوع من الصرف ، توقف عباس حسن وقفات تحليلية تناول فيها التعليلات الطويلة في عدم تنوينه ، وبين أن تلك التعليلات يرفضها التأمل وتستحق الإهمال في

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٤ ، مرجع سابق ، ص١٥ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الوقت ، وأشار إلى أن ملخص كلام النحاة خيالي ومدفوع بمراعاة القواعد العلميـــة وبتطبيـــق الأسس الفلسفية المنطقية ، وأثبت بأن السبب الحق في تنوين بعض الاسماء وعدم تنوين بعضها الآخر هو أن العرب الفصحاء نطقت بهـــذا منونا ، وبذاك غير منون ، وما فعلـــت ذلـــك إلا بفطرتهـــا وطبيعتها . [١]

إن اختلاف النحاة في مسألة العلم الموازن صيغة منتهى الجموع ـــ مثـــال : (كُـــشاجم ، مكارم) ـــ جعل عباس حسن ينظر في الصواب وفي الأيسر في هذه المـــسألة ، إذ وجـــد أن رأي سيبويه ومن معه من النحويين ببقاء العلم الموازن صيغة منتهى الجموع ممنوعا من الصرف إذا طـــرأ عليه ما يقتضي تنكيره ، وزوال علميته ، ليبقى على صورة الجمعية وشكلها . وعلى ذلك تكون " صيغة منتهى الجموع وما ألحق بها ممنوعة من الصـــرف دائما باطراد ، في جميع حالاتها . حتى الحالة التي تكون فيها علما لمفرد ثم زالت علميته . " [٢] في حين أن فريقا آخر من النحاة يقولون بأنه " لا يمنع من الصرف ، لأنه كان ممنوعا منه للعلمية القائمة مقام الجمعية ، أو للعلمية وشبه العجمة وقـــد زالت علميته . "[٣]

ويقول في مسألة مخالفة العلم للطريقة السائدة : " أما مخالفة العلم للطريقة السائدة في الفعل فتظهر في كلمة مثل : ألبب فإنها على وزن المضارع : أنصر ، أو : اكتب . فإذا صارت علما فإنهـــا لا تمنع من الصرف للعلمية مع وزن الفعل ، لأن المضارع المماثل لها يغلب على عينه ولامه الإدغام

---

[١] بتصرف ، حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص٣٤ .
[٢] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٤ ، مرجع سابق ، ص ١٨٦ .
[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ١٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا كانا من نوع واحد ، مثل :(أعد وأصد) ؛ فأصلهما : أعدد ، وأصدد ، ثم وقع الإدغام . وإذا صار (البب) وما شابهه علما لم يصح منعه من الصرف للعلمية ووزن الفعل ؛ بسبب مخالفته الفعل في الإدغام . وهذا رأي فريق من النحاة ."[١] ويبدو أنه لا يميل إلى إتباع هذا الرأي وإنما يميل إلى رأي سيبويه الذي رأى منع العلم المخالف للطريقة السائدة في الفعل في مثل الصيغ الواردة آنفا من الصرف " لأن الفك (عدم الإدغام) قد يدخل الفعل لزوما كما في التعجب مثل ؛ أشدد بفلان ، وجوازا في مثل : اردد ، ولم يردد ، وفي بعض ألفاظ مسموعة ..."[٢] ورأى أن الأفضل والأنسب والأيسر الاقتصار على رأي سيبويه .[٣]

التعذر والاستثقال

وتوقف عباس حسن أيضا عند مسألة حذف حروف من كلمة وإحلال التنوين محل الحرف المحذوف ، مثل حذف حرف من الحروف الأصلية في بعض الأفعال الثلاثية عند اشتقاق المشتقات الأخرى كاسم الفاعل أو جمع التكسير ، فبين إن الحذف لا يكون إلا لداع قوي ، ومثل لذلك بالأفعال (بقي ، مضى ،...) ، وقال إن التنوين المشاهد في (باق ، ماض ، باك) ما هو إلا تعويض عن الحرف الأصلي المحذوف ، فتكون الكلمة مرفوعة بالضمة على الياء المحذوفة ، ومجرورة بفتحة نائبة عن الكسرة فوق الياء المحذوفة ، ودعا إلى تيسير هذه المسألة بغض النظر عما قاله النحاة لما في قولهم من التواء وصعوبة وتعقيد ، ورأى أن سبب الحذف في (فواعل) وأشباهها هو من "

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٤ ، مرجع سابق ، ص ٢١٥ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢١٥ .

[٣] بتصرف ، المرجع السابق نفسه ، ص ٢١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استعمال العرب ليس غير . فهم يحذفون تلك الياء ؛ رفعا ، وجرا ،إذا وقعت آخر صيغة منتهى الجموع – وما أشبهها – من غير أن يفكروا في قليل أو كثير مما نقلناه عن النحاة ، بل من غير أن يعرفوا عنه شيئا . فلا علينا إن تركنا ذلك المنقول ، واكتفينا بما ذكرنا ؛ مسايرة للعقل ، وتجنبا للوعر الذي لا خير فيه ، بل الخير في استبعاده ونبذه ." [١]

هذا بالإضافة إلى حالة قلب الياء ألفا على الوجه السالف ، وحذف الألف وترك الفتحة قبلها دليلا عليها ، نحو : يا فرح ، وفيها يكون المنادى منصوبا مضافا وياء المتكلم المنقلبة ألفا ، المحذوفة ، هي المضاف إليه ، وكذلك حالة مجيئها بلغة سادسة هي أضعف نظائرها ولا تكاد تخلو من لبس في تبين نوعها ، ومن اضطراب في إعرابها ، وأوجب عباس حسن إهمالها اليوم متبعا في ذلك من أهملها من النحاة القدامى ، ثم أشار إلى حالة مجيئها بلغة بقائها على الفتح بعد فتح ما قبلها ثم قلبها ألفا إذ إن الأيسر والأفصح إعراب المنادى المضاف إلى ياء المتكلم منصوبا بالفتحة الظاهرة " للفرار مما يتكلفه بعض المعربين حين يقولون : إنه منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها الكسرة المنقلبة فتحة لمناسبة الياء المنقلبة ألفاً . وحجتهم أنهم يريدون تسجيل الأطوار كلها ، ولو أدّى الأمر إلى الإطالة . " [٢]

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

[٢] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٤ ، مرجع سابق ، ص ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلل الصرفية

وفي مسألة أخرى رأى عباس حسن أن بعض العلل الصرفية تؤثر على بناء بعض الاسماء ، وبخاصة الاسماء المقصورة ذات الألف اللازمة التي لا تفارقها في أية حالة من حالات إعرابها الثلاثة ، ويكون ذلك التأثير بحذف الألف اللازمة لفظا واعتبارها موجودة تقديرا ، وذلك " لأن المحذوف لعلة كالثابت ؛ وذلك كحذفها عند التنوين في مثل : فتى ، علا ، رضا ؛ فإنها موجودة تقديرا ؛ وهذا معنى قولهم : إن الألف المقصورة موجودة دائما ، إما لفظا وإما تقديرا . وعند الوقف يحذف التنوين – في الشائع – فترجع الألف ، ويكون الإعراب مقدرا عليها . وهذا هو الشائع في الإعراب اليوم ، ولا بأس به بل فيه تيسير .... "[١]

إنابة الحروف عن الحركات الأصلية

استقر رأي النحاة على " أن الحركات الإعرابية وما يتصل بها إنما هي أثر لمؤثر أوجدها ، ولا يتصور العقل وجودها بغيره . متأثرين في هذا بما تقرر في العقائد الدينية ، ومجادلات (علم الكلام) ؛ من أن لكل حادث محدثا ، ولكل موجود موجدا . ولا يصح في الذهن مخلوق بغير خالق ..." [٢]

ونظر عباس حسن في إنابة الحروف عن الحركات الإعرابية الأصلية ، وعد ذلك من اللهجات الضعيفة التي لا يحسن العمل بها اليوم ، كإعراب المقصور الذي تنقلب ألفه ياء عند

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ .

[٢] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إضافته إلى ياء المتكلم ، فيكون معربا بالياء بدل حركات الإعراب التي كانت مقدرة على الألف ، مثال ذلك : (هدى عند إضافتها إلى ياء المتكلم تصبح هديَّ) .[١]

وليس هذا فحسب ، وإنما هناك أمثلة عديدة في مسائل النحو العربي تدعو إلى الأخذ بدعوة عباس حسن إلى التيسير والإيضاح ، كاستعمال اسم الإشارة (ذا) الذي هو الأشهر ويحسن الاقتصار عليه . وكإعراب اسم الإشارة (ذان) واسم الإشارة (تان) إعراب المثنى " بالرغم من أن مفرد كل منهما مبني قبل تثنيته ، والمبني لا يثنى ولا يجمع . " [٢]

" وأما ذان وتان ، واللذان واللتان ، فقيل إنها صيغ وضعت للمثنى ، وليست من المثنى الحقيقي ، ونسب للمحققين ، وعليه ابن الحاجب وأبو حيان . وقيل : إنها مثناة حقيقية ، وأنها لما ثنيت أعربت ، وهو رأي ابن مالك . " [٣]

ووجه التيسير في إعرابهما يتجلى في هذا الرأي الذي يستند فيه النحويون إلى أن " العرب الفصحاء أدخلت عليهما العلامتين الدالتين على التثنية ؛ والإعراب :(وهما : الألف والنون ، والياء والنون) فلا داعي لإغفال الواقع بجعل الكلمتين مبنيتين على الألف رفعا ، وعلى الياء نصبا

---

[١] بتصرف ، حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ٣٠٦ .

[٣] السيوطي ، جلال الدين ، همع الهوامع ، ت عبد السلام هارون ، ١٩٧٥ م ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ص ١٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجرا ، كما يرى فريق آخر من النحاة ؛ لأن الأخذ برأيه يبعدنا من مراعاة الظاهر السهل الـــذي يناسبنا اليوم ... " [١]

ولما ورد عند العرب العلم المختوم بالياء والنون ، مثل (محمـــدين) ، فالأحـــسن إعرابـــه إعراب المفرد ، والاقتصار على لفظه بالحركات في الرفع والنصب والجـــر ، " ليـــسره ومطابقتـــه للواقع الحقيقي ... وهناك سبب هام يقتضي الاقتصار على هذا الرأي في العلـــم المختـــوم باليـــاء والنون هو : (المعاملات الرسمية) الجارية في عصرنا على الوجه المبين عند الكلام علـــى التـــسمية بالمثنى ... والقصد من سرد الآراء التي تخالف هذا الأحسن والأيسر فهم النصوص القديمة الواردة بها ، دون أن نبيح اليوم استعمالها ؛ ومن الإساءة للغتنا أن نفـــتح الأبـــواب المؤديـــة إلى البلبلـــة والاضطراب فيما ننشئه مـــن كلام ، وإلى التعسير من غيـــر داع ، فيمـــا نمارسه مـــن شـــؤون الحياة . "[٢]

الإضمار والإظهار

تناول عباس حسن ثلاثة أنواع من الضمائر التي لا بد من التيسير والتسهيل في اســـتعمالها وتعلمها في اللغة والنحو العربي، وهي: –

أ– الضمير المنفصل المستتر

ب– الضمير المنفصل الظاهر

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ٣٠٦ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٤–١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ت- الضمير المتصل الظاهر

ورأى أن الأوضح والأيسر في تحقيق مهمة الضمير في الكلام العربي الذي يحتاج إلى نوع من الضمير يوجب اختيار الضمير المتصل ، وتفضيله على المنفصل الذي يفيد فائدته ويدل دلالتـــه ؛ لأن المتصل أكثر اختصارا في تكوينه وصيغته ، لما في ذلك من الفوائـــد في ســـهولة التركيـــب ، ووضوح التعبير ، ولأن النحاة متفقون على أن " الأصل العام الذي يجب مراعاتـــه عنـــد الحاجـــة للضمير هو : اختيار المتصـــل وتفضيله ما دام ذلك في الاستطاعة ، ولا يجـــوز العـــدول عنـــه إلى المنفصل ، إلا لسبـــب ."[١]

ومن باب التيسير والتخفيف ، يرى عباس حسن أن مراعاة الأمر الواقع واعتبار الضمير (هاء) الغائب بنوعيه المذكر والمؤنث ، والضمائر التي لا تقتصر على نفسها وفي آخـــــرها زيـــادة لازمة ، مثل : (إياك ، إياكما ...) كلا متكاملا غير مجزأة فيعرب الواحد منها إعرابا واحدا وكأنه كلمة واحدة ، وبذلك يتحقق الاختصار في الإعراب ، وتجنيب اللغـــة مـــا يـــسيء إلى ســـلامتها وفصاحتها .[٢]

وبحثا عن تيسير إعراب ضمير الفصل ، فقد أشار عباس حسن إلى أن أيسر إعراب وأنسبه أن لا يعتبر ضمير الفصل ضميرا ، وإنما يعتبر (حرف الفصل) ولا عمل له ، أو أن يعرب الاســـم الذي بعده على حسب حاجة ما قبله دون النظر والاعتبار إلى حرف الفصل الموجـــود ، فيجـــري

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ٢٥١ .

[٢] بتصرف ، المرجع السابق نفسه ، ص ٢٢١ -٢٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإعراب على ما قبل حرف الفصل وما بعده من غير التفات إليه . وذلك للتخلص من التقسيم المرهق والتفصيل العنيف الذي يردده أصحاب الآراء الجدلية .[١]

وفي صورة أخرى بين أن " الأحسن اعتبار (إيا) ومعها علامة الخطاب التي بعدها ، هما الضمير المنصوب ، ولا داعي لاعتبار الضمير هو (إيا) واعتبار ما بعده حرف خطاب . " [٢]

اللبس والغموض في التعبير

ولما تعمق عباس حسن في المشكلات التي أدت إلى تعقيد النحو ، تبين له أن ذلك التعقيد قد تجاوز المسائل النحوية إلى الأساليب البيانية فأفسدها ، لما يحمله ذلك التعقيد من خطورة التحكم الضار في فنون القول الأدبي ، ويعزو ذلك التعقيد إلى تعدد الآراء والأحكام في العامل النحوي الذي تعدد في بعض صور القول أو حذف منها ، وفي الحالين كان عرضة للتأويل ، إذ " تعرض الكلام قديمه وحديثه لقسوة حكمهم ؛ ولاقى الشعراء والكتاب وغيرهم عنتا في إرضائهم ، وإنقاذ الألفاظ والأساليب من تجريحهم . فلم يكن الأمر – إذا – مجرد تعليل أجوف . بل امتد أثره إلى النواحي العملية الواقعية ، وكان من ثماره المرة التحكم القاسي في صحة الألفاظ والأساليب وعدم صحتها ، وتضييق مجال التعبير . " [٣] فرأى عباس حسن أن التيسير ينبع في هذا الحال من فلسفة ومن ضرورة تناسب المتعلمين في العصر الحاضر ، مستفيدين من أيسر الآراء والأحكام التي جاء بها

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ١٣١ – ١٣٢ .

[٢] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٤ ، مرجع سابق ، ص ١١٤ .

[٣] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النحاة وهم يستندون فيها إلى تحكيم المنطق والعقل في نظم القول على القواعد النحوية الميسرة التي لا تعرف التعقيد بقدر ما تجعل ذلك القول واضحا ومفهومـــا ومعبـــرا

وبين عباس حسن أن الشواهد والأدلة كثيرة وتنطـــق " بأوضـــح بيـــان بمـــا أصـــاب اللغة (ضبطا ، ومبنى ، وأسلوبا) في صميمها من إساءات بالغـــة بـــسبب إخـــضاعها للعلـــل والتعلات ، واستبداد هذه بتلك ، ولا شفاء لها مما أصابها إلا بإهدار (التعليلات) وإزاحتها عـــن صدرها بعد أن أوسعت الخلاف وعددت الآراء ، توسيعا وتعديدا ليس مصدرهما لهجات العـــرب التي سبق الكلام عليها ، وإنما مصدره المجادلات الزائفة ، والمماحكات اللفظية ، فاشتد بها الـــداء . اللهم إلا التعليلات التنظيرية . "[١]

لقد كانت دعوة عباس حسن إلى التيسير تستند إلى الحجة والبرهان في كل مسألة من هذه المسائل النحوية ، لعله يسهم في تيسير النحو وتوضيحه وإصلاح معوجه وبسطه بين يدي المـــتعلمين بأبسط الصور وأسهلها ، لتستقيم عندهم اللغة تحدثا ولفظا واستماعا وقراءة وكتابة وتفكيرا . ولما تبينت له تفصيلات هذا الموضوع وفي كل جوانبه ، دعا إلى إعادة درس النحـــو ، والعمـــل علـــى معالجة مشكلات النحو وآفاته ونقاط الضعف والتعقيد فيه . ليكون الكلام الملفـــوظ أو المكتـــوب متوافرا على المزايا والخصائص اللغوية والنحوية والأدبية التالية :-

أ- صحة التركيب اللغوي وسلامته وفصاحته .

---

[١] حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ -١٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب _صحة التعبير اللغوي وسلامته وبيانه وبلاغته .

ج _صحة المستوى النحوي والصرفي في التعبير اللغوي .

د– صحة المعنى واتساق اللفظ مع المعنى .

فقد أراد عباس حسن أن يكون النص القرآني هو المصدر اللغوي الأقوى والأسمى في مراجعة النحو وأحكامه وقواعده ، لوضعه بما فيه المناسبة والتسهيل والتيسير ، وفيما بعد يأتي المصدر الثاني وهو الكلام العربي الذي جمعه اللغويون والنحاة ودونوه ليحتجوا به وليتخذوه مصدرا ملهما وفاتحا لهذا العلم الجديد علم النحو العربي .

وبعد ، فإن عباس حسن قد انطلق في دعوته إلى تيسير النحو وإصلاحه من معنى التيسير الدال على التبسيط والتجديد بأساليب تسهل على متعلم اللغة والنحو وتبسط أمامه السبل لامتلاك المهارات اللغوية التي تتماشى مع قواعد وأحكام لا تعقيد فيها ولا صعوبات تحول دون فهم محتوياتها ومسوغاتها على جميع المستويات اللغوية وعلى جميع مستويات القواعد والأحكام .

وبناء عليه ، فإنه يمكن القول إن عباس حسن كان يستخدم في تحقيق تلك الغايات والأهداف عدة أساليب وطرائق كان من أهمها الأسلوب التعليمي الذي يعرض به الموضوع أو الباب النحوي وما ينضوي تحته من مسائل لغوية ونحوية وصرفية ، فيأخذها مسألة مسألة ، ثم يجزئ المسألة إلى وحدات صغرى ، فيعرض الآراء في إعراب مفردات التعبير والتراكيب اللغوية رأيا رأيا ، ويبين أحكام النحاة فيها ، وكأنه يبحث عن الرأي السديد والحكم الأنسب فيناقشه ويبدي رأيه فيه مستعينا بعلوم اللغة الأخرى وبعلم الصرف الذي لا يفترق عن ملازمة علم النحو في جميع أبواب النحو وموضوعاته ، ومستعينا بكلام العرب القديم والحديث ليأخذه حجة يحتج بها ودليلا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يستدل به على صواب رأي أو صدق حكم ، أو بيان خطأ رأي أو فساد حكم ، بحيث يستطيع من ذلك الخلوص إلى موازنة بين الآراء أو بين الأحكام ، تقوده إلى التوصل إلى الحالة السهلة البسيطة الميسرة في تلك المسألة النحوية ، وإن اشتملت على نادر أو شاذ ، مسموع أو يمكن القياس عليه ، ولطالما اعتمد عباس حسن على المقيس إن وجد دون عناء ، وعلى المسموع من كلام العرب على اعتبار أن المسموع يؤخذ به دون النظر إلى القياس على اللغة السابقة فيه ، ومع النظر إلى القياس على اللغة الحاضرة المتداولة على الألسنة والأقلام في الوقت الحاضر .

ولذلك وجدنا أن عباس حسن يدعو إلى التحرر من كثير من الآراء والأحكام وبخاصة تلك التي لا يستريح العقل لها ولا تبعث على قبول العلة أو المسوغ المبني على التحليل المضطرب ، أو تبعث على الخلاف بين الأحكام والآراء وإثارة الجدل الذي لا نفع فيه ولا فائدة ، إذ غالبا ما وجدناه يناقش الإعراب السابق بالاستناد إلى القاعدة النحوية ويحاول إعادة صياغتها بما يتناسب مع الأفهام والعقول الحاضرة ، باحثا في آراء جمهرة النحاة وأحكامهم ، أو في آراء الكوفيين وأحكامهم ، أو آراء البصريين وأحكامهم ليجري المقابلة بين الآراء والأحكام ، فيخرج بعدئذ برأي مقنع يسير سهل لا يستعصي على الأفهام والعقول في مختلف المراحل العمرية للمتعلم أو الباحث في باب من أبواب النحو العربي .

وتجدر الإشارة إلى أنه كان يميل إلى التحليل والشرح المبني على الأمثلة ذات التراكيب البسيطة غير المعقدة ، وسواء أكانت واردة في مصنفات ومؤلفات النحاة أم كانت من نسجه واختياره وتركيبه ، ليتمكن من الاحتجاج بها والاستدلال بها على ما فيه تسهيل وتيسير واستحسان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا بد من القول في المحصلة بأن عباس حسن لم يتعصب لرأي أو لحكم لأحد من النحاة أو لفريق منهم ، كما لم يتشبث أو يتعصب لرأي من آرائه هو أو لحكم صدر به في شأن قاعدة أو مثل أو مسألة نحوية كانت أو لغوية أو صرفية ، مما يقودنا إلى القول بأنه كان موضوعي البحث والدرس لا يهدف إلا إلى إظهار النحو العربي بأفضل الصور وأيسرها ، وإلى تهذيب النحو وإصلاحه وتخليصه من الشوائب والأدران والآفات ومواطن الضعف التي تجعله صعب الفهم والإدراك وعسير التطبيق والتوظيف وبعيد المنال في تعلمه وتعليمه ، ولذلك كانت دعوته مبنية على فكر لغوي وفكر نحوي وفلسفة تربوية اجتماعية يقصد من ورائها حماية اللغة العربية في نحوها وصرفها وفي تعليمها وتعلمها على كافة المستويات الاستعمالية التداولية في التراث والثقافة والحضارة العربية والإسلامية ، وكأني به يحمل رسالة في هذا الموضوع مثل الرسائل التي حملها علماء العرب والعربية ممن سبقوه أو ممن عاصروه ، ليرثها من سيأتي من بعده ، فيسيروا على الدرب الذي سار عليه الأوائل وتبقى العربية التي حفظ القرآن الكريم بها وحفظت به فامتلكت القداسة من قداسته ، وحماها باقون بقاءها وبقاء القرآن الكريم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السادس

منهجه في التأليف النحوي والبحث اللغوي

اضطلع عباس حسن بمهمة شاقة في رأي البعض ، وسهلة في رأي بعض آخر ، وهذه المهمة تتعلق باللغة العربية وعلومها ، وكان اضطلاعه بها منذ أن كان طالبا على مقاعد الدراسة ، وتزايد الأمر عندما صار معلما ومن بعد أستاذا ورئيسا لقسم اللغة العربية في المعاهد والجامعات ، وتجلى هذا الاضطلاع بهذه المهمة في توجهه نحو البحث والدرس اللغوي والنحوي في العربية وعلومها ، إلى أن أوجد على أرض الواقع أبحاثا ومؤلفات وضعها بين يدي المتعلم والمعلم والباحث ، فوصفه من تحدثوا عنه بأنه ذو شخصية تفردت بالبحث النحوي واللغوي تدريسا وتأليفا ، ووصفوه أيضا بأنه الأستاذ النحوي الضليع ، الذي ألف في النحو تأليفا محببا إلى النفوس ، فكان لطيف الإبانة ، قوي الإقناع ، فصيح الحجة ، جنب النحو الشوائب والعيوب والأدران والأوهام والعلل الزائفة ما استطاع إلى ذلك سبيلا ،فتميز بطبع الباحث اللغوي النحوي ، البعيد عن التطبع والتكلف في البحث والدراسة ، مما جعل نهجه يتصف بهذه الصفات من اللطف والقوة والنصاعة . [١]

ودعاه عمله في البحث والتأليف إلى أن يكون سائرا على نهج واضح مبين ، تحقيقا لأهدافه، وتيسيرا على المتعلمين وتسهيلا عليهم في تعلم اللغة والنحو بمنهج يسهم في تحقيق غاياتهم

---

[١] عمار ، أحمد ، . كلمة بعنوان (الأستاذ عباس حسن) . مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة . مج ٤ (ع٢٢) : ص ١٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنشودة ، فجاء منهجه مبنيا على أهداف يراد تحقيقها ، وعلى خطة ذات خطـــوات وإجـــراءات متتابعة منتظمة متواصلة.

ولطالما تداخلت الأهداف عنده مع إجراءات الخطة وخطواتها ، مما صور الأهداف وكأنهـــا من أسس خطته أو كأنها من خطواتها وإجراءاتها ، ومن ذلك ما قام به من أعمال تذلل اللغـــة ، أو تختصر قاعدة ، أو توضح طريقة تدريس من طرائق تدريس اللغة والنحو والبلاغـــة والبيـــان ، أو تساعده على التخلص من علة زائفة أو خلاف ضار بالنحو، أو تجمع مزايا أحكام أو آراء مقبولـــة صحيحة . وما كان ذلك إلا محاولات اتسمت بالهادفة القوية المؤدية إلى ما لمسناه وما تبين لنا مـــن نتائج تمخضت عنها أبحاثه ودراساته.

لقد كان لعباس حسن منهج عام في الدراسات النحوية واللغوية والنقدية والتأليف فيهـــا ، ومنهج خاص مشتق من المنهج العام ، سار عليه في كل بحث من أبحاثه ، ومن ذلك منهجه الخـــاص في كتابه (النحو الوافي) الذي أشار في جزء من إجراءات تأليفه إلى العمليـــة المنهجيـــة بـــشقيها النظري والتطبيقي ، إذ قال : " وأطلت الوقوف عند هذه وتلك أديم النظر وأجيل الفكر واعتصر أطيب ما فيهما حتى انتهيت إلى خطة جديدة تجمع مزاياهما وتسلم من شوائبهما ، وقمـــت علـــى تحقيقها في هذا الكتاب متأنيا صبورا ، ولا أدري مبلغ توفيقي ولكن الذي أدريه أنني لم أدخر جهدا ولا إخلاصا . " [١]

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج١، مرجع سابق ، ص ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تميز منهجه بمميزات تفرد بها عن غيره من اللغويين والنحاة المعاصـــرين ، ولعـــل أولى مميزات منهجه وخصائصه ميزة المنهج المعتمد على نظرية البحث والتأليف ، تلك النظرية التي تجمع بين المستوى النظري والمستـــوى التطبيقي للمنهج ، ولذلك وجدناه يضع خطة البحث والتـــأليف أولا ، ثم يقوم بتجميع مادة النحو كله وما يتصل به من الصرف ، أو تجميع مادة اللغة والدراسات والمؤلفات المتعلقة بموضوعه ، لتكون المادة المعرفية والعلمية متوافرة بين يديه لتبويبـــها وتـــصنيفها وترتيبها وتحليلها ووصفها وإصدار الحكم أو الرأي الذي يراه في شأنها . كما تميز منهجه التكاملي الذي يجمع بين عناصر متعددة من مناهج البحث المختلفة كالمنهج الوصفي أو منهج تحليل المحتـــوى أو المنهج الاستقصائي أو المنهج الاستقرائي أو المنهج التاريخي ... إلخ ، ولذلك ، كان يجمع كلَّ ما يتعلق بالمسألة الواحدة ، ويرتب ما جمعه ويصنفه ، ومن ثم يقسم كل مسألة قسمين :

١- قسم موجز دقيق يناسب طلاب الجامعات من تخصصات الدراسات اللغويـــة، ويلـــبي احتياجاتهم السليمة بصورة منهجية. ويتركـــز هذا القسم علـــى بيـــان أول المـــسألة وصدرها .

٢- قسم يأتي بعد كل مسألة بعنوان مستقل هو (زيادة وتفصيل) وهذا مخصص للأساتذة والمختصين... يتعلق ببداية المسألة وتقديم المادة النحوية أو الصرفية الصالحة للطالـــب أولا ، والموائمة لقدرته ولمنهجه ولدرجته في التحصيل والفهـــم مـــع تـــوخي الدقـــة والإحكام فيما يقدم له نوعا ومقدارا ثانيا.

وفي كلا القسمين يعرض جوانب المسألة بتفصيل ودقة، إلا أن القسم الأول منـــهما كـــان يضمنه السهل اليسير من المعارف والمعلومات والقواعد والآراء والأحكـــام، بالإضـــافة إلى بيـــان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشوائب والأوهام والعلل الزائفة والخلافات بين النحويين ، وتسجيل سمات المسألة تسجيلا يكفل شرحها وتوضيحها والوقوف على جزئياتها .

أما في القسم الثاني منهما ، فيورد ما تعقد من جوانب المسألة اللغوية أو النقدية ، فيعيد وصفها بأسلوب ينم عن أوجه التعقيد بمثل ما ينم عن أوجه العلو في مستواها المعرفي والعلمي ، فيضيف إلى ما سبق من القواعد والآراء والأحكام والتحليل والتفسير ما فيه زيادة وتفصيل مفيد للخاصة من المتعلمين أو الباحثين .

وتميز منهج عباس حسن أيضا بالتركيز على اللغة المستعملة في المرجع القديم والكتاب الحديث ليبني لغة مؤلفاته معتنيا بها أكمل العناية من حيث الوضوح ، وصدق الأحكام والبسط والاسترسال دون تعقيد أو غموض أو حشو أو فضول ، مع عدم الاعتراض أو المخالفة إلا بعد الاحتراز والحذر والحرص على الإبقاء على ما ورد في الشواهد والأدلة بأساليب القدامى وتعبيراتهم ، وقد تجلى ذلك في خطوتين منهجيتين ، هما :

١- العناية باللغة في مؤلفاته تعبيرا وتركيبا وأسلوبا .

٢- عدم التفكير في تغيير الاصطلاحات العلمية المأثورة .

ولقد قادته أعماله إلى الاقتناع بمؤلفات القدماء بما فيها من مادة لغوية تشتمل على الاصطلاحات العلمية التي يتم تركيبها بإجماع المختصين والمشتغلين بها ، إذ اشترط المؤلفون السابقون شروطا لتغيير المصطلح أو تركيبه ، فأفاد منها عباس حسن ، مما دعاه إلى وضع مؤلفاته بلغة أكثر تيسيرا ووضوحا وبيانا من أولئك القدامى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعليه، فقد كان عباس حسن يستخدم المصطلحات النحوية كما وردت عند النحـــاة دون تغيير أو تعديل مع إيضاح المقصود بالمصطلح العلمي إذا استدعى الأمر ذلك . وكـــذلك الـــشأن بالنسبة للقاعدة النحوية التي يرى صحتهـــا وصوابها وتطابقها مع المـــصطلح العلمـــي والقاعـــدة النحوية .

وتطلب منهجه الوقوف على الأمثلة والنماذج، واختيار الأمثلة الواضحة الـــتي تـــسعفه في بيان القاعدة ، أو فائدة الشاهد ، وكشف الأمثلة الغامضة منها ، وتوضـــيحها بقـــصد تيـــسيرها. فكانت إشاراته إلى النافع المفيد ، وكانت إشاراته إلى الغث منه بتجنبه وعدم استعماله ، وقد جـــاء ذلك عنده في عدة مظاهر ، نذكر منها :

١- دراسة المثل أو النموذج لغة واستعمالا .

٢- تبسيط المعقد من النماذج والأمثلة

٣- دعوة المعلمين إلى اللجوء إلى التطبيق النحوي باستعمال الـــشواهد والأمثلـــة المناسبة للعصر والمناسبة للبحث .

٤- مقابلة الشواهد والأمثلة القديمة بما يوازنها من الشواهد الحديثة الـــتي تحقـــق الهدف وتيسره تجنـــبا لخطورة الشواهد القديمة المعقدة ، وتقريبـــا للـــهجات العربية ، فيقرب بذلك فهم النصوص القديمة ، ويقرب صوغ أدب حديث فيه من البيان والروعة والأسلوب ما يجعل اللغة العربية محببة إلى النفوس وسهلة في تناولها ودرسها وتطبيق قواعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد اعتمد عباس حسن على كثير من الآراء النحوية التي أبداها النحاة باتفاق أو بخلاف ، وفي الغالب كان يميل إلى الرأي الأوفى ، وهو رأي جمهرة النحاة ، كاعتماده في الاسماء الستة على آراء الجمهرة من النحاة .

وغالبا ما سعى عباس حسن إلى الوقوف على العلل النحوية الزائفة التي تعلل بها النحاة وتركبت عليها آراؤهم ، فجاءت في معظمها ضارة معقدة للمسألة اللغوية ، محاولا بعد البيان تجنبها والدعوة إلى إهمالها وإغفالها مبينا الأسباب الداعية إلى فراره منها ، نحو اهتمامه بالنطق العربي المسموع والمقيس الذي اتخذ منه قاعدة في معالجة الشواهد والأمثلة الواردة ، ومراعيا ما يمكن أن يستعمل منها دون أن يكون للعلل عيب أو فساد في وضع اللغة وقواعدها على منهج صحيح يجعلها تُبقي على فصاحتها وصحتها كما يجعلها تأتي بأساليب بعيدة عن التأويل أو التعقيد ، فكان دوره يتركز على الأخذ بالآراء والعلل المستحسنة المبنية على الاتفاق بين النحاة نابذا بذلك أي خلاف كان بينهم . فلم يتعصب لرأي ، ولم يهمل مسألة بلا تعليل ، ولم يغفل مسألة كثرت التعليلات فيها ، أو كان خلاف النحويين فيها كثيرا أو موسعا ، فجاء موقفه في المسألة الواحدة فرد الوجه أو متعدد الوجوه ،كما جاء فيه تركيز على الميل نحو التفسير والتحليل قبل التعليل وإصدار الحكم مما أسهم في توسعه في جوانب المسألة اللغوية .

ونظرا لتداخل العلل النحوية وتشابكها ، فقد سار في منهجه إلى فصل كل علة على حدة ، وتلمس آثارها ونتائجها ، وجمع ما رآه النحاة في شأنها ، وعكف على تحليلها وتفسير ظواهرها محاولا أن يكون التحليل والتفسير وافيا شافيا ، ومن ثم يستقصي الأسباب الداعية إلى وجود تلك

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلة ، ليضع الدواء الناجع لها في صورة اقتراح مستفيدا مما وضعه النحاة السابقون من معالجات لبعض العلل .

ونحا عباس حسن في منهجه منحى الإيجاز واللمح أحيانا ، أو منحى الإطالة والتفصيل والزيادة أحيانا أخرى ، وكان ذلك حسب ما يتطلبه المقام وطبيعة المسألة . وإن من اللافت للنظر أنه لم يوفق في بعض المسائل وبعض العلل ، وأن أدويته المقترحة لم تنل إلا القليل من المسائل ولم تعالج إلا القليل من تلك العلل .

لقد تأثر منهج عباس حسن في التأليف اللغوي بفكره ووجدانه معا ، فظهر في عدة مظاهر تضمنت إشارات إلى أنه كان وجداني الطبع انفعاليا عند البحث في المسائل النحوية ، ولعل ذلك من حبه للعربية ومن غيرته عليها فجاءت آراؤه منبئة عن بعض الأحاسيس والمشاعر الوجدانية التي تولدت لديه أثناء إعمال العقل والتفكير في بحث المسألة أو القاعدة النحوية ، ومن أمثلة تأثره بوجدانياته يمكن الاستدلال بقوله : " لا ترتاح النفس للتعليلات .... ولا سيما التعليل بخوف اللبس ... " [١]

أو قوله : " قد نضيق بهذه الأفعال وأحكامها وننفر – أحيانا – من جرسها بعد تحويلها المدح أو الذم وما يصحبهما ... "[٢] و مثال ذلك ما جرى له عندما بحث موضوع الأفعال الجامدة التي تجري مجرى (نعم) و (بئس) ، لما ظهر من خلاف بين النحاة في شأنها ، إذ وصف

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٣ ، ص٢٧١.

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك الخلاف بأنه خلاف مرهق ، ووصف تفريعاتهم بأنها تفريعات شاقة تطلبت إليه الجهد الكبير للبحث عن الدواعي ،كما تطلبت إليه الجهد الأكبر لتصفية الأحكام والآراء والفروع وتنقيتها جهد الاستطاعة ، وهذا ممّا يستحسن عند بعض الباحثين ، ويستقبح عند آخرين ، ويستساغ أو يقبل عند غيرهم . وهذه خصيصة من خصائص المنهج المتكامل الذي يجعل السائر في منحاه يتناول الجانبين معا ؛ جانب العقل ، وجانب الوجدان ، عند البحث والتأليف ومعالجة موضوعاته بدقة وعناية ، وهي من حسنات النهج الذي اختطه عباس حسن لنفسه ، وذلك لأنه من الصعب الفصل بين عقل المرء وقلبه عند دراسة أمر أو موضوع يهمه ويهم أمته وقومه ولغته وعقيدته .

تعرض نهج عباس حسن للتحليل والنقد وانصب ذلك على آرائه وأحكامه التي أصدرها مبنية على آراء النحاة وأحكامهم أو التي أصدرها باجتهاد منه ، فجاء بعضها مضطربا وفيه خلل ، كذلك الخلل وذلك الاضطراب اللذين أشار إليهما جميل علوش في آراء عباس حسن وأحكامه في مسألة النداء التعجبي ، إذ كان يستند فيها إلى إحدى نظريات النحاة التي أسهمت في وجود الخلل والاضطراب في آرائه رغم ما بذله من جهود لكي يخرج برأي سليم من غمرة آراء النحاة المتضاربة وتصوراتهم البعيدة ، ولكنه بعد ذلك الجهد وقع فيما كان يحذره من الاستحالة والتناقض بسبب تشبثه بنظرية النحاة المشار إليها وبسبب تمسكه بها ، ولم يتوقف عن المحاولة في تطبيق ما لم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتمكن الحذاق والجهابذة من النحاة من تطبيقه في باب النداء وبالذات في مسألة النداء التعجبي . [١]

ورأى جميل علوش أنه ليس هناك موجب يفرض على عباس حسن الأخذ برأي ضعيف أو مخالف لبعض قواعد النحاة ، وأنه لا جدوى من المفاضلة بين مخالفة في رأي في جانب من جوانب المسألة ومخالفة أخرى في الجانب نفسه .[٢]وعد ذلك من المآخذ التي أخذها على نهجه في التأليف النحوي ، ودعا إلى تجنب الأخذ بمثل هذه النظريات التي توقع في الخلل والاضطراب في الآراء والأحكام دون داع أو موجب .[٣]

ويقول جميل علوش رأيا في منهج عباس حسن يفيد بأنه كان " كلما اقترب من الحقيقة ارتد عنها وابتعد ، فقد لمسها لمسات صائبة ولكنه كان ما يلبث بعد ذلك أن يخطئ الهدف . والسبب في ذلك تمسكه بنظرية مهتزة . فمن هذه اللمسات الصائبة قوله بأن الاسم المعرب لا يمكن أن يكون له محلان من الإعراب إلا إذا كان مجرورا بحرف الجر الزائد. "[٤]

إن اهتمام عباس حسن بتحقيق النهج الذي نهجه في البحث والتأليف في اللغة والنحو قد جعله يسعى إلى البحث عن الحقائق لاستجلائها وتسجيلها وعن الأوهام والعلل الزائفة للكشف

---

[١] علوش ، جميل ، التعجب صيغه وأبنيته ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، أزمنة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص ٩٦ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، بتصرف ، ص ٩٦ .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص ١٠٢ – ١٠٣

[٤] المرجع السابق نفسه ، ص ٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنها وإزالتها ، إذ وجد أن بعض المسائل قد تطلب البحث فيها والرجوع إلى بعض المصادر والمراجع ، فعمل على تدوين أسماء تلك المصادر أو المراجع وأسماء أصحابها ، فجاء منهجه متصفا بالمرجعية والموثوقية اللتين أسهمتا في تميز منهجه بميزة المنهج العلمي في البحث والدرس وحسب ما يقتضيه تحصيل العلم وتحقيق مسائله . ومن الأمثلة على ذلك قوله : " وقد كنت أرجع في أثناء كتابة هذه العجالة إلى شرح الإمام موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي النحوي ، المتوفى سنة ٦٤٣هـ ، لمفصل الزمخشري – ورجعت أيضا إلى شرح كتاب سيبويه للإمام أبي سعيد الحسن ابن عبد الله بن المرزبان السيرافي المتوفى سنة ٣٦٨هـ ، .... "[١]

وانماز منهج عباس حسن بعدم اعتماده في التأليف في اللغة والنحو والنقد على طريقة واحدة ، وإنما كان يعتمد على عدد من الطرائق وبخاصة في التأليف الهادف إلى التدريس ، فاعتمد الطريقة الاستنباطية ، والطريقة الإلقائية والطريقة المعتمدة على الحوار والمناقشة ، والمهم هو ملاءمة الموضوع للأسلوب التعليمي وتقريب المعرفة والخبرة الصادقتين باليسر والسهولة .

وتجدر الإشارة إلى أن عباس حسن قد خص تأليفه في النحو بترتيب نحا فيه منحى ابن مالك في ألفيته المشهورة ، وذلك لشيوع ترتيبه ولملاءمته لأبواب النحو ولتسلسل الموضوعات تسلسلا منطقيا يسهل تعليم اللغة والنحو ، ويوفر الجهد في التحصيل والدراسة .

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٢ ، مرجع سابق نفسه ، ص ٤٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد علق علي النجدي ناصف على منهج عباس حسن فقال : " ويدور البحث في الكتاب على ألفية الإمام محمد بن مالك، ويعتمد في الشرح على أمثلة محدثة. وقلما يستشهد بشواهد النحو من الشعر، لأنها – فيما يقول – مليئة بالألفاظ اللغوية الصعبة، والمعاني البعيدة. وشواهد النحو هي مصدر أحكامه وحجج النحاة فيما يقررون منها ، وإذا صح أن يحول ما في بعضها من صعوبة المفردات وبعد المعاني دون ذكرها في نحو الطلاب ، فما بالها لم تتبوأ أماكنها في نحو العلماء وليس عدلا أن يؤخذ الكثير الخالص المبرأ بعيب القليل المشوب ."[١]

ورأى علي النجدي أن عباس حسن قد نهض في علم النحو نهضة واسعة عندما ألف كتابه (النحو الوافي) ، وأنه حاول اعتماد الدقة التي توخاها ابن مالك وتجنب الصعوبة التي نتجت عن عمل ابن مالك [٢]

فعمل على دراسة كل بيت من أبيات ألفية ابن مالك ، لاستخراج القواعد النحوية فيها ، وتبويبها حسب المسائل النحوية التي درسها ، ونجتزئ من أمثلة تعامل عباس حسن مع نصوص ابن مالك المثال الآتي : يقول ابن مالك في باب الإضافة : "

واضمم بناءً (غيرا) اُن عَدِمْتَ ما له أضيف ناويا ما عُدما

قبل كغيرُ بعدُ حسبُ أولُ ودونُ والجهاتُ أيضا وعلُ

---

[١] النجدي ناصف ، علي ، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ، ج ٤٥ ، ١٩٨٠ م ، ص ١٨٢ – ١٨٣ .

[٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأعربـــوا نصبـــا إذا مـــا نُكِّـــرا قبلاً ، وما مِنْ بعدِه قد ذُكِرا "[١]

وتعليقا على هذه الأبيات بين عباس حسن الحكم الإعرابي في المضاف إذا كـــان أحـــد الألفاظ التي ذكرها وهي : (غير ، أول ، بعد ، حسب ، دون ، عل ، شرق ، غـــرب ، شمـــال ، جنوب ، قبل) إذ يعرب بعضها ، ويبنى بعضها الآخر ، ويعرب ويبنى بعض منها حسب موقعه من السياق التركيبي للتعبير المقصود به معنى يريده المتكلم ، وتعامل عباس حسن مـــع هـــذا البـــاب ومسائله بطريقة تشتق بعد الشرح والتحليل الأحكام النحوية التي جاء بها النحاة ، ويعلقها بآرائهم التفسيرية والتعليلية ، كما يعلقها بالقواعد النحوية التي يمكن اشتقاقها ، ليخلص بعدئذ إلى رأيـــه أو حكمه الذي يراه ، وربما يكون أنسب أو أحسن أو أيسر من آراء النحاة وأحكامهم .

ولكنه في بعض الأحيان لا يأخذ جميع الآراء في المسألة الواحدة أو في الشاهد الواحد مـــرة واحدة ، وإنما يأتي ببعض الآراء فيحلله في ضوء الشاهد الذي احتج به النحاة ، ثم يبحث عن العلل بحسب العامل والمعمول ، وأخيرا يوضح القاعدة النحوية التي بنى النحاة حكمهم عليها ، ومـــن ثم يلخص هذه الآراء في ملخص موجز يتضمن ما هو الأنسب أو ما هو الأحسن ، وهكذا .

لقد كان اعتماد عباس حسن على ألفية ابن مالك في تبويب النحو لا يخدم أغراض تأليفه في النحو ، علما أنه كان يأخذ عليه أن أبيات الموضوع أو الباب ليست مرتبة ترتيبـــا مرغوبـــا فيـــه وجامعا لأجزاء المسألة جمعا ييسر الخروج بالقواعد النحوية ، ويفصل ما يجب الوصول إليـــه ، وفي

---

[١] ابن مالك ، محمد بن عبد الله ، ألفية ابن مالك في النحو والصرف ، ط٤ ، ١٩٩٠ م . مؤسسة علوم القرآن ، عجمان ، الإمارات العربية المتحدة . ص٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحد المواضع أشـــار إلى هذا المعنى بقوله : " أبيات ابن مالك – كما وردت في هذا البـــاب مـــن ألفيته – لا تساير تسلسل المسائل ، ولا ترتيبها المنهجي على الوجه الذي ارتضيناه . لهذا وضـــعنا كل بيت عقب القاعدة التي يناسبها ، ويتصل بها اتصالا منطقيا . وفي الوقت نفسه وضعنـــا بجانب كل بيت رقما يميزه ، ويدل على ترتيبه بين أبيات الباب كما رتبها ابن مالك ."[١]

وفي موضع آخر أراد عباس حسن أن يبين ما جاءت عليه أبيات ابن مالك ، من حيث مـــا يؤدي إليه ترتيبها من خلط في الأحكام وصعوبة في الكشف عن القواعد النحوية التي تتضمنها ، إذ قال : " ... كما أنه ذكر بعض الأحكام ، وترك بعضا آخر هاما ، وتفصيلات ضـــرورية . وقـــد تداركنا ذلك كله ." [٢]

ولكنّ عباس حسن لم يتقيد بأسلوب ابن مالك إذ وجده لا يناسب معالجة مسائل النحـــو في الوقت الحاضر لعوامل كثيرة تتعلق بتطور اللغة العربية بتعليمها وتعلمها ، وبالمتكلم بهـــا مهمـــا كانت درجته وخصوصيته ومن الأمثلة على ذلك حكم توابع المنادى ، إذ لخـــص عبـــاس حـــسن الحالات التي يرد فيها تابع المنادى ويكون حكمه فيها صحة النصب الذي قـــد يكـــون واجبـــا في مواضع وجائزا في مواضع أخرى ، وهو في الحالتين صحيح ، إلا في حالات لم يجد عباس حسن بـــدا من بيانها وتوضيحها ، وهذه الحالات هي :ـ

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج ٢ ، ص ٣١٣.

[٢] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- أن يكون المتبوع _ المنادى _ هو لفظ (أيّ) أو (أيَّة) أو اسم إشارة . فيجب في حركة نعتها مشابهتها لحركة المتبوع مشابهة صورية فقط (أو نقول بالعبارة التي فيها التسمح : يجب رفع النعت في المظهر الشكلي ، بقصد مماثلة حركته لحركة المنادى ... نحو يا أيتها الفتاة ، من كثر كلامه كثر خطؤه . ومثل : يا هذا الغلام لا تنس شكر من أحسن إليك .

٢- أن يكون المتبوع – المنادى – مبنياً على الضم والتابع بدلاً ، أو عطف نسق مجرداً من (ال) ؛ فحكمها حكم المنادى المستقل ؛ عند فريق من النحاة . أما غيرهم فيجيز النصب – وهو الأنسب ؛ ليكون حكم النصب عاماً شاملاً نحو جزيت خيراً يا عائشة زوج الرسول ... .

٣- أن يكون المنادى مجروراً باللام في الاستغاثة وما يلحق بها ؛ فيجب جر التابع ، وهذا هو المشهور – أو نصبه ، نحو : يا للغني الممتلئ للجائع ، ويا للقادر القويّ للعاجز." [١]

ومن جهة أخرى ، فإن من مميزات منهج عباس حسن أنه لم يكن منهجا تقليديا يقلد فيه السابقين في التأليف النحوي ، إذ تبين لنا أنه قد خرج على مناهج الأوائل ، وعلى الفصل في القواعد النحوية وما يرتبط بها من أحكام ، إذ قال عند البحث في باب الاشتغال ما قاله بأسلوب آخر في مواضع أخرى ، ليكون لآرائه الصدى الدال على استحداثه منهجا مبتكرا يطرح من خلاله

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج ٤ ، ص ٥٠ _٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علم النحو المستعين باللغة وعلومها ، يقول : " أبيات ابن مالك في هذا الباب ليست مرتبة ترتيبا متماسكا يساير المعاني ويؤالف بعضه بعضاً ، فقد يذكر بيتا أو بيتين في أول الباب يشرح بهما قاعدة معينة ، ثم يأتي ببيت أو أكثر يشرح قاعدة ثانية ، فثالثة ... ثم يذكر بيتا آخر يتمم القاعدة الأولى ، فآخر يتمم الثالثة ، وهكذا تتفرق أجزاء القاعدة الواحدة في بيتين أو أكثر ليس بينهما توال ، أو اتصال مباشر . فلم يكن بد من استيفاء كل قاعدة على حدة استيفاء كاملا . ثم الإشارة في الهامش إلى أبيات ابن مالك المتعلقة بتلك القاعدة ، وتدوينها على حسب ما يقتضيه تماسك القاعدة وتكاملها ، لا على حسب ورودها في ألفيته ؛ وإلا جاءت القاعدة مفككة ، متناثرة هنا وهناك متداخلة في غيرها . على أنا وضعنا بجانب كل بيت من أبيات ابن مالك رقمه الخاص به الذي يدل على ترتيبه الحقيقي بين أبيات هذا الباب كما وردت في ألفيته ." [١]

وخص أيضا عباس حسن تأليفه النحوي بخطوة غالبا ما كانت تتكرر وهي الإشارة إلى مسألة سبق بحثها في باب من أبواب النحو، أو الإشارة إلى مصدر سبق ذكره أو لحق ، . أو الإشارة إلى انتهاء النص المأخوذ من غيره من النحاة السابقين بحرف هجائي دال على نهاية النص أو الإشارة إلى اختصار النص أو التصرف فيه بحرف هجائي هو الحرف (م) ، عدا عن الإشارة إلى صفحات المصادر السابقة بالحرف الهجائي (ص) ويذكر بعده رقم الصفحة ، ثم يشير إلى جزء المصدر أو المرجع المذكور بالحرف الهجائي (ج) ويذكر بعده رقم ذلك الجزء منه ، ليجعل منهجه

---

[١] حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتحلى بالمرجعية والموثوقية والموضوعية وبالأمانة العلمية الواجب الأخذ بها في عرف العلم والعلماء والبحث والتأليف .

ومما لحظناه بوضوح في منهج عباس حسن أنه كان يتبع التنظيم والترتيب والتفصيل في مؤلفاته ، إذ يقدم لكتابه بمقدمة يشرح فيها ماهية الموضوع وطبيعته ، ويبين مسوغات التأليف فيه والفوائد التي يرمي إليها ، وخطته في التأليف ، وأنواع المراجع والمصادر التي رجع إليها ونهل من معينها وأحيانا يذكر أسماء أصحابها ، ويبين عنوانات الموضوع الذي يبحث فيه ، فيذكر العنوان العام ليكون دالا على فصل في البحث ثم يذكر العنوانات الجزئية التي تجمع بينها الروابط المتعلقة بموضوع الفصل الواحد ، وغالبا ما كان يختم الفصل بما يعلقه بالفصل السابق عليه ، أو بالفصل اللاحق به ليصنع الوشائج التي تجعل موضوع الكتاب موضوعا فيه ترتيب وتسلسل في جوانبه وقضاياه ومسائله يقتضيها أصل الموضوع نفسه ، ويتطلبها منهج البحث فيه .

ومما أضفى على منهج عباس حسن سمة المنهج العلمي الواضح ، وسمة المنهج الرصين ، وسمة المنهج الموضوعي ، أن لغة عباس حسن الفنية في التأليف في اللغة والنحو والنقد كانت تتركب في جزء من متون مؤلفاته من المصطلحات والتعابير السياقية والاصطلاحية ، إذ استعملها عباس حسن في لغته النحوية عند التعليق على رأي أو الفصل في رأي أو حكم أو استحسان أحدهما أو تفضيله أو الدعوة إلى الاقتصار على أحدهما أو على قاعدة نحوية ما ، ومن هذه التعبيرات السياقية والاصطلاحية نذكر : (من المستحسن جدا) ، (الاقتصار على) ، (... أحسن) ، (يجوز ...) ، (لا بأس بـ ...) ، (... أنسب ...) ، (المناسب لنا اليوم) ، (فالخير ألا ...) ، (الخير أن ...) ، (من المستحسن ...) ، (من التيسير ...) ، (اختصارا) ، (

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غالبا) ، (يحسن الاقتصار عليه) ، (الأكثر والأشهـــر) ، (والمستحسن) ، (والأخذ ...) ، (فإن الأنسب اليوم) ، (وهذا الرأي الأحسن) ، (فخير ما ...) ، (فهذا أيسر وأوضح ..) ، (أنسب الآراء وأيسرها) ، (من الأنسب ..) ، (لا يحسن ..) ، (اتباع ذلك الـــرأي الأنـــسب والأيسر) ، (الأحسن ...) ، (هذا صحيح) ، (يحسن ...) ، (وهذا إيجاز حسن مقبـــول) ، (أمر سائغ مقبول) ، (من غير وجوب ولا تحتيم) ، (هذا أيسر الآراء وأوضحها) ، (ليس ممـــا يناسبنا اليوم) ، (في الرأي الأرجح) ، (لا خير في الأخذ بالرأي القائل ...) ، (بالرغم من أنـــه الأغلب) ، (لا داعي ...) ، (غير مستحسن) ، (والرأي السمح الذي يرتضيه ...) ، (رأينا يساير ...) ، (نرى من الميسور) ، (وغاية القول) ، (الأحسن إغفال ما قالوه ...) .

وليس غريبا أن يتميز منهج عباس حسن بأنه المنهج المساعد على الابتكـــار والتجديـــد في التأليف اللغوي والنحوي ، وليس غريبا في هذا الصدد أن يقال : إن عباس حسن " قد بلغ في باب التأليف المبتكـــر الأصيل مرتبة النسق الأعلى من أحكام التصنيف وانتظـــام التبويـــب واتـــساق الترتيب ، ورونق العرض ، وغزارة المادة ، ورصانة الأسلوب ، وتأصـــيل الأصـــول ، وحـــذف الفضول ، مما بعث في النحو دفء الحياة . وجدد له شبابه وإهابه ، وأعاد له بهاءه وصفاءه . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ."[١]

---

[١] عمار ، أحمد ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ع٢٢ ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد غلب على منهجه العام في البحث والتأليف النزعة الدينية التي تجلت في عدة مظـــاهر جعلت من منهجه منهجا ذا أسس ترتكز فيما ترتكز عليه على الطابع الديني في الغوص في أعمـــاق اللغة العربية وقواعدها بحيث يبلغه ذلك إلى الحفاظ على اللغة العربية بما يكفل لها قداســـتها الـــتي تقدست بها من قداسة القرآن الكريم الذي نزل بها كما يكفل لها قداسة تمثلت فيها مـــن قداســـة السنة النبوية الشريفة ، ولذلك وجدناه ينحو بمنهجه نحو الاستدلال والاحتجاج بآيات من القرآن الكريم وبأدلة من السنة النبوية الشريفة ليقوي بها رأيا أو ليوضح قاعدة أو ليثبت لغة قرأت وكتبت في ضوء وجودها عند العرب ولا سيما لهجة قريش التي سادت اللهجات العربية جميعها بـــدليل أن القرآن الكريم قد نزل بها .هذا بالإضافة إلى الوازع الديني والعقيدي الذي أسهم فيه رجوعه إلى ما وجده من فقه وتفسير. فأباح لنفسه أن يضطلع بمهمة الوصول إلى التفقه في الدين والدنيا من خلال عقيدته الإسلامية التي بناها على التفسير الصحيح للقرآن الكريم والتفقه في سنة النبي الشريفة .

وحسبنا في هذا المقام أن وقفنا على مميزات منهج عباس حسن وخصائصه التي اختص بهـــا فتميز من غيره من مناهج النحاة السابقين والمعاصرين في بعض الخطوات والإجراءات ، وفي بعـــض الاستعمالات اللغوية والاصطلاحية ، والخصائص الأسلوبية ، وربما يتراءى للباحـــث في مؤلفـــات عباس حسن للمرة الأولى أنه قد أوفى منهجه ما يتطلبه ، إلا أنه وقع في هفوات ، وما ذلك بغريب لأن البحث في اللغة وعلومها ، يفرض على الباحث فيهما أن يسعى إلى تنفيذ خطته البحثية بكـــل الدقة والتسلسل والترتيب ، إلا أنه قد يقع فيما يكون قد حذر منه دون شعور أو قصد إذ يحـــدث معه ما حدث مع غيره ، فتجده ينحي باللائمة عليهم ويذكر أنهم حادوا عن طريـــق خططهـــم ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويكون هو مجبرا على الزلل عن الطريق كما يكون آخذا بالضعيف في اللحظة التي يجب عليه فيها أن يأخذ بالقوي ، أو يأخذ بالقوي في اللحظة التي كان عليه فيها أن يأخذ بالضعيف ليقويه .

وتبين أيضا أن عباس حين كان يغفل أو يهمل ذكر صاحب المصدر وذكر الصفحة سواء في المتن أو في الهوامش ، مما أدى إلى تكليف الطالب أو الباحث جهدا يبحث به عن تلك المراجع والمصادر ليتحقق مما أورده عباس حسن على ألسنة الغير وهذا الأمر تكرر بصورة كلية عندما لم يجعل في آخر مؤلفاته ثبتا أو فهرسا يضمنه أو يسرد فيه مراجعه ومصادره وهوامش تابعة لتلك المراجع والمصادر سواء أكان ذلك في نهاية كل فصل من فصول الكتاب عنده أو في نهاية الكتاب كله بصورة عامة .

ونلحظ على عباس حسن أنه لم يتقيد بنسبة الآراء والأفكار إلى أصحابها في كثير من المواقع في كتبه .

ويؤخذ على عباس حسن أنه قد وقع في تعسير بعض المسائل النحوية دون اللغوية عند الحديث فيها أو عند طرح آراء الآخرين وأحكامهم فيها أو عند إبداء الرأي فيها ، وأحيانا عند تحليلها ومناقشة الأمثلة والنماذج السماعية والقياسية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

يعد عباس حسن من الذين يستحقون التكريم والذكر الطيب والبحث في نتاجاته ، ووصفه الكثيرون بأنه الأستاذ العلامة في اللغة والنحو .

فقد ترك تركة وفيرة من المؤلفات والأبحاث في اللغة والنحو والنقد الأدبي، وهي تعد إسهامات كثيرة وكبيرة قدمها للعرب وللعربية.

كان من أهم ما قدمه عباس حسن من دراسات وأبحاث ومؤلفات يصب في مجال علم النحو العربي إذ توصل في تفكيره النحوي وبعد دراسته النحو العربي كاملا إلى ضرورة تيسير النحو العربي وإصلاحه وتبسيطه للمعلم وللمتعلم وللباحث في العربية وعلومها .

تبين للباحثة أن الجهود النحوية واللغوية التي قدمها عباس حسن تكشف عن الدراسات المعمقة للنحو العربي كما تكشف عمّا لديه من الآراء والأفكار والمعارف اللغوية والنحوية التي ميزته من غيره من لغويي العصر ونحاته .

كما تبين أن هناك علاقة قوية بين قيم التفكير اللغوي والتفكير النحوي من جهة والتفكير التربوي عند عباس حسن من جهة أخرى .

وتوصلت الدراسة إلى استناده في آرائه وأحكامه النحوية إلى آراء النحاة السابقين وأحكامهم سواء أكانوا فيها على اتفاق أم كانوا على خلاف ، إذ كان في آرائه النحوية إما مؤيدا وإما معارضا وإما مستغربا وإما مستحسنا للرأي أو الحكم وإما مبديا رأيا يرى فيه إصلاحا أو تبسيطا أو تيسيرا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما توصلت إلى اعتماده على الشواهد اللغوية في بيان القواعد النحوية التي تبين له – كما تبينت للباحثة – أنها لم تشهد الاستقرار نظريا وتطبيقيا في آن واحد معا عند النحاة وعند اللغـــويين وعند متداولي اللغة العربية على مر العصور .

اهتم عباس حسن بالنحو العربي فانحاز له وعدّه دستور اللغة العربية بل وعدّه دســـتورا لا يستغنى عنه للعلوم الأخرى ، ولذلك كان بحثه في المسائل النحوية والقضايا اللغوية يهـــتم بجميـــع الجزئيات والتفصيلات ، وكان يحاول دائما إيجاد علاقات وروابط بينها ليقف بكل دقة على جميـــع الآراء والأحكام والقواعد التي قالها النحاة ودونوها في مؤلفاتهم كي يتمكن من التعمق في البحـــث والوصول إلى رأي أو حكم يراه سديدا أو حسنا أو صالحا ، أو يراه خاطئا غير مقبـــول ، ليثبـــت رأيه الذي يراه صوابا أو رأي غيره الذي يرجحه أو يحلله أو يدعمه بالشاهد أو الحجة أو الدليل .

جاءت جهود عباس حسن النحوية منوعة ومتوالية ومتعددة ، إذ انصبت علـــى العـــرض والتفصيل وعلى التحليل والوصف وعلى التفسير والتعليل وعلى التساؤل والمناقشة ليضفي علـــى بحثه في المسألة اللغوية أو المسألة النحوية طابعا يتطابق مع طبيعة اللغة العربية ووظائفها ودلالاتهـــا ، ويضفي على طبيعة النحو العربي – بما اشتمل عليه من الأحكام والقواعد – طابعا يجعـــل النحـــو العربي قابلا للتوظيف والتطبيق ، وقابلا للتطوير والتبسيط والتيسير .

لم يتمكن عباس حسن من التخلص من الخلط والاضطراب في بعض المسائل النحويـــة ، إذ وقع فيما وقع فيه بعض النحاة السابقين ، علما أنه كان يحذر في كثير من المواقف مـــن الوقـــوع في الخلط والاضطراب ، وربما يرجع ذلك إلى أسباب تلازم النحو العربي في جميع مراحله التي مر بهـــا وعند جميع النحاة القدامى والمحدثين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاول عباس حسن التخلص من كثير من عيوب النحو وآفاته وشوائبه ، إلا أنه لم يتمكن من معالجة تلك الشوائب والآفات والعيوب بالدرجة التي يبدو للباحثة أنه كان يأملها ، ولعله لم يتمكن من تحقيق هذا الهدف لعوامل وأسباب لا مجال لذكرها هاهنا .

عمل عباس حسن على حسن تجميع قواعد النحو وحسن توزيع أبوابه متبعا في ذلك الترتيب والتبويب الذي عمل بموجبه ابن مالك في ألفيته ، إلا أنه لم يحقق ما أراده في هذا الموضوع برغم محاولاته المتكررة ومعالجاته المتعددة لسوء التجميع وسوء التوزيع في قواعد النحو العربي وأبوابه ، إذ وقع فيما وقع فيه النحاة من قبل ، وربما استعصى عليه الأمر ، ولم يتمكن من تحقيق هذه الغاية في حياته ، تاركا الأمر لمن يتولى منهجه ودعوته في البحث في النحو العربي وفي اللغة العربية لتطويرهما بما يتناسب مع حاضر الأمة العربية ومستقبلها .

اتخذ عباس حسن من القياسي والسماعي في اللغة العربية أصولا وقواعد يمكن الانطلاق منها إلى إنماء اللغة العربية وتوسيع نطاق استعمالها وتوظيفها وتداولها بألفاظ ومفردات ومصطلحات تنسجم وتتوالف في تراكيب لغوية سليمة فصيحة ، وفي عبارات ذات معان ودلالات ومقاصد ، وبأساليب بلاغية تضفي على اللغة العربية قوتها في السبك والمعنى والدلالة والفصاحة والبيان ، ودون خروج على قواعدها ونحوها الميسر الصالح للتعليم والتعلم والتطبيق محادثة وكتابة .

لم تكن دعوة عباس حسن إلى تيسير النحو وإصلاحه دعوة آتية من فراغ وإنما كانت دعوة لها أسبابها ودوافعها ولها أهدافها وغاياتها ، وقد جاءت دعوته هذه بمنهج علمي مناسب حاول من خلاله تجنيب المعلم والمتعلم والباحث التعقيد والصعوبة في النحو وقواعده وعسر التعلم والتعليم في الجانب التربوي منه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعليه ، فقد اتضح لنا الأثر الذي تركه عباس حسن وتركته مؤلفاته وأبحاثه في الدراسات اللغويـــة والنحوية في العصر الحاضر ، والإسهامات التي قدمها وقدمتها دراساته في مجال تيسير النحو العربي وإصلاحه ، وفي مجال تبسيطه للمتعلم والباحث على حد سواء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- ابن جني ، أبي الفتح عثمان ، ٢٠٠١م ، **الخصائص** ، مج٣ ، ط١ ، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية .
- ابن السراج البغدادي ، أبي بكر محمد بن سهيل ، **الأصول في النحو** ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة .
- ابن عقيل ، بهاد الدين عبد الله ، ١٩٨٥م ، **شرح ابن عقيل** ، مج٢ ، ج٣ ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ابن فارس ، أبي الحسن أحمد ، ١٩٩٧م ، **الصاحبي في فقه اللغة** ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية .
- ابن مالك ، محمد بن عبد الله ، ١٩٩٠م ، **ألفية ابن مالك** ، ط٤ ، عجمان ، الإمارات العربية المتحدة ، مؤسسة علوم القرآن .
- ابن يعيش ، موفق الدين ، **شرح المفصل** ، ج٣ ، بيروت ، لبنان ، عالم الكتب .
- الأنباري ، أبي البركات عبد الرحمن ، ١٩٥٧م ، **الأغراب في جدل الأعراب** ، دمشق ، سوريا ، مطبعة الجامعة السورية .
- ـــــــــــ ، ١٩٩٨م ، **الأنصاف في مسائل الخلاف** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج٢ ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية .
- الأنصاري ، ابن هشام ، ١٩٩١م ، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج٢ ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر .
- الجواري ، أحمد عبد الستار ، ١٩٨٤م ، **نحو التيسير ؛ دراسة ونقد منهجي** ، ط١ ، بغداد ، العراق ، مطبعة المجمع العلمي العراقي .
- حسن ، عباس ، ١٩٧١م ، **اللغة والنحو بين القديم والحديث** ، ط٢ ، القاهرة ، مصر ، دار المعارف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ـــــــــــــ ، ٢٠٠٤م ، **النحو الوافي** ، ج١ ، ط١ ، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع .

- ـــــــــــــ ، **النحو الوافي** ، ج٢ ، ط١ ، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع .

- ـــــــــــــ ، **النحو الوافي** ، ج٣، ط١ ، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع .

- ـــــــــــــ ، **النحو الوافي** ، ج٤ ، ط١ ، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع .

- ـــــــــــــ ، ١٩٥١م ، **المتنبي وشوقي ؛ دراسة ونقد وموازنة** ، ط١ ، القاهرة ، مصر ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

- الحموي ، ياقوت ، ١٩٣٦م ، **معجم الأدباء** ، ج٨ ، القاهرة ، مصر .

- الخفاجي ، شهاب الدين ، ١٢٨٤ هـ ، **طراز المجالس** ، القاهرة ، مصر ، المطبعة الوهبية المصرية .

- خليفة ، عبد الكريم ، ١٩٨٦م ، **تيسير العربية بين القديم والحديث** ، ط١ ، عمان ، الأردن ، مجمع اللغة العربية .

- دي بور ، **تاريخ الفلسفة في الإسلام** ، ترجمة الدكتور أحمد أبو ريدة .

- الزجاجي ، أبو القاسم ، ١٩٧٩م ، **الإيضاح في علل النحو** ، تحقيق : مازن المبارك ، ط٣ ، بيروت ، لبنان ، دار النفائس .

- السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين ، ١٩٨٦م ، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** ، ج١ ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، المكتبة العصرية .

- ـــــــــــــ ، ١٣٦٠ هـ ، **الأشباه والنظائر** ، دائرة المعارف العامة .

- ـــــــــــــ ، **بغية الوعاة** .

- ـــــــــــــ ، ١٩٧٥م ، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** ، ج١ ، الكويت ، دار البحوث العلمية .

- شبلي ، عبد الفتاح ، ١٩٥٨م ، **الاتجاهات الحديثة في النحو** ، ط١ ، القاهرة ، مصر ، دار المعارف .

- ضيف ، شوقي ، ١٩٨٢م ، **تجديد النحو** ، ط١ ، القاهرة ، مصر ، دار المعارف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- علوش ، جميل ، ٢٠٠٠م ، **التعجب صيغه وأبنيته** ، ط١ ، عمان ، الأردن ، أزمنة للنشر والتوزيع .

- القرطبي ، ابن مضاء ، **الرد على النحاة** ، القاهرة ، مصر ، دار المعارف .

- القلقشندي ، أبو العباس ، ١٩٦٣م ، **صبح الأعشى** ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مطابع كوستا توماس وشركاه .

الدوريات

- حسن ، عباس ، ١٩٧١م ، كلمة الأستاذ عباس حسن في حفل استقبال الأعضاء الجدد ، **مجلة مجمع اللغة العربية** ، (ع٣٠) ، ص ٢٣٤ .

- الطويل توفيق ، ١٩٨٢م ، كلمة د توفيق الطويل في حفل استقبال عباس حسن عضوا جديدا في المجمع ، **مجلة مجمع اللغة العربية** ، (ع ٤٩) ، ٢١٧- ٢٢٤ .

- **مجلة مجمع اللغة العربية** ، ١٩٦٩م ، كتاب في أصول النحو .

- علام ، محمد مهدي ، ١٩٨٦م ، عباس حسن ، **المجمعيون في خمسين عاما** ، ١٣٥- ١٣٦ .

- عمار ، أحمد ، ١٩٦٧م ، كلمة الدكتور أحمد عمار في جلسة استقبال الأعضاء الجدد ، **مجلة مجمع اللغة العربية** ، (ع٢٢) ، ص ١٦٧-١٧١ .

- ناصف ، علي النجدي ، ١٩٨٠م ، كلمذة الأستاذ علي النجدي ناصف ، **مجلة مجمع اللغة العربية** ، (ع٤٥) ، ١٧٨- ١٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

THE GRAMMATICAL EFFORTS OF ABBAS HASSAN

by
Elham Abd - Alraheem Al-Jdoua

supervisor
Dr. Mahmoud J. Alhadeed

ABSTRACT

This study aimed at finding out syntax efforts which was achieved by Abbas Hassan in the field of Arabic language and Arabic syntax , that came from his opinion in the language and syntax , its analysis , its studying to find out at what extent it may get on with linguistist's opinions , and what range it may differ from their opinion in the linguistics field . it was emerged by Abbas , to know at what extent the method is suitable for treating Arabic syntax subjects , and to renew it theorically and practically .

The researcher functioned the intergrated approach in his research that depended on analytic descriptive approach . this study included introduction and six chapters , in addition a conclusion.

The first chapter was about Abbas life his practical and scientific life . the second chapter was about his opinion in Arabic language where as the third chapter was about his syntax opinion , followed the forth chapter which was about his opinion in measurement and listening . the fifth chapter was about his calling to make Arabic syntax more easier , and to be renewed and repaired . the last chapter (7th chapter) was about Abbas approach in authorising in Arabic language and syntax . the conclusion of the study included the result of the researching in this study . the researcher recommended some recommendations that when they are applyed , they might be useful for Arabic language , its grammar , its learners , its teacher , its researchers , and its scientists . the result of the study was that Abbas Hassan was a scientific practical educational character were affected by the social scientific educational environment and his linguistics theories that came from his syntax thoughts , which led him to make his vast knowledge and efforts , it got back benefit to Arabic syntax . he was able to make up in Arabic and critisism and syntax . he had a lot of opinions , thoughts , knowledge , experience , linguistics skills and academic that distinguished him from other modem linguistics .

The study showed that Abbas Hassan made use of old linguistist's opinion in authorising that it made him call to renew and repaire in the field of syntax for the benefit of teachers and learners , as well as researcher it has been shown that Abbas Hassan's method that he gathered between practice and theory that relied on linguistics witnesses and syntax principals that were taken form linguistists , he analyed it . he sponsered some , and oppose some other . he committed a mistake got confused as well as the other linguistists did , despite his warning , despite his correctness in analysing

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

and explanation . and despite his trials in getting back partial syntax – rules , and his efforts in classifying syntax in chapters and improving colleting its parts .

His linguistics efforts different attitudes and domains and methods and procedures , some of researchers considered him as renewing researcher in the Arabic linguistics and syntax .

As a result of his efforts made to get ride of Arabic syntax from defects and impurity that made it difficult for the Arabic learners in the modem time .

The study showed that Abass Hassan relied on the measure and coustic in the language and extent the domaine of its usage orally and in written form to make it easier in syntax and deviration his efforts were not completed because it face some difficulties and oppositicals , especially when he called to renew and repair syntax for the sake of language syntax Arabic teachers , learner , theoretically and practically .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit